رياض الجنة
في
تاريخ السنة

تأليف

أ.د. أيمن مهدي

أستاذ الحديث وعلومه
بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا
والأستاذ بجامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل بالدمام

الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ/٢٠١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين رضي لنا الإسلام ديناً، والقرآن دستوراً، ومحمداً ﷺ نبياً وهادياً ورسولاً، أرسله ربُّه بالهدى ودين الحق إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، على فترةٍ من الرسل، وانتشارٍ للكفر والضلالة، فدعا الناس إلى عبادة الله وحده، وبيَّن للناس ما نُزِّل إليهم، وأوضح شرائع الله بقوله وفعله، حتى كمل للناس دينهم، وتمت عليهم نعمة الله، ورضي لهم الإسلام ديناً دائماً ثابتاً، لا ينطفئ نوره، ولا تبيد معالمه، ولا تندثر شرائعه حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وبعد ،،

فالسنة النبوية المطهرة المتمثِّلة في: أقوال النبي ﷺ ، وأفعاله، وتقريراته، وصفاته، تُمثِّل بجملتها: النموذج الأمثل الذي يجب أن يحرص المسلم على الوصول إلى معرفته والاهتداء بنوره.

ولذلك أمرنا الله عز وجل بالإقتداء برسوله الكريم ﷺ في كل مجالات الحياة فقال: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)**[1].

فالرسول ﷺ أعطى من نفسه المثل الأعلى في كل شيء، فهو النبي المعصوم ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى، وهو القائد الذي لا يُشقُّ له غبار، وهو المُعَلِّمُ الذي لا مثيل له، وهو الشيخ الذي لا نظير له، وهو الأب والزوج والصديق الذي استوى على قلوب أتباعه بحسن خلقه، وشرف أصله، وعذوبة لسانه، وحلاوة منطقه، فلا ينطق إلا حقاً، ولا يتكلم إلا صدقاً، طهَّر الله قلبه ولسانه من الوهم والخطأ.

ولذلك كانت السنة النبوية المطهرة هي: المرجع الثاني للأحكام الشرعية، فبها مع القرآن يعرف المسلم أحكام دينه، ويُمَيِّزُ بين الحلال والحرام، والحق والباطل، والهدى والضلال.

فهي نور حياة المسلم، وشمس نهاره، وقمر ليله، بها يهتدي الضال، وينكشف الطريق أمام الحيران، ويعرف المسلم طريق السعادة في الدنيا والآخرة، فسعادة المسلم في الدنيا، ونجاته في الآخرة موقوفة على طاعته لرسول الله ﷺ.

---

[1] سورة الأحزاب الآية : ٢١.

وهذه بعض المباحث المتعلقة بتاريخ السنة أسأل الله العلي العظيم أن ينفع بها كاتبها وقارئها وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم.

وقد اشتمل هذا الكتاب على ثلاثة فصول وخاتمة

الفصل الأول: تعريف السنة والألفاظ المرادفة لها

وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول : تعريف السنة

المبحث الثاني : الألفاظ المرادفة للسنة

الفصل الثاني: مكانة السنة ومنزلتها من القرآن

وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين:

المبحث الأول: السنة وحيٌ من الله تعالى

المبحث الثاني : منزلة السنة من القرآن

الفصل الثالث: السنة في عصر الصحابة

وقد اشتمل هذا الفصل على أربعة مباحث

المبحث الأول : بواعث الصحابة في خدمة السنة مباحث

المبحث الثاني: جهود الصحابة رضوان الله عليهم في خدمة السنة

المبحث الثالث: المكثرون من الرواية من الصحابة

المبحث الرابع: الشبهات الواردة على أبي هريرة والرد عليها

وماكان فيه من صواب فمن الله وحده وماكان فيه من خطأ أو تقصير فهذه شيمة البشر وربنا غفور رحيم، وعذري أني ما أردت إلا الخير وخدمة سنة خير البرية، وأن أحشر معه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فاللهم لا تخيب رجائي فيك وحسن ظني بك واجمعني مع نبيك المصطفى ﷺ في الفردوس الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

كتبه أبو البراء أيمن مهدي

الفصل الأول :

تعريف السنة والألفاظ المرادفة لها

المبحث الأول : تعريف السنة

أولاً: تعريفها في اللغة: هي الطريقة المتَّبعة، والسيرة المستمرَّة، سواءً كانت حسنة أم سيئة[١]، وقد استُخْدِمَت بهذا المعنى في القرآن والسنة، قال تعالى: **(سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً)**[٢].

وقال رسول الله ﷺ: "**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**"[٣].

فإذا أُطْلِقت كلمة السنة مفردة ومعرَّفة بالألف واللام في لغة الصحابة والسلف فالمراد بها: سنة النبي ﷺ، وهي: الطريقة التي كان النبي ﷺ يتحرَّاها في تنفيذ ما بعثه الله عزَّ وجلَّ به من الهدي ودين الحق.

فالسنة هي الطريقة والعادة المتبعة والطريقة المبتدأة حسنة كانت أو سيئة، ولكن علماء اللغة اتفقوا على أن كلمة السنة إذا أُطلقت انصرفت إلى الطريقة أو السيرة الحسنة فقط ولا تستعمل في السيئة إلا مُقَيَّدة [٤].

ثانياً: تعريفها في الاصطلاح

اختلف العلماء في تعريف السنة على حسب اختلاف أغراضهم واختصاصاتهم، فلكل طائفة من العلماء غرضٌ خاصٌ من بحثهم.

فغرض المحدِّثين: البحث عن رسول الله ﷺ القدوة، الذي أمر الله عزَّ وجلَّ بالاقتداء به في كل شيء، ولذلك عُنُوا بنقل كل ما نُسب إلى النبي ﷺ من أقوال وأفعال، وسيرة وشمائل، سواءً أثْبَت المنقول حكماً شرعياً أم لا، مع بيان درجته من حيث القبول والرد.

وغرض الأصوليين: البحث عن المصادر الشرعية التي تُؤْخَذ منها الأحكام الفقهية من قرآن وسنة وإجماع وقياس، ولذلك اعتنوا بما يُثْبِت الأحكام الشرعية من قولٍ وفعلٍ وتقرير فقط.

وغرض علماء الفقه: البحث عن حكم الشرع على أفعال العباد من فرض وواجب ومندوب وحرام ومكروه ومباح.

---

[١] تاج العروس ٢٤٣/٩، لسان العرب ٣٩٩/٦.

[٢] سورة الإسراء الآية: ٧٧.

[٣] مسلم كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ٧٠٤/٢ رقم: ١٠١٧.

[٤] إرشاد الفحول للشوكاني صـ: ٣٢، المعجم الوسيط ٤٥٥/١.

وغرض علماء الوعظ: الاعتناء بأوامر الشرع ونواهيه، فأوامره سنة، ونواهيه بدعة.

وإذا ورد لفظ السنة مطلقاً في كلام النبي ﷺ أو الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، فالمراد به: **الطريقة المشروعة المتبعة في الدين والمنهج النبوي الحنيف**[١].

السنة في اصطلاح المحدثين

عرَّف المحدِّثون السنة بأنها: أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته الخِلْقِية والخُلُقية وسائر أخباره سواءً كان ذلك قبل البعثة أم بعدها.

فالسنة مرادفة للحديث المرفوع، ولا تشمل الموقوف ولا المقطوع، واستدلُّوا لذلك بأن النبي ﷺ سمَّى ما جاء على لسانه غير القرآن سنة فقال: "**يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً: كتاب الله، وسنتي**"[٢].

وعلى هذا القول: يُحمل تسمية كثير من المحدِّثين لكتبهم الخاصة بالحديث المرفوع باسم السنن، مثل: سنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، وسنن الدارقطني، وغيرها.

وقال بعض العلماء: السنة هي أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته وسائر أخباره قبل البعثة أو بعدها، وكذلك أقوال الصحابة وأفعالهم، واستدلُّوا على ذلك: بقول رسول الله ﷺ: "**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ**"[٣].

وقال بعض العلماء: السنة هي: ما كان عليه العمل في الصدر الأول للإسلام، وعلى هذا يُحمل قول عبد الرحمن بن مهدي: لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذي يدخل في السنة من حماد بن زيد.

وقوله عندما سُئِل عن سفيان الثوري والأوزاعي ومالك فقال: سفيان الثوري إمامٌ في الحديث وليس بإمامٍ في السنة، والأوزاعي إمامٌ في السنة وليس بإمامٍ في الحديث، ومالك إمامٌ فيهما[٤].

وأرى أن هذا القول يتطابق مع القول الذي يليه.

---

[١] لمحات من تاريخ السنة وعلوم الحديث للشيخ عبد الفتاح أبو غدة صـ: ١٤.

[٢] الحاكم في المستدرك ١/١٧٢ رقم: ٣١٨، والبيهقي في السنن الكبرى ١/١١٤.

[٣] أبو داود كتاب السنة باب في لزوم السنة ٤/٢٠٠ رقم: ٤٦٠٧، والترمذي كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٥/٣٠٨ رقم: ٢٦٨٥ وقال: حسن صحيح.

[٤] الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/١٧٦، سير أعلام النبلاء ١/١٧٦.

وهو أن السنة هي: أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته وسائر أخباره قبل البعثة وبعدها، وكذلك أقوال الصحابة والتابعين وأفعالهم، وهذا قول جمهور المحدِّثين، وهي عندهم مرادفة للحديث.

ولذلك سمَّى الحافظ البيهقي كتابه: "**السنن الكبرى**" مع أنه ضمنه فتاوى الصحابة والتابعين وأقوالهم.

واستدلُّوا لذلك بأن الصحابة رضوان الله عليهم خالطوا رسول الله ﷺ، وشاهدوا نزول الوحي، ثم خالط التابعون الصحابة وجالسوهم، وسمعوا منهم، مع حبهم الشديد للسنة، وحرصهم التام على الاقتداء بالرسول ﷺ وأصحابه، مع ما كانوا عليه من فقه، وعلم، وذكاء، ولذلك دخلت أقوالهم وأفعالهم في مفهوم السنة[١]، وهذا هو أرجح الأقوال وأقواها، وهو ما جرى عليه العمل عند المحدثين[٢].

شرح التعريف الراجح:

السنة هي: أقوال النبي ﷺ، وأفعاله وتقريراته وصفاته وسائر أخباره قبل البعثة وبعدها: والمقصود بأقواله: كل ما تلفَّظ به رسول الله ﷺ في مختلف الظروف والمناسبات، ويطلِق عليه العلماء: السنة القولية، ويجمع فيُقال: سنن الأقوال، وهي تمثِّل جمهرة السنة، وعليها مدار التوجيه والتشريع، وفيها يتجلَّى البيان النبوي، وتتمثَّل البلاغة المحمدية بأجلى صورها.

ومثاله: قول النبي ﷺ: "**من سأل الله الشهادة بصدق بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**"[٣].

والأقوال النبوية الصحيحة تمثل ذِرْوة البيان البشري، والبلاغة الإنسانية مبنى ومعنى، مضموناً وشكلاً، فكرةً وأسلوباً، فقد حوت من جوامع العلم، وجواهر الحِكَم، وحقائق المعرفة، وروائع التشريع، وبدائع التوجيه، وغرائب الأمثال، ونوادر التشبيه ما لم يحوه كلام بليغ ولا حكيم، مع سهولةٍ فائقة، وعذوبةٍ رائعة، وحيويةٍ بالغة، جعلت في الكلمات روحاً يسري كما تسري العصارة في الأغصان الحية، وهي أجدر أن توصف بأنها: تنزيلٌ من التنزيل، وقبسٌ من نور الذكر الحكيم، وهذا ما نوَّه به كبار الأدباء والبلغاء في مختلف العصور[٤].

والمقصود بأفعال النبي ﷺ: سلوكه وتطبيقه العملي للوحي المنزَّل عليه.

---

[١] حلية الأولياء ٣٣٢/٦، الجرح والتعديل ١١٨/١.

[٢] شفاء الصدور في تاريخ السنة ومناهج المحدثين للدكتور السيد نوح صـ ٨ – ١٣.

[٣] مسلم كتاب الإمارة باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى ١٥١٧/٣ رقم: ١٩٠٩.

[٤] راجع: المدخل لدراسة السنة النبوية للدكتور يوسف القرضاوي صـ: ٢١،٢٢.

فقد نُقِل عن النبي ﷺ كل تفاصيل حياته البيتية، وعلاقاته الزوجية، وإذا كان لبعض العظماء جوانب مستورة في حياتهم الخاصة بما فيها من هنَّات أو ثغرات لا يعرفها إلا أصفياؤهم، ولا يُحِبُّون أن تُحْكَى عنهم، فإن أزواج النبي ﷺ وأصحابه حكوا عنه كل تفاصيل نومه ويقظته، وخلوته وجلوته، ومدخله ومخرجه، ومأكله ومشربه وملبسه، ومركبه، وضحكه وبكائه، وسفره وحضره، وسِلْمِه وحربه ... الخ؛ لأن حياة النبي ﷺ كلها موضع اقتداء، وهديه في ذلك خير الهدي وأكمله، ويلحق بفعل النبي ﷺ تركه؛ لأن ما تركه النبي ﷺ مع قيام الدواعي على فعله وانتفاء الموانع منه كان من السنة تركه وذلك مثل تركه: صلاة العيد في المسجد، ولذلك حرص الصحابة رضوان الله عليهم على نقل ترك النبي ﷺ للفعل إذا ظهر قصده إليه كما حرصوا على نقل فعله.

ومثاله:

١- ما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: شهدتُ مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذانٍ ولا إقامة... الحديث[١].

٢- ماروا‌ه الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ خَرَجَ لِحَاجَتِهِ، فَاتَّبَعَهُ الْمُغِيرَةُ بِإِدَاوَةٍ فِيهَا مَاءٌ فَصَبَّ عَلَيْهِ حِينَ فَرَغَ مِنْ حَاجَتِهِ فَتَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ[٢].

والمقصود بتقريرات النبي ﷺ: كل ما صدر عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم من أقوال أو أفعال وأقرَّهم النبي ﷺ عليها بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده، فيُعْتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً عن الرسول ﷺ ذاته؛ لأنه ﷺ لا يُقِرُّ باطلاً، ولا يسكت على منكر، فما أقرَّه دلَّ على أنه لا حرج فيه[٣].

وقد يكون إقرار النبي ﷺ بمجرد السكوت فقط، وقد يكون بشيء أكثر من السكوت كالتبسُّم وإظهار البِشْرِ والرضا ونحو ذلك.

ومثاله: ما رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احتلمتُ في ليلةٍ باردةٍ في غزوة ذات السلاسل، فأشفقتُ إن اغتسلتُ أن أهلك، فتيمَّمتُ ثم صلَّيتُ بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: **"يا عمرو صليتَ بأصحابك وأنت جنب؟"** فأخبرتُه بالذي منعني من الاغتسال

---

[١] مسلم كتاب صلاة العيدين ٢/٦٠٣ رقم: ٨٨٥.

[٢] البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب المسح على الخفين ١/٣٦٧ رقم رضي الله عنه ٢٠٣، مسلم في صحيحه كتاب الطهارة باب المسح على الخفين ١/٢٢٨ رقم: ٢٧٤.

[٣] راجع: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ٢/١٤٦.

وقلتُ: إني سمعتُ الله عزَّ وجلَّ يقول: **(وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً)**[1] فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً[2].

وقد يكون إقرار النبي ﷺ بأكثر من ذلك.

ومثاله: ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم[3].

فالحبشة يلعبون في المسجد بالسلاح تمريناً على الحرب، واستعداداً للقتال، فلا يُنْكِر عليهم رسول الله ﷺ، فيصير ذلك مباحاً، ولا يُعَدُّ مخالفاً للسنة.

والمقصود بصفاته الخلقية – بكسر الخاء –: ما يتعلق بذاته وتكوينه.

ومثاله: حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً، وأحسنهم خَلْقاً، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير[4].

وإنما عدَّ العلماء ذلك من السنة مع أنه لا يمكن الاقتداء بها؛ لأنها من قدر الله عزَّ وجلَّ، والسنة مبنية على الاتباع لكي نعلم صفات الرسول ﷺ الخِلْقِية التي أوجده الله تعالى عليها، وحتى نتيقَّن من أن الله عزَّ وجل خلقه على أحسن هيئة، وأكمل صورة بشرية، وبرَّأه من كل عيب خِلْقِي، وهذا من أدلة صدقه، وحتى نتأكَّد من أن الله عزَّ وجلَّ أوجده على نفس الهيئة وبنفس الصفات التي ذُكِرت في الكتب السابقة، وفي هذا دليلٌ على صدقه ونبوته، وحتى نردَّ مطاعن أعداء الإسلام الذين يبغون تشويه صورته، وإلصاق النقص به، وحتى نقتدي بكل ما يمكن الاقتداء به منها، مثل صفة لحيته ﷺ[5].

والمقصود بصفاته الخُلقية – بضم الخاء –: ما يتعلَّق بأخلاقه الشريفة.

---

[1] سورة النساء الآية: ٢٩.

[2] ذكره البخاري تعليقاً كتاب التيمم باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت أو خاف العطش تيمم ٥٤١/١، وأبو داود كتاب الطهارة باب إذا خاف الجنب البرد يتيمم ٩٠/١ رقم: ٣٣٤، وأحمد في المسند ٥٠٧/١٣ رقم: ١٧٧٣٩، وإسناده حسن.

[3] البخاري كتاب الصلاة باب أصحاب الحراب في المسجد ٦٥٣/١ رقم: ٤٥٤، ومسلم كتاب العيدين باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه أيام العيد ٦٠٨/٢ رقم: ٨٩٢.

[4] البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ٦٥٢/٦ رقم: ٣٥٤٩، ومسلم كتاب الفضائل باب في صفة النبي ﷺ وأنه كان أحسن الناس وجهاً ١٨١٩/٤ رقم: ٢٣٣٧.

[5] تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير للدكتور مروان شاهين ٢١،٢٢/١.

ومثاله: ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ أشدُّ حياءً من العذراء في خدرها[١].

وأوصاف النبي ﷺ مع جانبٍ من أقواله وأفعاله هي التي تُكَوِّنُ شمائله التي أَلَّف فيها الإمام الترمذي وغيره، واهتمَّ بها الشُرَّاح وكُتَّاب السيرة النبوية.

والمقصود بسائر أخباره ﷺ: ما صدر عن النبي ﷺ من حركة وسكون في كل أحواله، يقظةً أو مناماً، فإن الله عزَّ وجلَّ قد تعبَّدنا بالاقتداء به في كل شيء، وجعله ﷺ النموذج المثالي للإنسان الكامل الذي يسعى المسلم في الاقتراب منه والتشبُّه به قال تعالى: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)**[٢].

فحركاته ﷺ وسائل تربوية تعليمية، يقصد النبي ﷺ من ورائها شد انتباه المتلقِّي، ولفت نظره إلى أهمية ما يُلْقَى عليه، فيرى بعينيه، ويسمع بأذنيه، فيكون ذلك أدعى للفهم والحفظ.

ومثال ذلك: ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: خطَّ النبي ﷺ خطاً مربعاً، وخطَّ خطاً في الوسط خارجاً منه، وخطَّ خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط، من جانبه الذي في الوسط وقال: "**هذا الإنسان، وهذا أجله محيطٌ به –أو قد أحاط به– وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار: الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**"[٣].

وهنا نلاحظ: أن النبي ﷺ استخدم الرسم كوسيلة للتعليم، ولم يكتف بمجرد الكلام إحضاراً لذهن المستمع، وهذا ما وصل إليه علماء التربية اليوم، وقد سنّه النبي ﷺ وعلَّمنا إياه من أكثر من أربعة عشر قرناً.

فياله من دين لو كان له رجال.

وسكوته ﷺ نستفيد منه: أحكاماً شرعية، فنسكت في الموضع الذي سكت فيه، ويكون الصمت فيه أفضل من الكلام.

ومثال ذلك: ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة فانتهينا إلى القبر فجلسنا كأن على رؤوسنا الطير[٤].

---

[١] البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ٦/٦٥٤ رقم: ٣٥٦٢، ومسلم كتاب الفضائل باب كثرة حيائه ﷺ ٤/١٨٠٩ رقم: ٢٣٢٠.

[٢] سورة الأحزاب الآية: ٢١.

[٣] البخاري كتاب الرقاق باب في الأمل وطوله ١١/٢٣٩ رقم: ٦٤١٧.

[٤] أبو داود كتاب السنة باب في المسألة في القبر وعذاب القبر ٤/٢٤٠ رقم: ٤٧٥٣، النسائي كتاب الجنائز باب الوقوف للجنائز ٤/٧٧.

فالنبي ﷺ يُعَلِّمُنا في هذا الحديث بسلوكه العملي: أن الصمت عند دفن الموتى أفضل من الكلام؛ من أجل العظة والاعتبار، واحتراماً لجلال الموقف.

والمقصود بما صدر عن النبي ﷺ في حال اليقظة: الاقتداء به في كل ما صدر عنه من قولٍ، وفعلٍ، وتقريرٍ، وحركةٍ، وسكونٍ، في حال يقظته، فهو لا ينطق عن الهوى، ولا يقول إلا حقاً، في الغضب والرضا، عند الحزن والفرح.

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: كنتُ أكتبُ كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتبُ كلَّ شيءٍ تسمعه من رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ بشرٌ يتكلَّم في الغضب والرضا، فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: "**اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق**"[1].

والمقصود بما صدر عنه في حال النوم: ما رآه في نومه وأخبر به؛ لأن النبي ﷺ لا يرى إلا حقاً، ولا يستولي الشيطان على قلبه، ورؤيا الأنبياء وحي؛ لأن عينه تنام ولا ينام قلبه.

وقد حدَّثنا القرآن الكريم عن قصة نبي الله إبراهيم ﷺ وكيف همَّ بذبح ولده بناءً على رؤيا رآها في المنام، فعلم أنه أمر من الله عزَّ وجلَّ واجب التنفيذ.

وقد قال الله عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ: **(إِذْ يُرِيكَهُمُ اللهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً)**[2] فما يراه النبي ﷺ في نومه رؤيا من الله عزَّ وجلَّ وحده.

وقال تعالى: **(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ)**[3]، فرؤيا الأنبياء من عند الله عزَّ وجلَّ وهي حقٌّ وصدق.

وعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[4].

فما رآه النبي ﷺ حال نومه وحي، وهو من السنة المطهرة الواجبة الاتباع.

ومثال ذلك: ما رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**رأيتُ في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرضٍ بها نخل، فذهب وَهَلي إلى أنها اليمامة، أو هَجَر، فإذا**

---

[1] أبو داود كتاب العلم باب في كتاب العلم ٣١٧/٣ رقم: ٣٦٤٦، أحمد في المسند ٦٨/٦ رقم: ٦٥١٠، وإسناده صحيح.

[2] سورة الأنفال الآية: ٤٣.

[3] سورة الفتح الآية: ٢٧.

[4] البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي ٣٠/١ رقم: ٣، ومسلم كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١٣٩/١ رقم: ١٦٠.

هي المدينة: يثرب، ورأيتُ في رؤياي هذه أني هززتُ سيفاً فانقطع صدره، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد، ثم هززتُه أخرى فعاد أحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين، ورأيتُ فيها أيضاً بقراً والله خير، فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد، وإذا الخير ما جاء الله به من الخير بعد، وثواب الصدق الذي أتانا الله بعد يوم بدر"[1].

ومثاله أيضاً: ما روته السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها أن رسول الله ﷺ قال لها: "**أُرِيْتُكِ في المنام ثلاث ليال، جاءني بك الملك في سَرَقَةٍ من حرير، فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنتِ هي فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يُمْضِه**"[2].

ولأن هذه الرؤيا وحيٌ من عند الله عزَّ وجلَّ أمضاها الله تعالى، وتزوَّج النبي ﷺ السيدة عائشة رضي الله عنها.

واللافت للنظر في هذا الأمر أن النبي ﷺ يبدأ حديثه عن الرؤيا غالباً بقوله: أُرِيْتُ بالبناء للمجهول، وكأنه يريد أن يلفت نظر المستمع إلى أنه لا يرى بنفسه وإنما يُريه الله سبحانه ما شاء من وحيه.

والمقصود بقولنا قبل البعثة وبعدها: أننا مأمورون بالاقتداء به ﷺ في سائر أحواله، وجميع حياته، فالاقتداء به ﷺ بعد البعثة واضح، وقد اعتبر العلماء حياته قبل البعثة من السنة؛ لأن الله تعالى فَطَرَه على مكارم الأخلاق، وعصمه من مساوئها، وحفظه من آثام الجاهلية، فكان مشهوراً بينهم بالصدق والأمانة، وهذه أدلة على صدقه في ادِّعاء النبوة، ولذلك عدَّ العلماء حياته قبل البعثة جزءاً من السنة لأنها دليلٌ على صدقه.

فمن السنة نقل ما يتعلَّق بولادته، ورضاعته، ونشأته، وبعثته، وغير ذلك مما لم يعرف عن طريق قول النبي ﷺ، ومثل ذلك: وفاته، وتجهيزه، ودفنه ﷺ بأبي هو وأمه[3]، فسيرة النبي ﷺ جزءٌ من سنته.

---

[1] البخاري كتاب التعبير باب إذا رأى بقراً تنحر ٤٣٩/١٢ رقم: ٧٠٣٥، ومسلم كتاب الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ ١٧٧٩/٤ رقم: ٢٢٧٢.

[2] البخاري كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي ﷺ عائشة ٢٦٤/٧ رقم: ٣٨٩٥، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة ١٨٨٩/٤ رقم: ١٤٣٨.

[3] راجع: المدخل لدراسة السنة النبوية صـ: ٣٤.

السنة في اصطلاح الأصوليين

عرَّف علماء أصول الفقه السنة بأنها: أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته التي يُسْتدَلُّ بها على الأحكام الشرعية[1].

فهم يبحثون عن السنة بصفتها مصدراً للتشريع، وتالية للقرآن الكريم، وهذه الثلاثة هي التي تثبت الأحكام وتقرِّرها، فهي تدل على طريقته في فهم دين الله عزَّ وجلَّ والعمل به، أما أقواله، وأفعاله، وتقريراته التي تُعَدُّ من خصائصه ﷺ فليست داخلة في مفهوم السنة عند الأصوليين، وكذلك صفاته؛ لأنها لا تُفِيدُ حكماً شرعياً يتعبَّدُ الناس به.

السنة في اصطلاح الفقهاء

السنة عند الفقهاء هي: ما ثبت طلبه بدليلٍ شرعي، من غير افتراض ولا وجوب، مثل: تقديم اليمنى على اليسرى في الطهارة، ومثل الركعتين قبل الظهر[2]، فهي بمعنى المندوب والمستحب، فيثاب المسلم على فعلها، ولا يعاقب على تركها، فهي أحد الأحكام الشرعية الخمسة عند الفقهاء.

السنة عند علماء الوعظ والإرشاد

علماء الوعظ يريدون بالسنة ما يقابل البدعة، فيقال عندهم: فلانٌ على سنة إذا عمل بما يوافق الشرع، وفلانٌ على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة.

وفي بعض الآثار: ما أحدث قومٌ بدعة إلا أضاعوا مثلها من السنة.

ولذلك اشتهر على الألسنة: طلاق السنة لموافقته للسنة، وطلاق البدعة لمخالفته لها.

---

[1] راجع: فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت ٩٦/٢ على هامش المستصفى للغزالي، والإحكام في أصول الأحكام للآمدي ١٢٧/١، وإرشاد الفحول للشوكاني صـ: ٣٣.

[2] إرشاد الفحول صـ: ٣٣.

المبحث الثاني : الألفاظ المرادفة للسنة

أولاً: الحديث

تعريفه لغة: الحديث لغة: الجديد، وهو ضد القديم، وكأن أهل اللغة أرادوا بذلك مقابلته بالقرآن؛ لأنه قديم.

ويطلق في اللغة: على الكلام، قليله وكثيره؛ لأنه يحدث شيئاً فشيئاً، ويجمع على: أحاديث، خلافاً للقياس، ويطلق على: الكلام القليل والكثير[١].

تعريفه اصطلاحاً: اختلفت عبارات المُحَدِّثين في تعريف الحديث فذكروا ثلاثة أقوال:

الأول: الحديث هو ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصةً من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خِلْقِية، أو خُلُقِية، وسائر أخباره قبل البعثة وبعدها، فيدخل في ذلك أكثر ما يُذْكر في كتب السيرة كوقت ميلاد النبي ﷺ ومكانه ونحو ذلك[٢].

قال ابن تيمية: الحديث النبوي عند الإطلاق ينصرف إلى ما حُدِّث به عن النبي ﷺ بعد النبوة من قوله وفعله وإقراره، وقد يدخل فيه بعض أخباره، وبعض سيرته قبل النبوة[٣].

قال الشيخ طاهر الجزائري: هذا التعريف هو المشهور عند علماء الحديث، وهو الموافق لفنهم[٤].

وعلى هذا التعريف يكون الحديث خاصاً: بالمرفوع، ولا يُراد به: الموقوف إلا بقرينة[٥].

الثاني: الحديث هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، وما أضيف إلى الصحابة، فيكون الحديث خاصاً، بالمرفوع، والموقوف فقط.

الثالث: هو ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو صفة خلقية، أو خلقية، وكذا سائر أخباره قبل البعثة وبعدها، وما أضيف إلى الصحابة والتابعين من قول، أو فعل، فيكون الحديث شاملاً: للمرفوع، والموقوف، والمقطوع، ويكون مرادفاً للسنة على التعريف الراجح.

وهذا قول: جمهور المحدثين، وهو الصحيح المشهور استعماله عند أهل هذا الفن[٦].

---

[١] الصحاح للجوهري مادة حدث ٢٨٧/١، ولسان العرب مادة حدث ٧٦/٣، والقاموس المحيط ١٧٠/١.

[٢] راجع: تحقيق معنى السنة وبيان وجه الحاجة إليها ١٢ – ٢٣.

[٣] مجموع الفتاوى ٦/١٨.

[٤] توجيه النظر ٣٧/١.

[٥] توجيه النظر ٤٠/١.

[٦] محاضرات في علوم الحديث للدكتور التازي صـ: ٣٥.

قال الطيبي: الحديث أعم من أن يكون قول النبي ﷺ ، والصحابي، والتابعي وفعلهم، وتقريرهم.

وقال ابن حجر: الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث، فيطلقان على المرفوع، وعلى الموقوف، وعلى المقطوع[١].

ولكن جرى اصطلاح المحدثين كما صرَّح به ابن تيمية: على أن الحديث إذا أُطْلِق ينصرف إلى ما جاء عن النبي ﷺ، ولا يُستعمل في غيره إلا مقيَّداً[٢].

ثانياً: الخـبر

تعريفه لغة: الخبر لغةً هو: النبأ، وهو اسم لما يُنْقَل ويُتَحَدَّثُ به، وجمعه أخبار[٣].

تعريفه اصطلاحاً: اختلف العلماء في تعريفه اصطلاحاً على أربعة أقوال:

الأول: الخبر هو: ما جاء عن النبي ﷺ، وما جاء عن غيره من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، والحديث هو: ما جاء عن النبي ﷺ فقط، فيكون الخبر أعم من الحديث، ومن السنة أيضاً[٤].

الثاني: الحديث هو: ما جاء عن النبي ﷺ خاصة، والخبر هو ما جاء عن الصحابة والتابعين من هذه الأمة أو غيرها من الأمم السابقة[٥]، ولذلك شاع إطلاق مصطلح: الإخباري على من يشتغل بالتاريخ، بينما شاع إطلاق مصطلح: مُحَدِّث على من يشتغل بالسنة النبوية[٦].

الثالث: الخبر هو ما جاء عن النبي ﷺ خاصة، وهو اصطلاحٌ خاص لفقهاء خراسان، فإنهم يُسَمُّون المرفوع خبراً، والموقوف أثراً [٧].

الرابع: الخبر هو ما جاء عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، وما جاء عن الصحابة والتابعين، فيكون مرادفاً للسنة والحديث على التعريف الراجح لهما.

والصحيح: أن الخبر والحديث بمعنى واحد، وذلك لتماثل المدلول اللغوي بين اللفظين، فالتحديث هو الإخبار، والإخبار هو التحديث، فلا ضير في تسمية الحديث خبراً، والخبر حديثاً.

---

[١] راجع: تدريب الراوي ٤٢/١، الخلاصة للطيبي صـ: ٣٠.

[٢] مجموع الفتاوى ٦/١٨.

[٣] لسان العرب مادة خبر ١٢/٤.

[٤] راجع: شرح شرح نخبة الفكر لملا علي القاري صـ: ١٦، تدريب الراوي ٤٢/١، وظفر الأماني للتهانوي ٢٤.

[٥] تدريب الراوي ٤٢/١.

[٦] تدريب الراوي ٤٢/١، وظفر الأماني صـ: ٢٤.

[٧] نفس المرجع السابق.

الفصل الثاني

مكانة السنة ومنزلتها من القرآن

المبحث الأول : السنة وحيٌ من الله تعالى

مصادر التشريع الرئيسة في الإسلام هي: القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهَّرة الممثَّلة في: أقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وتقريراته.

والقرآن الكريم هو: كلام الله عزَّ وجلَّ المنزَّل على النبي محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام يقظةً لا مناماً، المتعبَّد بتلاوته، المتحدَّى بأقصر سورةٍ منه، وهو لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه تنزيلٌ من عزيزٍ حميد.

والسنة النبوية هي المفسرة للقرآن، والموضِّحة لمعانيه، وهي لا تصدر من النبي ﷺ من تلقاء نفسه، وإنما هي وحيٌ من الله تعالى، أوحاه الله عزَّ وجلَّ إلى نبيه ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام تارة، وعن طريق الإلهام أو النفث في الرُوع تارة، وعن طريق الموافقة والإقرار لما وصل إليه اجتهاد النبي ﷺ تارة، فالسنة هي أحد قسمي الوحي.

فالقسم الأول من الوحي هو القرآن الكريم.

والقسم الثاني من الوحي هو السنة النبوية المطهرة.

فالله عزَّ وجلَّ أوحى القرآن إلى نبيه ﷺ ثم أوحى إليه ما يوضِّحه ويفسِّره، والأدلة المثبتة لذلك كثيرة منها:

الأدلة على أن السنة وحيٌ من الله تعالى:

آيات القرآن الكريم زاخرةٌ بما يُثْبِتُ أن السنة النبوية المطهرة وحيٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ ، وأنها خالية من الخطأ والقصور، من هذه الآيات:

١. قول الله تعالى عن نبيه ﷺ: **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)**[١] فالآيتان تقرِّران بوضوح: أن النبي ﷺ لا ينطق شيئاً بهواه، وإنما ينطق بالوحي، وقد عبَّر الله عزَّ وجلَّ عن ذلك باستخدام أسلوب القصر الذي يفيد: أن النبي ﷺ لا ينطق بشيء إلا بالوحي، فجميع كلامه ﷺ محصورٌ في كونه وحياً من الله تعالى.

قال الإمام القرطبي: ما يخرج نطقه عن رأيه إنما هو بوحي من الله عزَّ وجلَّ[٢].

ولذلك حينما نهت قريش عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن كتابة أحاديث النبي ﷺ وقالوا له: إن النبي ﷺ بشرٌ يتكلَّم في الغضب والرضا فأخبر عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما النبي ﷺ بذلك فقال له النبي ﷺ: **"اكتب، فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق"**[١].

---

[١] سورة النجم الآية: ٣، ٤.

[٢] الجامع لأحكام القرآن ٩/٦٢٥٥.

فهذا الحديث يؤكِّد أن كل ما يصدر عن النبي ﷺ في كل أحواله وحي، لا فرق بين حال الرضا وحال الغضب.

قال ابن حزم: لمَّا بينَّا أن القرآن هو الأصل المرجوع إليه في الشرائع نظرنا فيه فوجدنا فيه إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ ووجدناه عزَّ وجلَّ يقول فيه واصفاً لرسوله ﷺ: **(وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)**[٢] فصحَّ لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله عزَّ وجلَّ إلى رسوله ﷺ إلى قسمين:

أحدهما: وحي متلوٌّ مؤلَّفٌ تأليفاً معجز النظام وهو القرآن.

والثاني: وحي مروي منقول غير مؤلَّف ولا معجز النظام ولا متلو ولكنه مقروء وهو: الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ وهو المبيِّن عن الله عزَّ وجلَّ مراده منا.

قال الله تعالى: **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**[٣] ووجدناه تعالى قد أوجب طاعة هذا القسم الثاني كما أوجب طاعة القسم الأول ولا فرق[٤].

فالقرآن والسنة مصدران تشريعيان متلازمان لا يمكن لمسلم أن يفهم الشريعة إلا بالرجوع إليهما معاً، ولا غنى لمجتهد أو عالم عن أحدهما، فالسنة من حيث كونها وحي بمنزلة القرآن الكريم، ولذلك قال النبي ﷺ لأصحابه: **"لا أقول إلا حقاً"**، فقال له بعض الصحابة فإنك تداعبنا يا رسول الله؟ فقال: **"إني لا أقول إلا حقاً"**[٥] ولكنها تلي القرآن بالمرتبة من حيث الاعتبار؛ لأن القرآن مقطوعٌ به جملةً وتفصيلاً، والسنة مقطوعٌ بها على الجملة لا على التفصيل، ولأنه هو الأصل وهي الفرع؛ لأنها شارحةٌ ومبيِّنةٌ له، والأصل مُقَدَّمٌ على الفرع، والبيان مُؤَخَّرٌ عن المبيَّن[٦].

٢. جاءت آياتٌ كثيرة في القرآن الكريم تبيِّن أن الله عزَّ وجلَّ أنزل على رسوله ﷺ الكتاب والحكمة، والكتاب هو: القرآن، والحكمة المنزلَّة هي: سنة النبي ﷺ عند جمهور العلماء.

---

[١] أبو داود كتاب العلم باب في كتاب العلم ٣١٧/٤ رقم: ٣٦٤٦، وأحمد في المسند ٣١٥/٦ رقم: ٦٨٠٢، وإسناده صحيح.

[٢] سورة النجم الآية: ٣،٤.

[٣] سورة النحل الآية: ٤٤.

[٤] الإحكام ٩٣/١.

[٥] الترمذي كتاب البر والصلة باب ما جاء في المزاح ٣٩٩/٣ رقم: ١٩٩٧، وقال حديث حسن صحيح، وأحمد في المسند ٣٩٩/٨ رقم: ٨٧٠٨.

[٦] راجع: أصول الحديث علومه ومصطلحه لمحمد عجاج الخطيب صـ: ٢٥.

قال تعالى: **(وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)**[١]، وقال عزَّ وجلَّ: **(وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ)**[٢].

فالله عزَّ وجلَّ يخبرنا: أنه أنزل الكتاب وهو القرآن، وعطف عليه الحكمة، والعطف يقتضي المغايرة، وأحكام الشرع تؤخذ من القرآن والسنة التي تفسِّر القرآن وتشرحه وتوضِّح معانيه، وهي مُنزَّلة كالقرآن، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **"ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"**[٣] يعني: السنة.

وقد ثبت من خلال القرآن أن الحكمة وحي من الله تعالى كالقرآن تماماً، قال تعالى: **(ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ)**[٤]، وحدَّد الله عزَّ وجلَّ وظيفة نبيه ﷺ أنه يعلِّم الناس الكتاب والحكمة فقال: **(لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)**[٥]، وقال سبحانه وتعالى: **(هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ)**[٦]، فوظيفة النبي ﷺ كما حدَّدها القرآن الكريم هي: تعليم أمته القرآن والسنة، وتزكيتهم، وتربيتهم.

وخاطب الله عزَّ وجلَّ نساء النبي ﷺ بأن بيوتهن تتلى فيها آيات الله والحكمة فقال: **(وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ)**[٧] فآيات الله تعالى هي: القرآن، والحكمة هي: السنة، وتفسير الحكمة بأنها السنة في غاية الوضوح والظهور.

قال الإمام الشافعي: ذكر الله عزَّ وجلَّ الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعتُ من أرضى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله ﷺ ، وهذا يشبه ما قال والله أعلم؛ لأن القرآن ذُكِر، واتبعته الحكمة، وذكر الله عزَّ وجلَّ منَّته على خلقه بتعليمهم الكتاب والحكمة، فلم يَجُز والله أعلم أن يُقَال: الحكمة هنا إلا سنة رسول الله ﷺ، وذلك أنها مقرونة مع كتاب الله عزَّ وجلَّ وأن الله سبحانه افترض طاعة رسوله ﷺ وحتَّم على الناس اتباع أمره، فلا يجوز أن يُقَال لقول فرض إلا لكتاب الله عزَّ وجلَّ ثم سنة رسوله ﷺ[٨].

وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء.

---

[١] سورة النساء الآية: ١١٣.

[٢] سورة البقرة الآية: ٢٣١.

[٣] أبو داود كتاب السنة باب في لزوم السنة ١٩٩/٤ رقم: ٤٦٠٤، وأحمد في المسند ٢٩١/١٣ رقم: ١٧١٠٨، وإسناده صحيح.

[٤] سورة الإسراء الآية: ٣٩.

[٥] سورة آل عمران الآية: ١٦٤.

[٦] سورة الجمعة الآية: ٢.

[٧] سورة الأحزاب الآية: ٣٤.

[٨] الرسالة صـ: ٧٨.

قال الحسن البصري وقتادة: الكتاب هو القرآن، والحكمة هي سنة رسول الله ﷺ.

وقال ابن حزم: الحكمة هي: ما أُوحي من السنة.

وقال ابن كثير مفسِّراً لقوله سبحانه: **(وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ)**[١] أي: اعملن بما يُنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة[٢].

وقال القرطبي: قال أهل العلم بالتأويل: آيات الله: القرآن، والحكمة: السنة[٣].

وقال ابن كثير: السنة تنزل على النبي ﷺ بالوحي كما ينزل القرآن إلا أنها لا تُتْلَى كما يُتْلَى القرآن[٤].

٣. حدَّد الله تعالى وظيفة نبيه ﷺ بأنها بيان القرآن، وتوضيح أحكامه، وكشف غوامضه فقال تعالى: **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**[٥] وهذا البيان بوحي من الله تعالى، قال تعالى: **(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)**[٦].

فوظيفة النبي ﷺ: بيان الوحي المتلو وهو القرآن بوحي غير متلو وهو السنة.

قال ابن كثير: أي بعد حفظه وتلاوته نبيِّنه لك، ونوضِّحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا[٧].

وقال ابن حزم: أنزل الله تعالى الذكر على النبي ﷺ ليبينه للناس، والبيان هو الكلام، فإذا تلاه النبي ﷺ فقد بيَّنه، ثم إن كان مجملاً لا يُفْهَم معناه من لفظه بيَّنه حينئذ بوحي يوحى إليه إما متلو أو غير متلو، كما قال تعالى: **(فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)**[٨] فأخبر تعالى أن بيان القرآن عليه عزَّ وجلَّ وإذا كان عليه فبيانه من عنده تعالى، والوحي كله متلوه وغير متلوه فهو من عند الله عزَّ وجلَّ[٩].

وقد قال الله عزَّ وجلَّ: **(يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)**[١٠].

---

[١] سورة الأحزاب الآية: ٣٤.

[٢] تفسير ابن كثير ٣/٥٠٢.

[٣] الجامع لأحكام القرآن ٨/٥٢٦٥.

[٤] تفسير ابن كثير ١/٣.

[٥] سورة النحل الآية: ٤٤.

[٦] سورة القيامة الآية: ١٨،١٩.

[٧] تفسير ابن كثير ٤/٤٤٩.

[٨] سورة القيامة الآية: ١٨،١٩.

[٩] الإحكام في أصول الأحكام ١/٧٨.

[١٠] سورة النساء الآية: ١٧٦.

٤. مما يثبت أن السنة وحي من الله عزَّ وجلَّ ما رواه المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"ألا إني أوتيتُ الكتاب ومثله معه"**[١].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"يُوشِك الرجل متَّكِئاً على أريكته يحدِّث بحديثٍ من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله** عزَّ وجل **، فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرامٍ حرَّمناه، ألا وإن ما حرَّم رسول الله ﷺ مثل ما حرَّم الله"**[٢].

فالنبي ﷺ يخبرنا: أن الله عزَّ وجلَّ أعطاه القرآن وحياً متلواً، وأعطاه مثله وهو: السنة، فهما في التشريع سواء، ويؤكِّد ذلك بقوله: **"ألا إن ما حرَّم رسول الله مثل ما حرَّم الله"** والنبي ﷺ يستخدم الفعل أُوتيتُ المبني للمجهول للدلالة على أن الله عزَّ وجلَّ أعطى نبيه ﷺ القرآن وأعطاه مثله، ولا نجد ما يماثل القرآن سوى السنة، فدلَّ ذلك على: أن السنة وحي من الله تعالى كالقرآن.

ولذلك قال بعض العلماء: إن الله عزَّ وجلَّ أوحى جميع السنة إلى نبيه ﷺ كما أوحى إليه القرآن.

قال حسان بن عطية: كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن، ويعلِّمه إياها كما يعلِّمه القرآن.

وقال الإمام الشوكاني معلِّقاً على الحديث أي: أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن[٣].

ولذلك كانت السنة خالية من الخطأ والباطل؛ لأن الله تعالى عصم نبيه ﷺ منهما، وأمر باتباعه والاقتداء به.

وقد يثور هنا سؤالٌ مفاده: هل معنى أن السنة وحي من الله عزَّ وجلَّ أن جبريل كان ينزل بها على النبي ﷺ كالقرآن، وليس للنبي ﷺ فيها إلا مجرد الأداء؟

ذهب بعض العلماء إلى القول بذلك، وأن السنة جميعها نزل بها جبريل على النبي ﷺ بالمعنى، ثم أدَّاها النبي ﷺ إلى أمته بألفاظه، وليس للنبي ﷺ أن يجتهد أو يضيف عليها.

وذهب جمهور العلماء إلى أن السنة تنقسم إلى قسمين:

الأول: قسمٌ أوحى الله عزَّ وجلَّ معناه إلى نبيه ﷺ بواسطة جبريل تارة، وعن طريق الإلهام أو النفث في الرُوع تارة، وفي المنام تارة أخرى، بوحي جلي أو خفي، كما في الحديث عن الله

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] الترمذي كتاب العلم باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ ٣٠٢/٤ رقم: ٢٦٧٣ وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأحمد في المسند ٢٩٦/١٣ رقم: ١٧١٢٨، وإسناده صحيح.

[٣] إرشاد الفحول صـ: ٣٣.

تعالى، وملائكته، وأنبيائه، واليوم الآخر وغير ذلك من شئون الغيب، ومن ذلك: الإخبار عن الله تعالى بأنه فرض كذا، أو أحلَّ كذا، أو حرَّم كذا، أو كره كذا، فهذا لا يكون إلا بوحي، وقد صرَّح النبي ﷺ بذلك في بعض الأحاديث.

فعن عياض بن حمار رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إن الله تعالى أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ**"[١].

ومثل حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إن روح القدس نفث في رُوعي: إن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب**"[٢].

الثاني: قسم اجتهد فيه النبي ﷺ بمقتضى ما فطره الله عزَّ وجلَّ عليه من العقل السليم، والنظر السديد، ومعرفة سنن الله تعالى في كونه، وبمقتضى معرفته بأحكام الشرع وقواعد الدين، وقد احتجَّ الجمهور لإثبات مذهبهم: بأن الله سبحانه وتعالى خاطب نبيه ﷺ كما خاطب عباده، وضرب له الأمثال، وأمره بالتدبُّر والاعتبار، وهو أجَلُّ المتفكِّرين في آيات الله سبحانه، وأعظم المعتبرين، فإذا جاز لغيره من الأمة أن يجتهد مع كونه مُعَرَّضاً للخطأ، فلأن يجوز لمن هو معصومٌ عن الخطأ بالأولى[٣].

والقول بعدم اجتهاد النبي ﷺ يسلبه بعض خصائصه ومزاياه من: الفهم الثاقب، والرأي الصائب، ويخالف ما كان عليه النبي ﷺ مما أثبتته كتب السنة حيث كان يجتهد في أمور الحرب ومصالح المسلمين، واجتهاده يعتبر وحياً من الله تعالى؛ لأن الله عزَّ وجلَّ يُقِرُّه إذا أصاب، وينبِّهه إذا أخطأ أو فعل خلاف الأولى، وما وقع في القرآن من عتاب الله عزَّ وجلَّ لنبيه ﷺ في بعض الأمور كقضية أسرى بدر، وقضية زينب بنت جحش، وقضية إذنه للمنافقين بالتخلُّف عن الجهاد معه، وقضية تحريمه لبعض ما أحلَّه الله عزَّ وجلَّ له ونحو ذلك فمعناه: أن الله عزَّ وجلَّ يقره إذا أصاب، وينبِّهه إذا أخطأ، فما أقرَّه الله عزَّ وجلَّ من اجتهاد نبيه ﷺ فمعناه رضاه عنه، ولذلك اعتبر العلماء اجتهاد النبي ﷺ وحياً من الله عزَّ وجلَّ ؛ لأنه معصومٌ من الخطأ، فلا يُقر عليه.

---

[١] مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ٢١٩٩/٤ رقم: ٢٨٦٥.

[٢] الطبراني في المعجم الكبير ١٦٦/٨ رقم: ٧٦٩٤، قال الهيثمي: فيه عفير بن معدان وهو ضعيف ٧٢/٤.

[٣] راجع: إرشاد الفحول ص: ٣٣٨.

فلا تعارض حينئذٍ بين ما قرَّره جمهور العلماء من: أن السنة وحي من الله تعالى، وأن للنبي ﷺ أن يجتهد[1]، ولذلك نُسِبَت ألفاظ الأحاديث إلى النبي ﷺ لأنه المتكلِّم بها، مع اليقين أنها وحي من الله تعالى بشكلٍ مباشر أو غير مباشر.

وقد صحَّ في الحديث: أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أرأيتَ إن قُتِلتُ في سبيل الله تُكَفَّرُ عني خطاياي؟ فقال له النبي ﷺ: "**نعم، إن قتلتَ في سبيل الله وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر**" ثم قال رسول الله ﷺ: " كيف قلتَ؟ فأعاد الرجل قوله فقال له النبي ﷺ: "**نعم، إن قتلتَ وأنت صابر محتسب، مقبل غير مدبر، إلا الدين، فإن جبريل قال لي ذلك**"[2].

فهذا الاستدراك من النبي ﷺ الذي أسعفه به جبريل عليه السلام تصحيحاً لما أجاب به السائل أوَّلاً يدل على أنه إذا أخطأ في شيءٍ نزل الوحي مصحِّحاً لأن الله عزَّ وجلَّ لا يُقِرُّه على خطأ.

فالسنة بقسميها وحي من الله تعالى، واجبة الاتباع كالقرآن، وصدق الله تعالى: **(مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً)**[3].

---

[1] راجع: الحديث والمحدثون صـ: ١٥،١٦.

[2] مسلم كتاب الإمارة باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين ٣/١٥٠١ رقم: ١٨٨٥.

[3] سورة النساء الآية: ٨٠.

المبحث الثاني : منزلة السنة من القرآن

القرآن الكريم والسنة المطهرة هما مرجع المسلم في التعرُّف على أحكام الإسلام، وهما مصدر التشريع، وأساس تلقِّي أحكام الشرع، والسنة تشرح القرآن وتبينه، قال تعالى: **(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)**[1]، ومنزلة المبيِّن تلي منزلة البيان، وقد ثبت القرآن جميعه تواتراً، فهو قطعيُّ الثبوت، أما السنة فقد ثبت بعضها تواتراً ومعظمها ثبت بطريق الآحاد.

ولذلك كانت الأحكام الشرعية تُطْلَب أولاً في القرآن الكريم، فإن لم تُوجَد ففي السنة، وباستقراء أدلة الأحكام الشرعية نجد أن كثيراً منها ثابت بالقرآن والسنة معاً، ومن الأحكام ما أثبته القرآن إجمالاً وبيَّنته السنة تفصيلاً، ومن الأحكام ما انفردت السنة ببيانه ولم يعرض له القرآن، ومن ثم يمكننا أن نقسم السنة من حيث علاقتها بالقرآن إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسمٌ يؤيِّد ويؤكِّد ما جاء به القرآن الكريم دون إضافة تفصيلات، والهدف من هذا القسم هو: تأكيد الحكم وتقويته، فالشيء الذي يدل عليه دليلان أقوى من الشيء الذي دلَّ عليه دليلٌ واحد، وذلك كالأحاديث الآمرة بالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والأحاديث التي تدعو إلى بر الوالدين، وصلة الرحم، وإكرام الجار، وكثير من أحاديث الترغيب والترهيب، والمواعظ والقصص تدخل في هذا القسم، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا كحديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **"إن الله يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ: (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ)**[2]، فالحديث يوافق الآية المذكورة تماماً ويؤكِّدها.

الثاني: أن تأتي السنة مفسِّرة وموضِّحة ومبيِّنة للقرآن، وهذا ما تمثِّله معظم الأحاديث، وهو الدور الرئيس للسنة، وبيان السنة للقرآن يكون على عِدَّةِ وجوه:

الأول: تفصيل المجمل، بأن تأتي بعض الأحكام مجملة في القرآن فتتكفل السنة بتفصيل هذا الإجمال ولذلك أمثلة كثيرة منها:

١- أمر الله تعالى في القرآن بأداء الصلاة أمراً مجملاً، فقامت السنة ببيان مراد الله عزَّ وجلَّ من ذلك، فحدَّدت مواقيت الصلاة، وعدد ركعاتها، وأركانها، وسننها، وما يلزم لصحتها،

---

[1] سورة النحل الآية: ٤٤.

[2] سورة هود الآية: ١٠٢، والحديث أخرجه: البخاري كتاب تفسير القرآن باب قوله تعالى "وكذلك أخذ ربك" الآية ٨/٢٠٥ رقم: ٤٦٨٦، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ٤/١٩٩٧ رقم: ٢٥٨٣.

وكل ما يتعلَّق بها، وذلك بيانٌ لقول الله تعالى: **(وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ)**[1].

٢- أمر الله تعالى في القرآن بإيتاء الزكاة أمراً مجملاً، فجاءت السنة وبيَّنت المراد منها، فحدَّدت أموالها، ونصابها، ومقدار الواجب فيها، ومتى تجب، إلى غير ذلك مما يتعلق بها وذلك بيان لقول الله تعالى: **(وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ)**[2].

ومثل ذلك يُقَال: في الصوم، والحج، والمعاملات، والجهاد وغيرها.

الثاني: تخصيص العام، وذلك بأن تأتي في القرآن أحكامٌ عامة فتأتي السنة وتخصِّص هذا العموم، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

أ- ما حكاه ابن مسعود رضي الله عنه قال: لمَّا نزلت: **(الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ)**[3] شقَّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: **"ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: (لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)**[4].

ففهم الصحابة رضي الله عنهم: أن الآية تعم كل أنواع الظلم، فبيَّن لهم النبي ﷺ أن الظلم الذي يُحْرَم صاحبه من الأمن يوم القيامة إنما هو ظلمٌ خاص وهو الشرك.

ب- قال تعالى: **(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ)**[5] فالآية حرَّمت كلَّ ميتة، وكل دم، فجاءت السنة وخصَّت نوعين من الميتة ونوعين من الدم.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **"أُحِلَّت لنا ميتتان ودمان، فأما الميتتان: فالحوت، والجراد، وأما الدمان: فالكبد، والطحال"**[6]، فالسنة خصصت ما جاء في الآية.

ج- جاءت آيات المواريث عامة، فحدَّدت الأنصبة، وأعطت لكل وارثٍ حقَّه فجاءت السنة وخصَّصت عموم الوارث بغير القاتل، فقال رسول الله ﷺ: **"لا يرث القاتل"**[1]، وخصَّصت

---

[1] سورة البقرة الآية: ٤٣.

[2] سورة البقرة الآية: ٤٣.

[3] سورة الأنعام الآية: ٨٢.

[4] سورة لقمان الآية: ١٣، والحديث أخرجه: البخاري كتاب استتابة المرتدين باب ما جاء في المتأولين ٣١٧/١٢ رقم: ٦٩٣٧، ومسلم كتاب الإيمان باب صدق الإيمان وإخلاصه ١١٤/١ رقم: ١٢٤.

[5] سورة المائدة الآية: ٣.

[6] أحمد في المسند ٢١٢/٥ رقم: ٥٧٢٣، وابن ماجه كتاب الأطعمة باب الكبد والطحال ١١٠١/٢ رقم: ٣٣١٤.

عموم المورِّثين بغير الأنبياء عليهم السلام، فقال رسول الله ﷺ: **"لا نُورَث ما تركنا صدقة"**[٢]، كما خصَّصت السنة الاثنين معاً بقول النبي ﷺ: **"لا يرث المؤمن الكافر، ولا يرث الكافر المؤمن"**[٣].

فآيات المواريث عامة، وخصَّصتها السنة: بأن القاتل لا يرث، والأنبياء لا يورثوا، وأنه لا ميراث عند اختلاف الدين.

الثالث: تقييد المطلق، فقد ترد في القرآن بعض الآيات المطلقة فتأتي السنة فتقيِّدها ومثال ذلك:

أ- قول الله تعالى: **(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)**[٤] فالآية أمرت: بقطع يد السارق دون أن تُحَدِّد موضع القطع، فجاءت السنة وقيَّدت القطع بأنه: إلى المِفْصَل أي مفصل الكوع.

ب- فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ، وأبو بكر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه، وعثمان رضي الله عنه يقطعون السارق من المفصل[٥].

ج- قال تعالى بعد تحديد أنصبة الورثة: **(مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ)**[٦] فأجازت الآية للإنسان أن يكتب وصيته في ماله، وأنها تنفذ قبل أن يأخذ الورثة أنصبتهم، ولم تحدِّد الآية: المقدار الذي تكون فيه الوصية، فجاءت السنة النبوية وحدَّدت مقدار الوصية بما لا يزيد على الثلث، ففي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في قصة مرضه: أنه أراد أن يوصِي بنصف ماله فقال له النبي ﷺ: **"الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفَّفون الناس"**[٧].

---

[١] أبو داود كتاب الديات باب ديات الأعضاء ١٨٧/٤ رقم: ٤٥٩٤، والترمذي كتاب الفرائض باب ما جاء في إبطال ميراث القاتل ٣٦/٤ رقم: ٢١١٦.

[٢] البخاري كتاب المغازي باب حديث بني النضير ٣٩٠/٧ رقم: ٤٠٣٦، ومسلم كتاب الجهاد والسير باب قول النبي ﷺ لا نورث ما تركنا فهو صدقة ١٣٨٠/٣ رقم: ١٧٥٩.

[٣] البخاري كتاب المغازي باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح؟ ٦٠٦/٧ رقم: ٤٢٨٣.

[٤] سورة المائدة الآية: ٣٨.

[٥] أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الحدود. راجع: تلخيص الحبير ٧١/٤، ولسان الميزان لابن حجر ٤٠٠/٤.

[٦] سورة النساء الآية: ١٢.

[٧] البخاري كتاب المغازي باب حجة الوداع ٧١٢/٧ رقم: ٤٤٠٩، ومسلم كتاب الوصية باب الوصية بالثلث ١٢٥٠/٣رقم: ١٦٢٨.

د- توضيح المُشْكِل: فقد ترد في القرآن الكريم آياتٌ مشكلة ومتعارضة من حيث الظاهر مع غيرها من الآيات، أو متعارضة مع أحاديث النبي ﷺ، فتأتي السنة فتوضِّح الإشكال، وتزيل هذا التعارض المُتَوَهَّم، وقد تتعارض السنة مع ظاهر فهم الناس، ومن أمثلة ذلك:

(١) حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "**من حُوسِب يوم القيامة عُذِّب**" فقلتُ: أليس قد قال الله عزَّ وجلَّ: **(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً)**[١] فقال النبي ﷺ: "**ليس ذلك الحساب، وإنما ذاك العرض، من نُوقِش الحساب يوم القيامة عُذِّب**"[٢].

فالسيدة عائشة رضي الله عنها فهمت: أن الحساب المذكور في الآية هو الحساب المذكور في الحديث، فنشأ عندها هذا الإشكال، فسألت النبي ﷺ مستوضحة، فبيَّن لها النبي ﷺ أن المراد بالحساب في الآية هو: العرض، والمراد بالحساب في الحديث هو: المناقشة، فلا تعارض ولا إشكال، وإنما ينشأ معظم التعارض من اتحاد الجهة، والجهة هنا مختلفة، فزال التعارض.

(٢) لمَّا نزل قول الله تعالى: **(وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ)**[٣] قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: عمدتُ إلى عِقَالين، أحدهما أسود، والآخر أبيض قال: فجعلتُهما تحت وسادتي، وجعلتُ أنظر إليهما، فلما تبيَّن لي الأبيض من الأسود أمسكتُ، فلما أصبحتُ غدوتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرتُه بالذي صنعت فقال: "**إن وسادك لعريض، إنما ذلك: بياض النهار من سواد الليل**"[٤].

فقد فهم عدي رضي الله عنه أن المراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود: حقيقتهما، فبيَّن له النبي ﷺ أن المراد بالخيط الأبيض: بياض النهار، وبالخيط الأسود: سواد الليل.

الثالث: أن تدل السنة على حكمٍ سكت عنه القرآن، فلم يحله ولم يحرِّمه، وذلك كثيرٌ في السنة، ومن أمثلته: تحريم الجمع بين المرأة وعمتها، أو خالتها، وميراث الجدة، وأحكام الشفعة، وأنه يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب، وتحريم لحوم الحمر الأهلية، وتحريم كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطير، وتحريم أواني الذهب والفضة على الرجال والنساء، وتحريم التحلِّي بالذهب والحرير على الرجال خاصة وحله للنساء، والنهي عن اتخاذ القبور

---

(١) سورة الانشقاق الآية: ٨.

(٢) البخاري كتاب العلم باب من سمع شيئاً فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه ١/٢٣٧ رقم: ١٠٣، ومسلم الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب إثبات الحساب٤/٢٢٠٤ رقم: ٢٨٧٦.

(٣) سورة البقرة الآية: ١٨٧.

(٤) البخاري كتاب الصوم باب قول الله تعالى "وكلوا واشربوا حتى يتبين.... الآية ٤/١٥٧ رقم: ١٩١٦، ومسلم كتاب الصوم باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ٢/٧٦٦ رقم: ١٠٩٠.

مساجد، ولعن الواشمة، والنامصة، والمتنمصة، والواصلة، والمستوصلة، وأن من بدَّل دينه يقتل، إلى غير ذلك من الأحكام التي استقلَّت السنة ببيان حكمها ولم يرد لها ذكرٌ في القرآن[١].

وطاعة الرسول ﷺ فيها واجبة، ولذلك جعل الله عزَّ وجلَّ له طاعةً مستقلة فقال: **(وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ)**[٢]، وجعل الله عزَّ وجلَّ طاعة رسوله ﷺ من طاعته فقال: **(مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً)**[٣]، وقال تعالى: **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)**[٤].

وهذا القسم ليس معارضاً للقرآن، وإنما هو ابتداء تشريع ممن له حق التشريع وهو: النبي ﷺ، وطاعته فيه واجبة، ومعصيته حرام، ولا يُعَدُّ هذا تقديماً للسنة على القرآن، بل هو امتثالٌ لأمر الله تعالى في القرآن بطاعة الرسول ﷺ، ولو كان الرسول ﷺ لا يُطاع في هذا القسم لم تكن لطاعته معنى، ولسقطت طاعته المختصة به.

قال الإمام الشافعي: فرض الله تعالى في كتابه طاعة رسوله ﷺ، والانتهاء إلى حكمه، فمن قَبِل عن رسول الله ﷺ فبفرض الله عزَّ وجلَّ قبل[٥].

ومن العلماء من لم ير هذا استقلالاً من السنة بتشريع الأحكام، وإنما ردَّه إلى حكم القرآن بوجهٍ من الوجوه كالقياس على ما نصَّ عليه القرآن، أو الاندراج تحت قواعده، ونحو ذلك وهذا الرأي ضعيفٌ يحمل قائله على التعسُّف في ردِّ أحكام السنة إلى أحكام القرآن، وإنما الصحيح المعقول أن نقول: إن للسنة أن تنفرد ببيان بعض أحكام الشرع كالقرآن تماماً.

والنتيجة: أن علماء الإسلام متفقين على: أن للسنة أن تحِلَّ، وتحرم، وتوجب، وتسقط، سواءً سُمِّي ذلك استقلالاً بالتشريع كما صرَّح بذلك الجمهور، أم لم يسمَّ استقلالاً كما صرَّح به البعض[٦].

---

[١] راجع: إعلام الموقعين ٢/٢٨٩.

[٢] سورة المائدة الآية: ٩٢.

[٣] سورة النساء الآية: ٨٠.

[٤] سورة الحشر الآية: ٧.

[٥] الرسالة صـ: ١٤.

[٦] راجع: إعلام الموقعين لابن القيم ٢/٢٨٨ – ٣٩٤، والسنة ومكانتها في التشريع للدكتور مصطفى السباعي صـ: ٢٨١ – ٢٨٥.

الفصل الثالث

السنه في عصر الصحابة

المبحث الأول : بواعث الصحابة في خدمة السنة

هناك بواعث كثيرة جعلت الصحابة رضوان الله عليهم يحرصون على خدمة السنة، ودفعت هممهم لحمايتها والدفاع عنها، وصيانتها من الزيادة والنقصان، ومن أهمِّ هذه البواعث:

الباعث الأول : معرفتهم بأهمية السنة ومكانتها

أدرك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم منذ أيَّام الإسلام الأولى مكانة السنة المطهرة، ومنزلتها من الإسلام، وأنها وحيٌ من الله عزَّ وجلَّ، تُفَسِّر القرآن، وتُوضِّح مجمله، وتخصِّص عامه، وتُقيِّد مطلقه، وتُوضِّح مشكله، فهي جزءٌ من الدين، اتِّباعها واجب، ومخالفتها حرام، وقد أكَّدت هذا المعنى في أذهان الصحابة رضوان الله عليهم وبنته في نفوسهم آيات كثيرة من القرآن الكريم نذكر بعضاً منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- فقد أمرهم الله عزَّ وجلَّ بطاعة رسوله ﷺ طاعةً مطلقة وقرنها بطاعته، فقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ)**[١]، وأمر باتباعه ﷺ في كل ما جاء به من الأمر والنهي فقال تعالى: **(وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)**[٢].

٢- وجعل الله عزَّ وجلَّ طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله عزَّ وجلَّ، ومعصيته ﷺ من معصية الله عزَّ وجلَّ، فقال تعالى: **(مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ)**[٣].

٣- وجعل الله عزَّ وجلَّ الهدى في طاعة رسوله ﷺ فقال: **(وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا)**[٤]، وقال: **(وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)**[٥]، والرحمة في طاعته ﷺ فقال: **(وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)**[٦].

٤- وجعل الله عزَّ وجلَّ اتباع الرسول ﷺ دليلاً على محبته عزَّ وجلَّ، ومُوَصِّلاً إلى مغفرته فقال: **(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)**[٧].

٥- وبيَّن لهم ضرورة الاستجابة لدعوته ﷺ وأن فيها الحياة فقال عزَّ وجلَّ: **(يَا أَيُّها الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وللرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ)**[١].

---

[١] سورة النساء الآية رقم: ٥٩.

[٢] سورة الحشر الآية رقم: ٧.

[٣] سورة النساء الآية رقم: ٨٠.

[٤] سورة النور الآية رقم: ٥٤.

[٥] سورة الأعراف الآية رقم: ١٥٨.

[٦] سورة آل عمران الآية رقم: ١٣٢.

[٧] سورة آل عمران الآية رقم: ٣١.

وحذَّر من مخالفة أمره ﷺ وبيَّن أنها تُوقِعُ في الفتنة والعذاب الأليم فقال تعالى: **(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)**[٢]، كما تُوقِع في الضلال المبين **(وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَـهُ فَقَدْ ضَـلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً)**[٣]، بل إن مخالفتـه في طريقتـه ﷺ كفر، قال تعالى: **(قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِنَّ تَوَلَّوا فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ)**[٤].

٦- وجعل من شروط الإيمان: الرجوع إليه ﷺ عند التنازع فقال تعالى: **(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ)**[٥].

٧- وبيَّن أن من صفات المؤمنين قبول حكمه ﷺ والتزام أمره ﷺ فقال عزَّ وجلَّ: **(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ)**[٦].

يقول ابن كثير: فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ بشيئٍ فليس لأحدٍ مخالفته، ولا اختيار لأحدٍ ههنا، ولا رأي ولا قول[٧].

٨- كما أقسم الله عزَّ وجلَّ على نفي الإيمان عمَّن أعرض عن تحكيمه ﷺ، أو قَبِل حكمه ﷺ غير راضٍ عنه ولا مُسَلِّمٍ به فقال تعالى: **(فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)**[٨].

قال ابن القيم: أقسم الله سبحانه بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يُحكِّموا رسوله ﷺ في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرَّده حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه، ولم يكتف أيضاً منهم بذلك حتى يُسَلِّموا تسليما، وينقادوا انقيادا[٩].

---

(١) سورة الأنفال الآية رقم: ٢٤.

(٢) سورة النور الآية رقم: ٦٣.

(٣) سور الأحزاب الآية رقم: ٣٦.

(٤) سورة النساء الآية رقم: ٣٢.

(٥) سورة النساء الآية رقم: ٥٩.

(٦) سورة الأحزاب الآية رقم: ٣٦.

(٧) تفسير ابن كثير ٥٠٦/٣.

(٨) سورة النساء الآية رقم: ٦٥.

(٩) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٥١/١.

٩- وجعل وظيفة النبي ﷺ بيان الوحي المتلو وهو: القرآن بوحيٍ غير متلو وهو: السنة، فقال تعالى: **(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ)**[١]، فأدرك الصحابة الكرام أن السنة مُبيِّنة للقرآن، وشارحة له، ولا تستقيم عبادة المسلم إلا بمعرفتها.

١٠- كما أمر سبحانه وتعالى بالاقتداء به ﷺ في جميع مناحي الحياة فقال تعالى: **(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً)**[٢].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تدعو إلى طاعة الرسول ﷺ، ووجوب اتباع سنته ﷺ والتحذير من مخالفته ﷺ وجَعْلِ رضا الله عزَّ وجلَّ ومغفرته ودخول جنته مبنيَّاً على: طاعة الرسول ﷺ.

وكما أمر الله عزَّ وجلَّ المؤمنين بطاعة رسوله ﷺ وبيَّن لهم أهمية سنته ﷺ فقد أرشد الرسول ﷺ أصحابه وأمته من بعدهم إلى أهمية سنته ﷺ ووجوب اتباعها في أحاديث كثيرة نذكر بعضاً منها:

١- جعل النبي ﷺ طاعته طاعةً لله عزَّ وجلَّ، ومعصيته معصيةً لله عزَّ وجلَّ فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ)**[٣].

٢- وأرشدهم إلى وجوب طاعته فيما أمر، وحذَّرهم من مخالفة أمره فيما نهى فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوه)**[٤].

٣- وبيَّن لهم أن السنة وحيٌ كالقرآن فقال لهم ﷺ: **(أَلاَ إِنِّي أُوتِيتُ الكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)**[٥].

قال الإمام الشوكاني: أي: أوتيتُ القرآن، وأوتيتُ مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن[٦].

٤- وحذَّرهم من ترك السنة بزعم الاكتفاء بالقرآن فقال لهم ﷺ: **(يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ ، يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ)**[١].

---

[١] سورة النحل الآية رقم: ٤٤.

[٢] سورة الأحزاب الآية رقم: ٢١.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام باب قول الله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ١١٩/١٣ رقم: ٧١٣٧، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية ١٤٦٦/٣ رقم: ١٨٣٥ كلاهما بلفظه.

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر ٩٧٥/٢ رقم: ١٣٣٧.

[٥] أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة باب في لزوم السنة ١٩٩/٤ رقم: ٤٦٠٤، وأحمد في مسنده ٢٩١/١٣ رقم: ١٧١٠٨ كلاهما بلفظه قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٦] إرشاد الفحول صـ: ٣٣.

ولقد علم المسلمون هذه الحقائق فنزلت السنة من قلوبهم منزلة القرآن، فما حرَّمه رسول الله ﷺ فقد حرَّمه الله عزَّ وجلَّ، وما أحلَّه رسول الله ﷺ فقد أحلَّه الله عزَّ وجلَّ؛ لأن الرسول ﷺ مُبَلِّغٌ عن ربه عزَّ وجلَّ، ومُظهرٌ لأحكامه.

٥- وأمرهم وهو يعظهم أن يتبعوا سنته اتباعاً مطلقاً فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وَعَظَنَا رسول الله ﷺ موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مُوَدِّع فماذا تعهد إلينا؟، فقال ﷺ: **(أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدَاً حَبَشِياً، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفَاً كَثِيرَاً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ المَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذْ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٍ)**[٢].

٦- كما بيَّن لهم أن كلَّ عملٍ يُخَالِف أمره ﷺ فهو مردود فقال ﷺ: **(مَنْ عَمِل عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ ردٌّ)**[٣].

٧- وتبرَّأ من كل من يُخَالِف سنته ﷺ فقال ﷺ **(فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي)**[٤].

٨- وجعل ﷺ دخول الجنة موقوفاً على طاعته فقال ﷺ **(كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلاَ مَنْ أَبِى)** قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال ﷺ **(مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى)**[٥].

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه بلفظه كتاب السنة باب في لزوم السنة ١٩٩/٤ رقم: ٤٦٠٤، والترمذي في سننه كتاب العلم باب ما نُهِيَ عنه أن يُقَال عند حديث النبي ﷺ ٣٠٢/٤ رقم: ٢٦٧٢ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، وابن ماجه في مقدمة سننه باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه ٦/١ رقم: ١٢، وأحمد في المسند ٢٩٦/١٣ رقم: ١٧١٠٨، والحاكم في المستدرك كتاب العلم باب إن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله عزَّ وجلَّ ١٠٩/١ كلهم رووا الحديث عن المقدام بن معدي كرب بألفاظٍ متقاربة واللفظ لأبي داود، قلت: إسناده صحح ورجاله ثقات.

[٢] أخرجه أبو داود في سننه بلفظه كتاب السنة باب في لزوم السنة ٢٠٠/٤ رقم: ٤٦٠٧، والترمذي في سننه كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ٣٠٨/٤ رقم: ٢٦٨٥ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، وابن ماجه في مقدمة سننه باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١٥/١ رقم: ٤٢، وأحمد في مسنده ٢٧٨/١٣ رقم: ١٧٠٧٧، والحاكم في المستدرك كتاب العلم باب فضيلة مذاكرة الحديث ٩٥/١ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ وليس له علة ووافقه الذهبي، كلهم رووه بألفاظ متقاربة، قلت: إسناد الحديث صحيح ورجاله ثقات.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣ رقم: ١٧١٨.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح ٥/٩ رقم: ٥٠٦٣، ومسلم في صحيحه كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه ١٠٢٠/٢ رقم: ١٤٠١ كلاهما بلفظه.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ٢٦٣/١٣ رقم : ٧٢٨٠.

كلُّ هذه النصوص وغيرها كثير جعلت الصحابة رضوان الله عليهم يُدْرِكُون مكانة السنة المطهرة، وأنها هي التي تشرح آيات القرآن، وأن الإسلام لا يصح ولا يُقْبَلُ إلا بها، ومن أجل ذلك تفانوا في حفظها، وفهمها، والعمل بها، ونقلها إلى الأجيال التالية.

قال أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه: لستُ تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملتُ به، إنّي أخشى إن تركتُ شيئاً من أمره ﷺ أن أزيغ[١].

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إن الله عزَّ وجلَّ بعث إلينا محمداً ﷺ ولا نعلم شيئاً، فإنما نفعل كما رأينا محمداً ﷺ يفعل[٢].

وفي رواية عنه قال: وكنا ضُلَّالاً فهدانا الله به، فبه نقتدي[٣].

كل هذه النصوص وغيرها كثير جعلت الصحابة رضوان الله عليهم يُدركون مكانة السنة النبوية المطهرة، ويعرفون أهميتها، فيحرصون على سماعها وفهمها، والعمل بها، ثم نقلها إلى الأجيال التالية.

---

[١] جزءٌ من حديثٍ طويل أخرجه أحمد في مسنده ١٧٩/١ رقم: ٢٥، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، قلت: هو كما قال إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٢] جزء من حديث أخرجه أحمد في مسنده بلفظه ١٨٣/٥ رقم: ٥٦٨٣، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، والنسائي في السنن الكبرى بدون الكلمة الأخيرة كتاب قصر الصلاة في السفر باب تقصير الصلاة في السفر ٥٨٣/١ رقم: ١٨٩٢، قلت: إسناده حسن فيه عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ صدوق تقريب التهذيب ٢٨١/١.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ١٩٠/٥ رقم: ٥٦٩٨، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح قلت: إسناده حسن رجاله ثقات عدا مطر – بفتحتين - الورَّاق صدوق كثير الخطأ وقد روى له البخاري تعليقا تقريب التهذيب ٥٨٧/٢ رقم: ٦٩٧٠.

الباعث الثاني: ترغيب الشريعة الإسلامية في تحمُّل العلم وتبليغه

جاءت نصوصٌ شرعيَّةٌ كثيرةٌ تأمر المسلمين بضرورة تحمُّل العلم وتبليغه، والتحذير من كتمانه، وهذه بعض النصوص:

١- قال تعالى: **(وَمَا كَانَ المُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُواْ كَافَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)**[١].

٢- وقال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى مِنْ بَعْد مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)**[٢].

ولذلك قال أبو هريرة رضي الله عنه[٣]: لولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدَّثْتُ شيئاً أبداً **(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى** ... إلى آخر الآيتين[٤].

وقال أيضاً[٥]: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدَّثْتُكم بشيء ثم تلا: **(وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ)** [٦].

وجاء عن أبي ذرٍ الغفاري رضي الله عنه أنه قال: لو وضعتم الصَّمصامة[٧] على هذه – وأشار إلى قفاه– ثم ظننتُ أني أُنْفِذُ كلمةً سمعتُها من النبي ﷺ قبل أن تُجيزوا عليَّ لأنفذتُها[٨].

والمراد بذلك: أنه سيبلِّغ ما تحمَّله من النبي ﷺ في كل حال، ولا ينتهي

---

(١) سورة التوبة الآية رقم: ١٢٢.

(٢) سورة البقرة الآية رقم: ١٥٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب حفظ العلم ٢٥٨/١ رقم: ١١٨، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه ١٩٤٠/٤ رقم:٢٤٩٢ كلاهما بلفظه.

(٤) سورة البقرة الآيتان رقم: ١٥٩، ١٦٠.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب العلم ١٠٨/١ وقال: هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم ولا أعلم له علة ولم يُخرجاه ووافقه الذهبي، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٦) سورة آل عمران الآية رقم: ١٨٧.

(٧) الصمصامة هي: السيف القاطع الذي لا ينثني انظر: فتح الباري ١٩٤/١، والنهاية في غريب الحديث والأثر ٤٩/٢.

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل ١٩٢/١، وذكر ابن حجر أن الدارمي وصله فتح الباري ١٩٤/١، وأخرجه الدارمي في سننه بلفظه المقدمة باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن ١٤٦/١ رقم: ٥٤٥، قلت: إسناده حسن مرثد الزِّمَّاني الراوي عن أبي ذر مقبول وأصل الحديث معلقاً في الصحيح تقريب التهذيب ٥٧٥/٢ رقم: ٦٨١٥.

عن ذلك، ولو أشرف على القتل[١].

٣- وحذَّرهم النبي ﷺ من كتمان العلم أشدَّ التحذير فقال لهم ﷺ **(مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ القِيَامَةِ)**[٢].

٤- وكان الرسول ﷺ يخطب أصحابه رضوان الله عليهم ويُعَلِّمُهُم ويُرْشِدُهُم إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، ثم يقول لهم ﷺ **(لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ)** [٣].

٥- وبيَّن الرسول ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم فضل تبليغ العلم فقال ﷺ **(مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ)** [٤]، وقال ﷺ أيضاً: **(مَنْ دَعَا إِلَى هُدَى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لاَ يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئَاً)** [٥].

٦- ورغَّبهم النبي ﷺ في تبليغ العلم ووعدهم الأجر العظيم والثواب الجزيل على ذلك في الدنيا والآخرة فقال لهم ﷺ **(نَضَّرَ اللهُ امرَءاً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثاً فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهِ)**[٦]، وبذلك أصبح حفظ الحديث واجباً؛ لكي يخرج المسلم من مسؤولية التبليغ الذي أمرهم به رسول الله ﷺ.

---

(١) فتح الباري ١٩٤/١.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه بلفظه كتاب العلم باب كراهية منع العلم ٣٢٠/٣ رقم: ٣٦٥٨، وأخرجه الترمذي في سننه بنحوه كتاب العلم باب ما جاء في كتمان العلم ٢٩٥/٤ رقم: ٢٦٥٨ وقال: حديث أبي هريرة رضي الله عنه حديثٌ حسن، وأحمد في مسنده بلفظه ٣٤١/٨ رقم: ٨٥١٤، وابن حبان في صحيحه، انظر: الإحسان ٢٩٨/١ رقم: ٩٦، والحاكم في المستدرك بنحوه ١٠٢/١ كتاب العلم باب من سُئل عن علم فكتمه جيئ به يوم القيامة وقد أُلجم بلجامٍ من نار وقال: إسناده صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، ورمز السيوطي لصحته في الجامع الصغير وقال المناوي في فيض القدير: إسناده صحيح ليس فيه مجروح فيض القدير ٢٧٦/٦، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب العلم باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع ١٩٠/١ رقم: ٦٧، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ١٣٠٥/٣ رقم: ١٦٧٩.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوبٍ وغيره ١٥٠٦/٣ رقم: ١٨٩٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٢٠٦٠/٤ رقم: ٢٦٧٤.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه بلفظه كتاب العلم باب فضل نشر العلم ٣٢١/٣ رقم: ٣٦٦٠، وأخرجه بنحوه: الترمذي في سننه كتاب العلم باب ما جاء في الحثِّ على تبليغ السماع ٢٩٨/٤ رقم: ٢٦٦٥ وقال: حديثٌ حسن، وابن ماجه في مقدمة سننه باب من بلَّغ علما ٨٤/١ رقم: ٢٣٠، وأحمد في مسنده ٣٢/١٦ رقم: ٢١٤٨٢، والحاكم في المستدرك كتاب العلم ٨٧/١ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين قاعدة من قواعد أصحاب الروايات ولم يُخرجاه ووافقه الذهبي، وقال ابن حجر: حديث زيد بن ثابت هذا صحيح فيض القدير ٣٧٠/٦.

٧- وحضَّهم ﷺ على تبليغ القليل والكثير من العلم حتى قال لهم ﷺ **(بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)**[١].

٨- كما حضَّهم ﷺ على تلقِّي الحديث وتبليغه فقال لهم ﷺ **(تَسْمَعُون ويُسْمَعُ مِنْكُمْ، ويُسْمَعُ مِمَّنْ سَمِعُ مِنْكُمْ)** [٢].

والحديث وإن ورد بصيغة الخبر فإن معناه الأمر، أي: لتسمعوا مني الحديث، وتبلِّغوه عني، وليسمعه منكم مَنْ بعدكم، وهكذا أداءً للأمانة[٣].

٩- وكان ﷺ يُوصِي أصحابه رضوان الله عليهم الذين يفدون إليه لتلقِّي العلم فيقول لهم ﷺ **(احفَظُوهُ، وَأَخْبِرُوهُ مَنْ وَرَائَكُمْ)**[٤].

١٠- وأخبرهم ﷺ أن هداية الضال بتبليغه العلم، وتعليمه أحكام الشريعة خيرٌ لهم من حمر النعم[٥] فقال ﷺ **(فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِي اللهُ بِكَ رَجُلاً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرِ النَّعَمِ)**[٦].

ولهذه النصوص وغيرها كثير أدرك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم فضل تلقِّي العلم، ووجوب تبليغه إلى غيرهم، وحرمة كتمانه، فقاموا بذلك خير قيام، وأدُّوا الحديث إلى التابعين خير أداء، ليخرجوا من مسئولية التبليغ التي وضعها الرسول ﷺ على كواهلهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء باب ما ذُكِر عن بني إسرائيل ٥٧٢/٦ رقم: ٣٤٦١.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه بلفظه كتاب العلم باب فضل نشر العلم ٣٢٠/٣ رقم: ٣٦٥٩، وصحَّحه ابن حبان انظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ٢٦٣/١ رقم: ٦٢، والحاكم في المستدرك بنحوه كتاب العلم باب فضيلة مذاكرة الحديث ٩٥/١ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين وليس له علة ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، قلت: إسناده حسن فيه عبد الله بن عبد الله الرازي وهو صدوق ومدار الحديث عليه تقريب التهذيب ٢٩٧/١ رقم: ٣٥٠٧.

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود ١٠/ ٦٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على ان يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من ورائهم ٢٢١/١ رقم: ٨٧.

(٥) حمر بضم الحاء وسكون الميم والنعم بفتح النون هي: أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أنفس منه انظر: فتح الباري ٥٤٦/٧.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب الجهاد والسير باب فضل من أسلم على يديه رجل ١٦٨/٦ رقم: ٣٠٠٩، ومسلم في صحيحه بزيادة "وَاحِداً" كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ ١٨٧٢/٤ رقم: ٢٤٠٦.

الباعث الثالث: حبهم الشديد لرسول الله ﷺ

رأى الصحابة رضوان الله عليهم رسول الله ﷺ وشاهدوا وجهه الكريم ﷺ وعاينوا معجزاته الباهرة ﷺ وعرفوا سيرته الشريفة ﷺ فأحبُّوه حباً شديداً، فاق حبهم لآبائهم وأمهاتهم، بل فاق حبهم لأبنائهم وأنفسهم، وقدموا حبَّه ﷺ على كل حب، وأمره ﷺ على كل أمر.

١- عن عبد الله بن هشام التيمي رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال له عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيئ إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ **(لاَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ)**، فقال له عمر رضي الله عنه: فإنَّه الآن، والله لأنت أحبُّ إليَّ من نفسي، فقال النبي ﷺ **(الآنَ يَا عُمَرَ)**[١].

ذكر القاضي عياض أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سُئِل كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ[٢].

٢- وعلَّم النبي ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم أن شرط الإيمان أن يُحِبُّوه ﷺ أكثر من الناس جميعاً فقال لهم: **(لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِين)**[٣].

٣- وأن حلاوة الإيمان لا يذوقها العبد المسلم إلا إذا كان الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ أحبَّ إليه مما سواهما، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ...** الحديث[٤].

٤- ولقد بلغ من حُبِّ الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله ﷺ أنهم كانوا يحرصون على سماع كل كلمةٍ تصدر من شفتيه ﷺ أو إشارةٍ تصدر من يديه ﷺ فما كان أحدٌ يُحِبُّ أحداً كما كان أصحاب محمدٍ ﷺ يُحِبُّون محمداً ﷺ ولقد نصَّ على ذلك عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه قبل إسلامه، والحقُّ ما شهدت به الأعداء.

قال عروة بن مسعود رضي الله عنه: والله لقد وفدتُ على الملوك، ووفدتُ على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إنْ رأيتُ مليكاً قط يُعظِّمُهُ أصحابُه ما يُعَظِّم أصحابُ محمدٍ ﷺ محمداً ﷺ والله إن يَتَنَخَّمُ نُخَامَةَ إلاَّ وَقَعَت في كفِّ رجلٍ منهم فَدَلَكَ بها وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإذا أَمَرَهُم ﷺ ابتَدَرُوا أَمْرَه، وإذا توضَّأ ﷺ كَادُوا يقتتلون على وَضُوئِه ﷺ وإذا تكلَّموا خفضوا أصواتهم عنده ﷺ وَما يُحِدُّون إِلَيْهِ النظر ﷺ تعظيماً له ﷺ[٥].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي ﷺ ٥٣٢/١١ رقم: ٦٦٣٢.

[٢] الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢٢/٢.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ٧٥/١ رقم: ١٥.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان ٧٧/١ رقم: ١٦، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ٦٦/١ رقم: ٤٣.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ٣٨٩/٥ رقم: ٢٧٣٢.

٥- ولقد دفعهم هذا الحب إلى الاقتداء به ﷺ في كل شيء، روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه قال: اتَّخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب، فاتَّخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ **(إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ)** فَنَبَذَهُ وقال: **(إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدَاً)** فنبذ الناس خواتيمهم[١].

وهل أحبُّ إلى المرء من أن يسمع حكم مربّيه، وأحكامه، وتشريعاته، وهل من شيءٍ أعزُّ على المسلم من أن يُحيي أثار منقذه من الضلال، ورائده إلى الخير؟ لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مندفعين بإخلاصٍ وحب إلى سماع أخبار رسول الله ﷺ وسيرته[٢].

فهذا أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه يقف عند عازب رضي الله عنه والد البراء رضي الله عنه فيشتري منه رَحْلاً للناقة ثم يقول له: مُرِ البراء فليحمله إلى منزلي، فيقول عازب رضي الله عنه: لا، حتى تحدثنا كيف صنعتَ حين خرج رسول الله ﷺ وأنت معه، فقصَّ عليه أبو بكر رضي الله عنه خبر الهجرة[٣].

ولقد كان هذا الحب دافعا لهم لحضور مجالسه ﷺ والاستماع إليه ﷺ والتنافس في تنفيذ أوامره ﷺ واجتناب نواهيه ﷺ رجالاً ونساءً، وهذا ما دفع النساء أن يطلبن منه ﷺ أن يُخصِّص لهن يوماً يخصُّهم به دون الرجال.

قال أبو سعيدٍ الخدري رضي الله عنه: قالت النساء للنبي ﷺ غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوماً من نفسك، **(فَوَعَدَهُنَّ ﷺ يَوْماً لَقِيَهُنَّ فيه فَوَعَظَهُنَ وَأَمَرَهُنَّ)**[٤].

والحب إذا صدق وتمكَّن من القلب، حمل المُحِبَّ حملاً على ترسُّم آثار محبوبه، والتلذُّذ بسماع حديثه، وتكريره، ووعي كل ما يصدر عنه.

ولمَّا وقر حب النبي ﷺ في قلوب الصحابة رضوان الله عليهم، وذاقوا حلاوة الإيمان، قاموا بواجب السماع منه ﷺ والإسماع عنه ﷺ خير قيام، حتى لم تفتهم شاردةٌ ولا واردةٌ، فنقلوا كلامه الشريف، ونقلوا حركاته وسكناته ولفتاته وابتساماته، وحفظوا أقواله وأفعاله، وضبطوا على اختلاف الأمور أحواله، في يقظته ومنامه، وقعوده وقيامه، وملبسه ومركبه، ومأكله ومشربه، بل كانوا يتفنَّنون في البحث عن هديه وخبره، رغبةً منهم في الاقتداء به، والتأسِّي به في كل أحواله؛ ليحظوا بشرف صحبته في الجنة، كما حظوا بها في الدنيا، فإذا سمعتَ الحديث منهم فكأنك تسمعه من فم النبي ﷺ.

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ ٢٨٨/١٣ رقم: ٧٢٩٨.

[٢] راجع: أصول الحديث علومه ومصطلحه لمحمد عجاج الخطيب صـ: ٦٣.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ١٦٦/١ رقم: ٣، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب هل يُجْعل للنساء يومٌ على حدة في العلم؟ ٢٣٦/١ رقم: ١٠١.

الباعث الرابع: الأسلوب المُعْجِز للرسول ﷺ في ألفاظه وفي مجال التعليم

كان رسول الله ﷺ أفصح الناس لساناً، وأبلغ الناس لفظاً، وأوضحهم بيانا، وأجودهم إلقاءً، وأحسنهم طريقة، وأذكاهم جنانا، أوتي جوامع الكلم، وقوة البيان، ودقة الأسلوب، وجمال العبارة، وجزالة الألفاظ، وسمو المعاني، التي ينذُرُ مثلها في البشر.

وكانت فصاحته ﷺ في ذِرْوَة الكمال، بُعْدٌ عن التكلُّف في القول، وجزالةٌ في اللفظ، ووضوحٌ في الدلالة، ودِقَّةٌ في الوصف والتعبير، وإبداعٌ في التشبيه والتصوير، وإيجازٌ في القول، ومطابقةٌ لمقتضى الحال، مع العلم بطبائع النفوس وما هي محتاجة إليه.

وكان العرب مأخوذين بكل فصيحٍ بليغ، متنافسين في حفظ بليغ الشعر والمنثور، هذا فضلاً عن كون كلام النبي ﷺ ديناً يتقرَّب المسلم بحفظه والعمل به إلى الله عزَّ وجلَّ ، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يحفظون كلامه، ويتلذَّذون بتكريره في مجالسهم، وتبليغه إلى من لم يسمعه منه.

وكان النبي ﷺ فضلاً عن ذلك: مثالاً للمُرَبّي المخلص، والمعلِّم المرشد، فكان متواضعاً رحيماً رقيقاً، يختار أفضل الألفاظ وألينها وأحبها إلى النفس فيقول لهم ﷺ **(إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الوَالِدِ أُعَلِّمُكُم)**[1].

وكان ﷺ إذا تكلَّم أحسن البيان، وفصَّل القول، حتى إنه يُعيد الكلام أكثر من مرة حتى يسمعه ويحفظه أصحابه، ويتمكَّن في أذهانهم.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال عن رسول الله ﷺ: **كان إذا تكلَّم بكلمةٍ أعادها ثلاثاً حتى تُفْهَم عنه**[2].

ولم يكن ﷺ يُطيل الأحاديث، بل كان كلامه قصداً، ولذلك قالت السيدة

---

[1] جزءٌ من حديث أخرجه بلفظه: أبو داود في سننه كتاب الطهارة باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة ٢/١ رقم: ٨، وأخرجه بنحوه: أحمد في مسنده ١٨٣/٧ رقم: ٧٣٦٢ وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وابن حبان في صحيحه انظر: الإحسان كتاب الطهارة باب ذكر الأمر بالاستطابة بثلاثة أحجار لمن أراده ٣٥٣/٢ رقم: ١٤٣٧ قلت: إسناده حسن فيه محمد بن عجلان صدوق تقريب التهذيب ٥٣٩/٢ رقم: ٦٣٨٧.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليُفهم عنه ٢٢٧/١ رقم: ٩٥.

عائشة رضي الله عنها: **إن رسول الله ﷺ لم يكن يَسْرُدُ الحديث كسردكم**[١].

قال ابن حجر في شرحه للحديث: أي: فصلاً، فهما تفهمه العقول[٢].

وقالت أيضاً رضي الله عنها: **أَنْ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثاً لَوْ عَدَّه العَادُّ لأَحْصَاه**[٣].

ولمعرفة النبي ﷺ أن الصحابة رضوان الله عليهم سيخلفونه في حمل الأمانة، وتبليغ الرسالة، فكان يتبع معهم الوسائل التربوية في إلقاء الحديث عليهم، ويسلك معهم سبيل الحكمة كي يجعلهم أهلاً لتحمُّل المسؤولية.

وكان ﷺ حريصاً على تعليم أصحابه رضوان الله عليهم وإرشادهم حتى إنه ربما يرفع صوته ليُسْمِعَهُم فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: تَخَلَّف عنا النبي ﷺ في سَفْرَةٍ سافرناها، فأدركَنَا وقد أَرْهَقَتْنَا الصلاة ونحن نتوضَّأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته ﷺ **(وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ)** مرتين أو ثلاثا[٤].

وكان ﷺ يتلَطَّف بهم ويُخاطبهم على قدر عقولهم، ولم يكن بينه وبينهم حاجب كما كان يفعل الملوك، بل كان يُعلِّمهم في المسجد، وفي الطريق، وفي كل مكان، وكان يستخدم كثيراً من وسائل التوضيح، ويضرب لهم الأمثال.

يستخدم العبارة المُعْجِزة، والإشارة المُفْهِمة، والرسم الدال على المعنى، حتى تفتَّحت قلوب سامعيه للهداية، وامتلأت صدور أصحابه رضوان الله عليهم بتعاليمه، حتى كأنما كُتِبت فيها كتاباً بالكلمة والحرف، فأحبُّوا العلم ونهلوا منه، كلٌّ على قدر استطاعته، ونقلوه إلى الجيل الذي جاء بعدهم من غير زيادةٍ أونقصان، أو تحريفٍ أو تشويه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ٦٥٥/٦ رقم: ٣٥٦٨، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه ١٩٤٠/٤ رقم: ٢٤٩٣ كلاهما بلفظه.

(٢) فتح الباري ٦٩٩/٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ٦٥٥/٦ رقم: ٣٥٦٧، ومسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ٢٢٩٨/٤ رقم: ٢٤٩٣ كلاهما بلفظه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب العلم باب من رفع صوته بالعلم ١٧٣/١ رقم: ٦٠، ومسلم في صحيحه بألفاظٍ متقاربة كتاب الطهارة باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما ٢١٤/١ رقم: ٢٤١.

المبحث الثاني: جهود الصحابة رضوان الله عليهم في خدمة السنة

أدرك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم مكانة السنة النبوية المطهرة، وعرفوا قدرها، واستوعبوا النصوص الآمرة بتيليغ العلم، وأحبُّوا رسول الله ﷺ حباً شديداً، فازدادوا قرباً من النبي ﷺ واستماعاً لأحاديثه، وتطبيقاً لها، ونقلوها إلى من بعدهم على أحسن ما يكون النقل.

والناظر في كتب العلم يدرك بوضوح أن للصحابة رضوان الله عليهم جهوداً جبَّارة في خدمة الحديث النبوي، استطاعوا عن طريقها أن يحفظوا سنة رسول الله ﷺ وأن ينقلوها إلى الأجيال التالية غضَّةً طرية، كما أرادها الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ، واستطاعوا أن يصلوا إلى هذه النتيجة عن طريق جهودٍ ضخمة، ولقد أثمرت هذه الجهود حفظ السنة في الصدور، وفهمها بالعقول، وتدوينها في الكتب، ونشرها وإذاعتها بين الناس، وتطبيقها في كل مجالات الحياة.

وسأذكر أبرز هذه الجهود، والتي يتبيَّن من خلالها الجهد الذي بذلوه من أجل خدمة السنة، والطَّريقة التي اتبعوها من أجل صيانتها والحفاظ عليها.

أولاً: الحرص على حضور مجالس النبي ﷺ، مع الإنصات التام وحسن الاستيعاب

لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم متفرّغين لحمل السنة وحفظها تفرُّغاً تاماً، بل كانت لهم وظائفهم وأشغالهم الخاصة، وكانت لهم بيوتٌ وأولاد؛ وكانوا يسعون لطلب الأرزاق، فكان منهم التُّجَّار، والصُنَّاع، والزُرَّاع، وقد أشار إلى هذا الأمر راوية السنة أبو هريرة رضي الله عنه في معرض تعليله لكثرة حديثه:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: يقولون إن أبا هريرة يُكْثِرُ الحديث، والله الموعد، ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يُحدِّثون مثل أحاديثه، وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفْق بالأسواق، وإن إخوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم، وكنتُ امرأً مسكيناً ألزم رسول الله ﷺ على ملءِ بطني، فأحضر حين يغيبون، وأعي حين ينسون، وقال النبي ﷺ يوماً: **(لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ ثُمَّ يَجْمَعُهُ إِلَى صَدْرِهِ فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شَيْئاً أَبَداً)** فبسطتُ نَمِرَةً ليس عليَّ ثوبٌ غيرها حتى قضى النبي ﷺ مقالته، ثم جمعتُها إلي صدري، فوالذي بعثه بالحق ما نسيتُ من مقالته تلك إلى يومي هذا [١].

ولم يكن الصحابة رضوان الله عليهم كلهم من سكان المدينة المنورة، والذين كانوا منها لم يكونوا متفرّغين لسماع الحديث بل كانت لهم أشغالهم الخاصة:

١- ففريقٌ منهم وهم قليل تفرَّغ لحمل العلم، وحفظ الحديث، ولم يكن لهم دُورٌ يأوون إليها، ولا أهلٌ يشغلونهم، وإنما كانوا يقيمون في المسجد، وهم أهل الصُفَّة[٢].

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهلٍ ولا مالٍ، ولا على أحدٍ[٣].

ولذلك حينما سأل أبو هريرة رضي الله عنه رسول الله ﷺ قائلاً: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال له رسول الله ﷺ: **(لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلاَّ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ**

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب الحرث والمزارعة باب ما جاء في الغرس ٣٤/٥ رقم: ٢٣٥٠، ومسلم في صحيحه بألفاظٍ متقاربة كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه ١٩٣٩/٤ رقم: ٢٤٩٢.

[٢] الصفة مكان مُظلَّلٌ في آخر المسجد النبوي، أُعِدَّ لنزول الغرباء من المهاجرين فيه، ممن لا مأوى لهم، ولا أهل راجع: النهاية في غريب الحديث ٣٥/٣.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي صل الله عليه وسلم ى وأصحابه وتخلِّيهم عن الدنيا ٢٨٦/١١ رقم: ٦٤٥٢.

مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ)[1].

وقد سبق قول أبي هريرة رضي الله عنه: إني كنتُ امرءاً مسكيناً أصحب رسول الله ﷺ على ملءِ بطني.

وقال ابن عمر رضي الله عنه لأبي هريرة رضي الله عنه: يا أبا هريرة أنتَ كنتَ ألزمنا لرسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه[2].

وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لأبيه الزبير بن العوام رضي الله عنه: إني لا أسمعك تُحدِّث عن رسول الله ﷺ كما يُحَدِّث فلانٌ وفلان؟ قال: أما إني لم أفارقه، ولكني سمعتُه يقول ﷺ: **(مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)**[3].

٢- وفريقٌ منهم كان يأتيه ﷺ من مكانٍ بعيد، فيعيش معه فترةً من الزمن، يتعلَّم فيها أحكام الدين، ثم يعود إلى أهله فيعلِّمهم ويفقِّههم.

عن مالك بن الحويرث رضي عنه الله قال: أتينا النبي ﷺ ونحن شَبَبَة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظنَّ أنَّا اشتقنا أهلنا، وسَأَلَنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرناه، وكان رفيقاً رحيماً، فقال ﷺ: **(ارجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُم، وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاَةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمُّكُمْ أَكْبَرُكُمْ)** [4].

٣- فكان الواحد منهم إذا لم يستطع أن يرافق النبي ﷺ ليلاً ونهاراً لانشغاله بعمله بحث عمَّن يتناوب معه في حضور مجالس النبي ﷺ:

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب الحرص على الحديث ٢٣٣/١ رقم: ٩٩.

[2] أخرجه الترمذي في سننه بلفظه كتاب المناقب باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه ٤٥٢/٥ رقم: ٣٨٦٢ وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقال الألباني: صحيح الإسناد انظر: صحيح سنن الترمذي ٢٣٥/٣ رقم: ٤١٠٧، وأحمد في مسنده بنحوه ٢٦٦/٤ رقم: ٤٤٥٣، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٢٤٢/١ رقم: ١٠٧.

[4] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم ٤٥٢/١٠ رقم: ٦٠٠٨، ومسلم في صحيحه بألفاظٍ متقاربة كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة ؟ ٤٦٥/١ رقم: ٦٧٤.

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كنتُ أنا وجارٌ لي من الأنصار في بني أمية بن زيد – وهي من عوالي المدينة – وكنا نتناوب النزول على رسول الله ﷺ ، ينزل يوماً، وأنزل يوماً، فإذا نزلتُ جئتُه بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزلَ فعل مثل ذلك... الحديث[١].

وفي رواية: كان لي صاحبٌ من الأنصار إذا غِبْتُ عن رسول الله ﷺ أتاني بالخبر، وإذا غاب كنتُ أنا آتيه بالخبر[٢].

ولقد بلغ من حرص الصحابة رضوان الله عليهم على حضور مجلس النبي ﷺ وسؤاله والتعلُّم منه أن النساء جئن إلى رسول الله ﷺ وقلن له: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تُعلِّمنا ممَّا علَّمك الله عزَّ وجلَّ فقال ﷺ: **(اجتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا)**، فاجتمعن؛ فأتاهن رسول الله ﷺ فعلَّمهنَّ رسول الله ﷺ مما علمه الله[٣].

ولم يكن حضور الصحابة رضوان الله عليهم مجلس النبي ﷺ من أجل رؤيته، والتلذُّذ بحديثه فقط، وإنما كانوا يسمعون حديثه، ويحفظون كلامه، ويعملون به، ويُبَلِّغُونَه مَنْ ورائهم من النساء والأولاد، وكانوا إذا حضروا مجلسه يعلوهم الوقار، وتغشاهم السكينة، ويُنْصِتُون إنصاتاً كاملاً حتى لا يفوتهم من كلامه شيء.

وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنه مجلسه ﷺ فقال: إذا تكلَّم أطرق جلساؤه ﷺ كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلَّموا، لا يتنازعون عنده الحديث، ومن تكلَّم عنده أنصتوا له حتى يفرغ[٤].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب العلم باب التناوب في العلم ٢٢٣/١ رقم: ٨٩، ومسلم في صحيحه بألفاظٍ متقاربة كتاب العلم باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ١١١٢/٢ رقم: ١٤٧٩.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب (تبتغي مرضاة أزواجك) (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) ٥٢٥/٨ رقم: ٤٩١٣، ومسلم في صحيحه كتاب العلم باب في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ١١٠٨/٢ رقم: ١٤٧٩ كلاهما بلفظه.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب تعليم النبي ﷺ أمته من الرجال والنساء مما علَّمه الله ليس برأيٍ ولا تمثيل ٣٠٥/١٣ رقم: ٧٣١٠.

[٤] أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية المطبوع في نهاية سننه ٥٦٩/٥ رقم: ٣٥٠، قلت، إسناده ضعيف فيه جميع بن عمير العجلي ضعيف تقريب التهذيب ١/ ٩٢ رقم: ١٠٠٩، وفيه أيضاً أبو عبد الله التميمي من ولد أبي هالة وهو مجهول ٧٤٠/٢ رقم: ٨٤٨٧.

وقال بريدة بن الحصيب رضي الله عنه: كنا إذا قعدنا عند رسول الله ﷺ لم نرفع رؤوسنا إليه إعظاماً له[1].

وقال أسامة بن شريك رضي الله عنه: أتيتُ رسول الله ﷺ وأصحابه عنده، كأنَّما على رؤوسهم الطير فسلَّمتُ وقعدت[2].

فكانوا يحرصون على حضور مجلسه ﷺ وينصتون لسماع كلامه، مع الوعي التام، ويحفظون حديثه، ويعملون به، وينقلونه لغيرهم كلاماً محفوظاً، وسلوُكاً مُطَبَّقاً.

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب العلم ١٢١/١ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولا أحفظ له علة ولم يُخرجاه ووافقه الذهبي، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[2] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب العلم ١٢١/١ وقال: صحيح ولم يُخرجاه وقال الذهبي: صحيح، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

ثانياً: تلقِّي الحديث عن الرسول ﷺ بكل الطرق الممكنة

تلقَّى الصحابة رضوان الله عليهم الحديث عن النبي ﷺ بكل الطرق الميسورة لهم في ذلك العصر ومن أهمها:

أولاً: السماع: كان الصحابة في عهد رسول الله ﷺ حريصين كل الحرص على حضور مجلسه ﷺ لسماع الأحاديث منه، والتزوُّد من توجيهاته السديدة، ونصائحه الكريمة، وبيانه الرشيد للقرآن المجيد، وكانت أقرب الطرق إليهم وأيسرها عندهم: أن يسمعوا الحديث من النبي ﷺ مباشرةً، وأغلب الأحاديث التي رووها عن النبي ﷺ إنما رووها بهذه الطريقة، وفي السنة أحاديث لا تكاد تُحْصَى صرَّح فيها الصحابة رضوان الله عليهم بسماعهم من النبي ﷺ وبنظرةٍ واحدة في أحد كتب السنة تجد كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم يقولون في روايتهم للحديث: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول كذا، أو رأيتُ رسول الله ﷺ يفعل كذا.

ثانياً: العرض : وبجوار السماع فقد ظهرت في عهده ﷺ طريقة القراءة والعرض على الشيخ، وقد عقد البخاري في كتاب العلم باباً بعنوان: باب القراءة والعرض على المحدِّث وأورد فيه حديث ضِمَام بن ثعلبة رضي الله عنه حين جاء النبي ﷺ فقال له: إني سائلُك فَمُشَدِّدٌ عليك في المسألة، فلا تَجِدْ عليَّ في نفسك، فقال ﷺ **(سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ)**، فقال: أسألك بربّك وربِّ مَنْ قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال ﷺ **(اللَّهُمَّ نَعَمْ)**، قال: أَنْشُدُك بالله، آلله أمرك أن نُصلِّي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال ﷺ **(اللَّهُمَّ نَعَمْ)** قال: أَنْشُدُك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: **(اللَّهُمَّ نَعَمْ)** قال: أَنْشُدُك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فَتَقْسِمَهَا على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ **(اللَّهُمَّ نَعَمْ)** فقال الرجل: آمنتُ بما جِئْتَ به، وأنا رسول مَنْ ورائي مِنْ قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر[1].

قال البخاري: واحتجَّ بعضهم في القراءة على العالم بحديث ضمام بن ثعلبة ... ثم قال: فهذه قراءةٌ على النبي ﷺ أخبر ضمامٌ قومه بذلك فأجازوه[2].

وهذه الطريقة وإن لم تكن منتشرة كسابقتها إلا أن هذا الحديث يدُلُّ على اعتبارها، ولذلك فقد زاد الأخذ بها في عهد الصحابة والتابعين ومن بعدهم، واعتمدها العلماء كطريقةٍ معتبرة من طرق التلقِّي.

ثالثاً: المكاتبة: تفرَّق الصحابة بعد رسول الله ﷺ في الأمصار المختلفة، ولم يكُن ممكناً لكل واحدٍ منهم أن يرحل إلى أخيه إذا أراد أن يسمع منه حديثاً، فاستعاضوا عن ذلك بالرحلة

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب العلم باب ما جاء في العلم ١٧٩/١ رقم: ٦٣، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب الإيمان باب السؤال عن أركان الإسلام ٤١/١ رقم: ١٢.

(٢) صحيح البخاري ١٧٩/١.

والمكاتبة، وتلقَّى عنهم التابعون هذا المنهج، وهذه الأمثلة تُبَيِّن لك أن المكاتبة هي إحدى طرق تلقِّي الحديث عند الصحابة والتابعين:

١- قال ورَّاد مولى المغيرة: كتب معاوية رضي الله عنه إلى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: اكتب إليَّ ما سمعتَ النبي ﷺ يقول خلف الصلاة، فأملى عليَّ المغيرة قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول خلف الصلاة: **(لاَ إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَد)**[١].

٢- وقال ورَّاد أيضاً: كتب معاوية رضي الله عنه إلى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: أن اكتب إليَّ بشيءٍ سمعتَه من النبي ﷺ فكتب إليه: سمعتُ النبي ﷺ يقول: **(إِنَّ الله كَرِهَ لَكُمْ ثَلاَثاً، قِيْلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ)**[٢].

٣- وعن عامر بن سعد بن أبي وقاصٍ قال: كتبتُ إلى جابر بن سمرة رضي الله عنه، مع غلامي نافع: أن أخبرني بشيءٍ سمعتَه من رسول الله ﷺ قال: فكتب إليَّ: سمعتُ رسول الله ﷺ يوم جمعة، عشيَّة رجم الأسلمي يقول: **(لاَ يَـزَالُ الدِّيــنُ قَائِمــاً حَتَّى تَقُــومَ السَّاعَــةُ، أَوْ يَكُونُ عَلَيْكُمْ اثنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ)** وسمعتُه ﷺ يقول: **(عُصَيْبَةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَفْتَتِحُونَ البَيْتَ الأَبْيَضَ، بَيْتَ كِسْرَى، أَوْ آلَ كِسْرَى)** وسمعتُه ﷺ يقول: **(إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ كَذَّابِينَ فَاحْذَرُوهُمْ)** وسمعتُه ﷺ يقول: **(إِذَا أَعْطَى الله أَحَدُكُمْ خَيْراً فَلْيَبْدَأ بِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ)** وسمعتُه ﷺ يقول: **(أَنَا الفَرَطُ عَلَى الحَوْضِ)**[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب القدر باب لا مانع لما أعطى الله ٥٢١/١١ رقم: ٦٦١٥، وبنحوه أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته ٤١٤/١ رقم: ٥٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب قول الله تعالى: (لا يسألون الناس إلحافا) ٣٩٨/٣ رقم: ١٤٧٧.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب الناس تبعٌ لقريش والخلافة في قريش ١٤٥٣/٣ رقم: ١٨٢٢.

ثالثاً: سماع ما يفوتُهم من الحديث، وسؤال بعضهم بعضا

لم يكن الصحابة **رضوان الله عليهم** يكتفون بالأحاديث التي يسمعونها من النبي ﷺ؛ لأنهم كانوا يغيبون عن مجلسه أحياناً، نظراً لشواغلهم الدنيوية، وكان بعضهم أسلم متأخِّراً فلم يشهد مع النبي ﷺ بعض مشاهده، فكانوا إضافةً إلى ذلك: يسألون الصحابة الذين أسلموا قديماً، أو رافقوا النبي ﷺ وقتاً طويلاً، أو حضروا من المشاهد ما لم يحضروه، وهذا ما يُفَسِّرُ لنا أن كثيراً من المكثرين من رواية الحديث كانوا من صغار الصحابة كابن عباس رضي الله عنه، وأنس بن مالك رضي الله عنه، وعبد الله بن عمر رضي الله عنه، أو ممن لم يلازموا النبي ﷺ وقتاً طويلاً، ولكنهم سألوا أصحابه، وتعلَّموا منهم، وأضافوا ما سمعوه منهم إلى ما سمعوه من النبي ﷺ مباشرةً كأبي هريرة رضي الله عنه.

قال الحاكم: وأصحاب رسول الله ﷺ كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله ﷺ فيسمعونه من أقرانهم، وممن هو أحفظ منهم[١].

قال البراء بن عازب رضي الله عنه: ما كلُّ الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ كان يحدثنا أصحابنا عنه، كانت تشغلنا عنه رِعْيَةُ الإبل[٢].

وعن حميد الطويل أن أنس بن مالك رضي الله عنه حدَّث بحديثٍ عن رسول الله ﷺ فقال رجل: أنت سمعتَه من رسول الله ﷺ فغضب غضباً شديداً وقال: والله ما كلُّ ما نحدِّثُكُم به سمعناه من رسول الله ﷺ ولكن كان يُحدِّث بعضُنا بعضاً، ولا يتَّهم بعضنا بعضاً[٣].

وقال الزبير بن بكار: إن كان ابن عمر رضي الله عنه ليحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله[٤].

---

[١] معرفة علوم الحديث صـ: ١٤.

[٢] أخرجه أحمد في مسنده بلفظه ١٩٠/١٤ رقم: ١٨٤٠٤، والحاكم في المستدرك بنحوه كتاب العلم باب فضيلة مذاكرة الحديث ٩٥/١ وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١٥٤/١ قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٣] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة ٥٧٥/٣ وسكت عنه الحاكم والذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٣/١ وقال: رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٤] الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ١٦٠/٤.

وروى أشعث بن سليم عن أبيه قال: سمعتُ أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه يحدِّث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فقلتُ: وأنت صاحب رسول الله ﷺ قال: إنه قد سمع، ولأن أحدِّث عنه عن رسول الله ﷺ أحبَّ إليّ من أن أحدِّث عن النبي ﷺ[1].

ولم يكُن الصحابة رضوان الله عليهم يلتزمون بذكر من حدَّثهم عن رسول الله ﷺ بل كانوا ينسبون الحديث مباشرةً إلى رسول الله ﷺ

فهذا ابن عباس رضي الله عنه يروي حديث: **(إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ)** عن النبي ﷺ فلما رُوجع فيه قال: أخبرني به أسامة بن زيد رضي الله عنه[2].

ويروي حديث: **(أَنَّ رسول الله ﷺ لَمْ يَزَلْ يُلَبِّي حَتَّى بَلَغَ الْجَمْرَةَ)** عن أخيه الفضل بن العباس رضي الله عنه[3].

وهذا أبوهريرة رضي الله عنه يُحَدِّث أن رسول الله ﷺ قال: **(مَنْ أَدْرَكَهُ الفَجْرُ جُنُباً فَلاَ يَصُم)**، فبلغ ذلك عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فقالتا: كان النبي ﷺ يصبح جنباً من غير حُلْمٍ ثم يصوم فردَّ أبو هريرة ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس فقال أبو هريرة: سمعتُ ذلك من الفضل رضي الله عنه ولم أسمعه من النبي ﷺ[4].

ومن يراجع كتب السنن وتراجم الرواة يجد كثيراً من روايات الصحابة رضوان الله عليهم بعضهم عن بعض.

---

(١) المستدرك على الصحيحين كتاب معرفة الصحابة ٥١٢/٣ وسكت عنه الحاكم والذهبي، قلت: إسناده حسن فيه سعيد بن سفيان الجحدري صدوق يخطئ تقريب التهذيب ٢٠٧/١ رقم: ٢٣٩٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب بيع الطعام مثلاً بمثل ١٢١٨/٣ رقم: ١٥٩٦.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج باب النزول بين عرفة وجمع ٦٠٧/٣ رقم: ١٦٧٠، ومسلم في صحيحه كتاب الحج باب استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة يوم النحر ٩٣١/٢ رقم: ١٢٨١ كلاهما بلفظه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب الصيام باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٧٧٩/٢ رقم: ١١٠٩، وأخرجه البخاري في صحيحه بألفاظٍ متقاربة كتاب الصوم باب الصائم يصبح جنباً ١٧٠/٤ رقم: ١٩٢٥، ١٩٢٦.

وهذا دليلٌ واضح على النشاط العلمي الذي كان بينهم، يتبادلون الأحاديث ويستمعون، ويُسْمَع منهم، ويروون ويُرْوَى عنهم، كل هذا في سبيل معرفة الحق، وحفظ السنة المطهرة[١].

قال ابن حبان: وإنما قبلنا أخبار أصحاب رسول الله ﷺ ما رووها عن النبي ﷺ وإن لم يُبَيِّنوا السماع في كل ما رووا، وبيقينٍ نعلم أن أحدهم ربما سمع الخبر عن صحابيٍّ آخر، ورواه عن النبي ﷺ من غير ذلك الذي سمعه منه، لأنهم رضي الله عنهم أجمعين كلُّهم أئمةً سادة قادة عدول، نزَّه الله عزَّ وجلَّ أصحاب رسول الله ﷺ عن أن يلزق بهم الوهن[٢].

وإنك لتعجب حينما تعلم أن الصحابي الجليل أبا هريرة رضي الله عنه قَدِم المدينة سنة سبعٍ من الهجرة، وهو راوية الإسلام الأول، ولكن ما يلبث هذا العجب أن يزول حينما تعلم أن أبا هريرة رضي الله عنه تفرَّغ طيلة السنوات التي قضاها مع النبي ﷺ لسماع الحديث منه ومن كبار أصحابه، حتى إن النبي ﷺ شهد له بالحرص على سماع الحديث حينما سأله أبو هريرة رضي الله عنه عن أسعد الناس بشفاعته ، فقال رسول الله ﷺ **(لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَلاَّ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ)** [٣].

وسمع الحديث من أصحابه أيضاً، فجمع ما عندهم إلى ما عنده، وإنك لتجد العلماء يذكرون في شيوخه: أبا بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم.

فكانت حصيلة ذلك التفرُّغ والدأب: أحاديث كثيرة.

هذا بالإضافه إلى دعاء النبي ﷺ له بالحفظ، وعدم النسيان[٤].

وكما روى الحديث عن الصحابة فقد روى عنه صحابة كثيرون، وقد عدَّ الحاكم من روى عنه الحديث من أكابر الصحابة فبلغ عددهم: ثمانية وعشرين صحابياً[٥].

---

[١] أصول الحيث علومه ومصطلحه صـ: ٦٤.

[٢] مقدمة الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١٦١/١.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب الحرص على الحديث ٢٣٣/١ رقم: ٩٩.

[٤] أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه **أنه قال: قال رسول الله ﷺ في حديثٍ يُحدِّثه: إنه لن يبسط أحدٌ ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول فبسطتُ نَمِرَةً عليَّ حتى إذا قضى رسول الله ﷺ مقالته جمعتُها إلى صدري فما نسيتُ من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله تعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) ٣٣٦/٤ رقم: ٢٠٤٧.**

[٥] المستدرك على الصحيحين للحاكم كتاب معرفة الصحابة ٥١٣/٣.

وإذا راجعتَ شيوخ ابن عباس فإنك تجد من بينهم: عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعثمان بن عفان رضي الله عنه وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وابن مسعود رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وأبيّ بن كعب رضي الله عنه وزيد بن ثابت رضي الله عنه وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنه ومعاذ بن جبل رضي الله عنه وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه وسلمان الفارسي رضي الله عنه وأبو هريرة رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها، وغيرهم كثير.

فجمع ابن عباس رضي الله عنه أحاديث هؤلاء وغيرهم، إلى ما سمعه من النبي ﷺ حتى أصبح من المكثرين من رواية الحديث.

ولقد أدرك صغار الصحابة رضوان الله عليهم أنه فاتهم حديثٌ كثير، فاتَّجهوا إلى كبار الصحابة يسألونهم ويتعلَّمون منهم، وإنك لتدرك ذلك جلياً في قول عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

لمَّا توفِّي رسول الله ﷺ قلتُ لرجلٍ من الأنصار: يا فلان هلمَّ فلنسأل أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك، وأقبلتُ على المسألة، فإن كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائلٌ، فأتوسَّد ردائي على بابه، فتُسْفِي الريح علي وجهي التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ما جاء بك ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك فأسأله عن الحديث، قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال: كان هذا الفتى أعقل منى[١].

وفي قوله رضي الله عنه: إن كنتُ لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ[٢].

قال الشعبي: قيل لابن عباس رضي الله عنه: أنَّى أصبتَ هذا العلم؟ قال: بلسانٍ سؤول، وقلبٍ عقول[٣].

---

[١] أخرجه الدارمي في مقدمة سننه بلفظه باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه ١٥٠/١ رقم: ٥٧٠، وأخرجه بنحوه: الطبراني في المعجم الكبير ٢٤٤/١٠ رقم: ١٠٥٩٢، والحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة باب ذكر عبد الله بن عباس ٦١٩/٣ رقم: ٦٢٩٤ وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٢٧٧/٩، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٢] سير أعلام النبلاء ٣٤٤/٣، وقال الذهبي: إسناده صحيح.

[٣] البداية والنهاية ٢٨٣/٨.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: طلبتُ العلم فلم أجده أكثر منه في الأنصار، فكنتُ آتي الرجل منهم فأسأل عنه فيُقَال لي: نائم، فأتوسَّدُ ردائي ثم أضطجع حتى يخرج إلى الظهر فيقول: متى كنتَ ههنا ياابن عم رسول الله ﷺ؟ فأقول منذ طويل فيقول: بئس ما صنعتَ هلا أعلمتني؟ فأقول: أردتُ أن تخرج إليَّ وقد قضيتَ حاجتك[١].

هذا ما كان عليه صغار الصحابة وكبارهم، فكانوا يسألون بعضهم عما فاتهم من أحاديث النبي ﷺ.

والأدلة على هذا المعنى أكثر من أن تُحْصَى وسأكتفي بإيراد ثلاثةٍ من الأدلة:

١- فهذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول: بينا نحن جلوسٌ عند عمر رضي الله عنه إذ قال: أيُّكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يُكفِّرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر فقال: ليس عليك منها بأسٌ يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مُغْلقاً، قال عمر رضي الله عنه: أيُكْسَرُ الباب أم يُفْتَح؟ قال: لا بل يُكسر قال عمر رضي الله عنه: إذاً لا يُغلق أبداً[٢].

٢- وصحَّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نشد الناس من سمع النبي ﷺ قضى في السَّقط؟ فقال المغيرة: أنا سمعتُه قضى فيه بغرة عبدٍ أو أمة [٣].

٣- وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: جلستُ إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو خليفة فقال: يا ابن عباس ما سمعتَ من رسول الله ﷺ أو من أحدٍ من أصحابه ما يذكر ما أمر به رسول الله ﷺ إذا سها المرء في صلاته، قلتُ: لا، أو ما سمعتَ يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، فدخل علينا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال: فيما أنتما؟ فقال عمر رضي الله عنه: سألتُه هل سمعَ رسول الله ﷺ أو من أحدٍ من أصحابه يذكر ما أمر به رسول الله ﷺ إذا سها المرء في صلاته فقال عبد الرحمن رضي الله عنه: عندي علمٌ من ذلك فقال عمر رضي الله عنه: هلم فأنت العدل الرضا فقال عبد الرحمن رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(إِذَا شَكَّ أَحَدُكُمْ فِي**

---

[١] أخرجه الدارمي في مقدمة سننه باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه ١٥٠/١ رقم: ٥٦٦ قلت: إسناده حسن لغيره فيه حصين بن عبد الرحمن مقبول وقد تابعه في الرواية عن ابن عباس بألفاظٍ مختصرة عند الدارمي ١٥٠/١ رقم: ٥٦٧ أبو سلمة بن عبد الرحمن وهو ثقة تقريب التهذيب ٧٢٧/٢ رقم: ٨٤٢٦.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر ٥٢/١٣ رقم: ٧٠٩٦.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب الديات باب جنين المرأة ٢٥٧/١٢ رقم: ٦٩٠٧، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب دية الجنين ١٣١١/٣ رقم: ١٦٨٩.

الاثْنَتَيْنِ فَلْيَجْعَلْهُمَا وَاحِدَةً، وَإِذَا شَكَّ فِي الاثْنَتَيْنِ وَالثَّلاَثِ فَلْيَجْعَلْهُمَا اثْنَتَيْنِ، وَإِذَا شَكَّ فِي الثَّلاَثِ وَالأَرْبَعِ فَلْيَجْعَلْهُمَا ثَلاَثًا، ثُمَّ يُتِمُّ مَا بَقِيَ مِنْ صَلاَتِهِ، حَتَّى يَكُونَ الْوَهْمُ فِي الزِّيَادَةِ، ثُمَّ يَسْجُدُ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ)[1].

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظه كتاب السهو ٣٢٤/١ وقال: هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وأحمد في مسنده بنحوه ٣٠١/٢ رقم: ١٦٥٦ وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرج المرفوع منه: الترمذي في سننه كتاب الصلاة باب ما جاء في الرجل يصلِّي فيشكُّ في الزيادة والنقصان ٤٠٧/١ رقم: ٣٩٨ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيح، وصححه الألباني انظر: صحيح سنن الترمذي ١٢٥/١ رقم: ٣٢٦، وابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة باب ما جاء فيمن شكَّ في صلاته فرجع إلى اليقين ٣٨١/١ رقم: ١٢٠٩.

رابعاً: اختصاص بعض الصحابة ببعض أبواب العلم، وتميُّزهم فيها

خلق الله عزَّ وجلَّ البشر متفاوتين في القدرات والاهتمامات، والصحابة رضوان الله عليهم بشر، ولذلك فقد تنوَّعت اهتماماتهم، فبينما نجد فيهم العالم البارع في جميع أبواب العلم كعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعبد الله بن عباس رضي الله عنه وغيرهم، نجد من الصحابة من كان بارعاً في بابٍ مُعَيَّن من أبواب الحديث، تميَّز فيه عن غيره، وفاق فيه أقرانه، حتى أصبح مرجعاً فيه، وسأضرب لك أمثلةً على ذلك:

١- فهذا رسول الله ﷺ يقول عن أصحابه: **(أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللهِ عُمَرَ رضي الله عنه، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانَ رضي الله عنه، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ مُعَاذَ بن جَبَلْ رضي الله عنه، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بنَ ثَابِتٍ رضي الله عنه، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيّ بنَ كَعْبٍ رضي الله عنه، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بنَ الْجَرَّاحِ رضي الله عنه)**[١].

فالرسول ﷺ يذكر أن هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم تميَّزوا في هذا الأمور، وفاقوا فيها أقرانهم.

وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً فقال: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبي بن كعب رضي الله عنه، ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام فليأت معاذ بن جبل رضي الله عنه، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت رضي الله عنه، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني فإني له خازن[٢].

---

[١] أخرجه الترمذي في سننه بلفظه كتاب المناقب باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبي عبيدة ابن الجراح رضوان الله عليهم ٤٣٥/٥ رقم: ٣٨١٥ وقال: حديث حسن غريب، وأخرجه بنحوه: ابن ماجه في مقدمة سننه ٥٥/١ رقم: ١٥٤، وصححه الألباني انظر: صحيح سنن ابن ماجه للألباني ٣١/١ رقم: ١٢٥، وأحمد في مسنده ٣٥/١١ رقم: ١٢٨٣٩، وابن حبان في صحيحه الإحسان باب فضل الصحابة والتابعين ١٨٧/٩ رقم: ٧٢٠٨، وعبد الرزاق في مصنفه باب أصحاب النبي ﷺ ٢٢٥/١١ رقم: ٢٠٣٨٧، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الفرائض باب ترجيح قول زيد بن ثابت رضي الله عنه على قول غيره من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين في علم الفرائض ٢١٠/٦، والحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٢] أخرجه الحاكم في مستدركه بلفظه كتاب معرفة الصحابة باب ذكر مناقب أحد الفقهاء الستة من الصحابة معاذ بن جبل ٢٧٢/٣ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في السنن الكبرى بنحوه ٢١٠/٦ ، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

٢- وهذا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان مهتمَّاً بأحاديث الفتن اهتماماً كبيراً حتى برع في هذا الباب من العلم وصار مرجعاً فيه، وهو يقول عن نفسه: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلتُ: يا رسول الله، إنا كنا في جاهليةٍ وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ ... الحديث[١].

قال ابن أبي جمرة: في الحديث حكمة الله عزَّ وجلَّ في عباده كيف أقام كلاً منهم فيما شاء، فحبَّب إلى أكثر الصحابة رضوان الله عليهم السؤال عن وجوه الخير، ليعملوا بها، ويبلِّغوها غيرهم، وحبَّب لحذيفة رضي الله عنه السؤال عن الشر ليجتنبه، ويكون سبباً في دفعه، عمن أراد الله عزَّ وجلَّ له النجاة[٢].

وقال ابن حجر: ويؤخذ منه أن كل من حُبِّبَ إليه شيء فإنه يفوق فيه غيره، ومن ثَمَّ كان حذيفة رضي الله عنه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، حتى خُصَّ بمعرفة أسماء المنافقين، وبكثيرٍ من الأمور الآتية[٣].

٣- وهذا أبو هريرة رضي الله عنه رغم تأخُّر صحبته لرسول الله ﷺ وقلة المدة التي قضاها معه، إلا أن الله عزَّ وجلَّ وهبه نعمة الحفظ، مع دعاء الرسول ﷺ له بذلك فكان أحفظ الصحابة للحديث.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ في حديثٍ يُحدِّثه: **(إنه لن يبسط أحدٌ ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول)** فبسطتُ نَمِرَةً عليَّ حتى إذا قضى رسول الله ﷺ مقالته جمعتُها إلى صدري فما نسيتُ من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء[٤].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ٣٨/١٣ رقم: ٧٠٨٤، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ١٤٧٥/٣ رقم: ١٨٤٧ كلاهما بلفظه.

[٢] بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها لابن أبي جمرة ٢٦١/٤.

[٣] فتح الباري ٤١/١٣.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله تعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) ٣٣٦/٤ رقم: ٢٠٤٧، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم باب من فضائل أبي هريرة ﷺ ١٩٣٩/٤ رقم: ٢٤٩٢.

وقال للرسول ﷺ يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه. قال: **(ابسُطْ رِدَاءَكَ)**، فبسطته قال: فغرف بيديه ثم قال ﷺ **(ضُمَّه)** فضممتُه فما نسيتُ شيئاً بعده[١].

وقد أدرك الصحابة والتابعون هذا الأمر فالتفوا حوله يسمعون منه الأحاديث.

وحينما جاء رجلٌ إلى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أحد السابقين إلى الإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وقال له: يا أبا محمد: والله ما ندري هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ أم أنتم تقولون على رسول الله ﷺ ما لم يقل؟ – يعني أبا هريرة رضي الله عنه– فقال طلحة: والله ما نشك أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم، إنا كنا قوماً أغنياء، لنا بيوتٌ وأهلون، كنا نأتي نبي الله ﷺ طرفي النهار ثم نرجع، وكان أبو هريرة مسكيناً لا مال له، ولا أهل، ولا ولد، إنما كانت يده مع يد النبي ﷺ وكان يدور معه حيثما دار، ولا نشك أنه قد علم ما لم نعلم، وسمع ما لم نسمع، ولم يتهمه أحدٌ منا أنه تقوَّل على رسول الله ﷺ ما لم يقل[٢].

٤– وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها من أفقه وأحفظ الصحابة للأحاديث التي تتعلَّق بالنساء، حتى كانت المرجع فيها، وكان التابعون يرجعون إليها فيسألونها عمَّا أُشْكِل عليهم من ذلك، كما كانت مقدَّمة في علم الفرائض، والأحكام، والحلال والحرام[٣].

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: ما أُشْكِل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديثٌ قط فسألنا عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا عندها منه علما[٤].

كما كانت نساء النبي ﷺ جميعا وعلى رأسهن السيدة عائشة رضي الله عنها مقصداً لطلاب العلم يسألونهم عن الأمور المتعلِّقة بحياة النبي ﷺ في بيته، فنقلوا عنهن من ذلك الشيء الكثير.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب حفظ العلم ٢٥٨/١ رقم: ١١٨.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظه كتاب معرفة الصحابة ٥١١/٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقال الذهبي على شرط مسلم، وأخرجه الترمذي في سننه بنحوه كتاب المناقب باب مناقب أبي هريرة ﷺ ٤٥٣/٥ رقم: ٣٨٦٣ وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق، وذكره الألباني في ضعيف سنن الترمذي وقال: ضعيف الإسناد صـ ٥١٥ رقم: ٤١٠٨ قلت: إسناده ضعيف فيه محمد بن إسحاق صدوق يدلس وقد روى بالعنعنة ولا يُعرف الحديث إلا من طريقه.

(٣) زاد المعاد ٢١/١.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب باب فضل عائشة ٤٧١/٥ رقم ٣٩٠٩ وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب، وصححه الألباني انظر: صحيح سنن الترمذي ٢٤٣/٣ رقم: ٤١٥٢، قلت: إسناده حسن فيه حُمَيد ابن مَسْعَدَه، وخالد بن سلمة المخزومي كلاهما صدوق راجع: تقريب التهذيب ١٤٣/١ رقم: ١٦١٧، ١٥٠/١ رقم: ١٧٠٠ .

ولا شكَّ أن هذا التعمُّق، أو التخصُّص حفظ لنا الحديث بألفاظه وحروفه، وصار الصحابي المتميِّز في بابٍ ما من الحديث مقصداً للطلاب، ومرجعاً للفتوى في هذا الباب .

خامساً: اجتهادهم فيما لا نصَّ فيه، وعرض هذه الاجتهادات على النبي ﷺ لبيان حكم الشرع فيها، مع الوعي العميق، والفهم الدقيق

لم يكن الصحابة رضوان الله عليهم حاطبي ليل، وإنما كانوا أذكى الناس عقولاً، وأطهرهم قلوباً، دخل الإيمان قلوبهم، وأُشْرِبوا محبة رسول الله ﷺ فظهرت على ألفاظهم أنوار النبوة، ولم يكن النبي ﷺ يعمل على إلغاء عقولهم، أو منع ملكاتهم من الظهور، وإنما كان يشجِّعهم على الاجتهاد، ويُصوِّب لهم أخطائهم، حتى صاروا بعده علماء كباراً، وأئمة عظاماً، بفضل ما أعطاهم الله عزَّ وجلَّ من المواهب، ثم بفضل سياسة الرسول ﷺ المُبْهِرة في تعليمهم وتدريبهم على التفكير والاجتهاد.

قال ابن القيم: وقد **اجتهد الصحابة رضوان الله عليهم في زمن النبي ﷺ في كثيرٍ من الأحكام، ولم يُعنِّفهم**[1].

وإليك هذه النماذج التي تُظهر لك اجتهادهم في حياة النبي ﷺ وعرض هذه الاجتهادات على النبي ﷺ ليبين لهم وجه الحق فيها:

١- عن أبي جُحَيفَة قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان رضي الله عنه وأبي الدرداء رضي الله عنه، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء رضي الله عنها مُتَبَذِّلَةً، فقال لها: ما شأنكِ؟ قال: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةً في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً فقال له: كل. قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكلٍ حتى تأكل. قال: فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم. قال: نم. فنام. ثم ذهب يقوم. فقال: نم. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فَصَلَّيا. فقال له سلمان: إنَّ لربِّك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعطِّ كلَّ ذي حقٍ حقَّه، فأَتي النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال له النبي ﷺ **(صَدَقَ سَلْمَان)**[2].

فهذا أبو الدرداء رضي الله عنه ينقل للنبي ﷺ اجتهاد سلمان رضي الله عنه فيُقِرُّه النبي ﷺ على اجتهاده، بل ويمدحه عليه.

٢- وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: احْتَلَمْتُ فِي لَيْلَةٍ بَارِدَةٍ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ السُّلَاسِلِ فَأَشْفَقْتُ إِنِ اغْتَسَلْتُ أَنْ أَهْلِكَ، فَتَيَمَّمْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ بِأَصْحَابِي الصُّبْحَ،

---

[1] إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزيه ٢٠٣/١.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم باب من أقسم على أخيه ليُفْطِر في التطوُّع ولم يَرَ عليه قضاءً إذا كان أوفق له ٢٤٦/٤ رقم: ١٩٧٨.

فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَال: **يَا عَمْرُو ، صَلَّيْتَ بِأَصْحَابِكَ وَأَنْتَ جُنُبٌ** ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي مَنَعَنِي من الاغتسال، وقلتُ: إني سمعتُ الله يقول: **(ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رَحِيمًا)**[١]، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا[٢].

٣- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: **(لَا يُصَلِّيَنَ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ)** فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلِّي حتى نأتيهم، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرِدْ منا ذلك. فَذُكِرَ ذلك للنبي ﷺ فلم يُعَنِّف واحداً من الفريقين [٣].

فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا يجتهدون، ويعرضون هذه الاجتهادات على النبي ﷺ في حياته، فيُقرُّهم عليها، أو يُصوِّبها لهم، فلما توفِّي الرسول ﷺ وانقضى العصر الذي تمَّ فيه التشريع الإلهي في الكتاب والسنة، وتمَّ الأصلان العظيمان اللذان يُرجْعُ إليهما، وبدأ عصر الصحابة رضوان الله عليهم، وبدأ الفقه بالنموِّ والاتِّساع، وواجه الصحابة رضوان الله عليهم وقائع وأحداثاً ما كان لهم بها عهد في أيام النبي ﷺ فكان لابد من معرفة حكم الله عزَّ وجلَّ فيها.

كما أن الفتوحات الإسلامية وما ترتَّب عليها من ظهور قضايا ومسائل جديدة استلزمت معرفة حكم الشرع فيها لهذا قام الصحابة رضوان الله عليهم بمهمة التعرُّف على أحكام هذه المسائل والوقائع الجديدة فاجتهدوا واستعملوا آراءَهم على ضوء قواعد الشريعة ومبادئها العامة ومعرفتهم بمقاصد الشريعة وهكذا استطاع الصحابة رضوان الله عليهم أن يواكبوا تلك الأحداث والوقائع وأن يستنبطوا لها الأحكام، وذلك بالرجوع إلى كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة نبيه ﷺ فإن لم يجدوا فيهما الحكم تحوَّلوا إلى الاجتهاد وأعملوا ما أدَّاهم إليه اجتهادهم في ضوء قواعد الدين ونصوصه، فأخرجوا لنا من ذلك علماً كثيراً.

---

[١] سورة النساء جزء من الآية رقم: ٢٩.

[٢] أخرجه أبو داود في سننه بلفظه كتاب الطهارة باب إذا خاف الجنب البرد أيتيمم ؟ ٩٠/١ رقم: ٣٣٤، وبنحوه أخرجه: أحمد في مسنده ٥٠٧/١٣ رقم: ١٧٧٣٩، والدارقطني في سننه كتاب الطهارة باب التيمم ١٧٨/١، والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الطهارة باب التيمم في السفر إذا خاف الموت أو العلة من شدة البرد ٢٢٥/١ قلت: إسناده صحيح لغيره فيه يحيى بن أيوب الغافقي صدوق ربما أخطأ وتابعه في الرواية بألفاظٍ متقاربة عن يزيد بن أبي حبيب عمرو بن الحارث بن يعقوب عند أبي داود ٩٠/١ رقم: ٣٣٥ وهو ثقة تقريب التهذيب ٤٣٧/١ رقم: ٥١٦٦.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم ٤٧١/٧ رقم: ٤١١٩، ومسلم في صحيحه بألفاظٍ متقاربة كتاب الجهاد والسير باب المبادرة بالغزو، وتقديم أهم الأمرين المتعارضين ١٣٩١/٣ رقم: ١٧٧٠.

سادساً: الفهم عند التلقّي، والسؤال عند عدم الفهم

لم تكن الغاية من حضور الصحابة رضوان الله عليهم مجالس النبي ﷺ سماع الحديث فقط، بل فهمه، واستيعابه، وتطبيقه ونقله إلى الآخرين، ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم يحضرون مجالس النبي ﷺ فيسمعون كلامه، ويسألونه عما لم يفهموه، أو يظنوا أنه يُعَارِض نصاً آخر، فلم تكن هيبة النبي ﷺ وحبهم الشديد له تمنعانهم من سؤاله، ومراجعته في الأمور التي يُشْكِلُ عليهم فهمها من أجل الفهم، فيفهمون ويحفظون ويُطَبِّقون ثم يُبلِّغون غيرهم.

وأسئلة الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله ﷺ كثيرة جداً، ولا شكَّ أنهم استخرجوا بأسئلتهم من النبي ﷺ علماً كثيراً، وذلك لأن العلم خزائن ومفاتيحها السؤال، ولا شكَّ أن الإنسان أكثر ذِكْراً لإجابة سؤاله من سماع العلم مطلقاً، ولذلك كانت هذه الأسئلة وإجابات النبي ﷺ عليها تُمَثِّل ثروةً علميةً ضخمة كانت سبباً في حفظ كثيرٍ من العلم ونقله إلى الأمة كافة، وسأذكر مجموعةً من النماذج ليتَّضح منها كيف كان حرصهم على السؤال من أجل العلم والفهم، ثم العمل والتبليغ:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلسٍ يُحدِّث القوم جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يُحَدِّث فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال ﷺ **(أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلَ عَنِ السَّاعَةِ؟)** قال: ها أنا يا رسول الله قال ﷺ **(فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)** قال: كيف إضاعتها؟ قال: **(إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)**[1].
فهذا الأعرابي يسأل رسول الله ﷺ فيُجِيبُه بعد فراغه من حديثه، فيراجعه الأعرابي ليفهم فيوضِّح له النبي ﷺ ويكشف له الغموض، والصحابة رضوان الله عليهم يسمعون ويحفظون.

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوسٌ مع النبي ﷺ في المسجد، دخل رجلٌ على جملٍ فأناخه في المسجد ثم عَقَلَه ثم قال لهم: أَيُّكم محمد ﷺ؟ - والنبي ﷺ متَّكئٌ بين ظهرانيهم - فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتَّكئ، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي ﷺ **(قَدْ أَجَبْتُكَ)**، فقال الرجل للنبي ﷺ إنِّي سائلُك فَمُشَدِّدٌ عليك في المسألة، فلا تَجِدْ عليَّ في نفسك، فقال ﷺ سل عمَّا بدا لك، فقال: أسألك بربّك ورَبِّ

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب من سُئِل علماً وهو مشتغلٌ في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ١/١٧١ رقم: ٥٩.

من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال ﷺ **(اللَّـهُمَّ نَعَمْ)**، قال: أَنْشُدُك بالله، آلله أمرك أن نُصلِّي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال ﷺ **(اللَّـهُمَّ نَعَمْ)** قال: أَنْشُدُك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: **(اللَّـهُمَّ نَعَمْ)** قال: أَنْشُدُك بالله، آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فَنَقْسِمَهَا على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ **(اللَّـهُمَّ نَعَمْ)** فقال الرجل: آمنتُ بما جِئْتَ به، وأنا رسول مَنْ ورائي مِنْ قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد ابن بكر[1].

فهذا ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه يأتي إلى النبي ﷺ من بلادٍ بعيدة ليسأله ويتعلَّم منه، ولم يكتف بالسماع من رسوله إليهم، بل قطع الفيافي والقِفَار ليسأل رسول الله ﷺ ويتعلَّم منه.

٣- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف في حجَّة الوداع بِمنى للناس يسألونه فجاءه رجُلٌ فقال: لَمْ أَشْعُر فحلقتُ قبل أن أذبح؟ فقال: **(اذْبَحْ وَلاَ حَرَجْ)** فجاء آخر فقال: لَمْ أشعر فنحرتُ قبل أن أرمي؟ قال: **(ارْمِ وَلاَ حَرَجْ)** فما سُئِلَ النبي ﷺ عن شيءٍ قُدِّم ولا أُخِّرَ إلاَّ قال: **(افعَلْ وَلاَ حَرَجْ)**[2].

وهاهم الصحابة رضوان الله عليهم يُوقِفونه ﷺ في حجة الوداع ويسألونه عما يعرض لهم فيجيبهم النبي ﷺ.

٤- عن أبي رفاعة قال: انتهيتُ إلى النبي ﷺ وهو يخطب، قال: فقلتُ: يا رسول الله رجلٌ غريبٌ جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه، قال: فأقبل عليَّ رسول الله ﷺ وترك خطبته حتى انتهى إليَّ فأُتِي بكرسيٍّ، حسبتُ قوائمه حديداً، قال: فقعد عليه رسول الله ﷺ وجعل يُعلِّمني مما علَّمه الله، ثم أتى خطبته فأتمَّ آخرها[3].

فهذا الصحابي يدخل المسجد ورسول الله ﷺ قائمٌ يخطب فلا ينتظر حتى يُكْمِل النبي ﷺ خطبته، فيسأل النبي ﷺ وهو على المنبر، فينزل النبي ﷺ من على المنبر، ويقطع خطبته ويُجيبه، ويُعلِّمه، ثم يأتي الخطبة فيتمها.

ولم يكُن هذا الأمر قاصراً على الرجال فقط، بل كان النساء يسألون رسول الله ﷺ عمَّا يحتاجون إليه فيُجيبهم عنه:

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب العلم باب ما جاء في العلم ١٧٩/١ رقم: ٦٣، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب الإيمان باب السؤال عن أركان الإسلام ٤١/١ رقم: ١٢.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب العلم باب الفتيا وهو واقفٌ على الدابة وغيرها ٢١٧/١ رقم: ٨٣، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب الحج باب من حلق قبل النحر، أو نحر قبل الرمي ٩٤٨/٢ رقم: ١٣٠٦.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجمعة باب حديث التعليم في الخطبة ٥٩٧/٢ رقم: ٨٧٦.

فعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ في أضحى – أو في فطر – إلى المصلَّي، فمرَّ على النساء فقال ﷺ **(يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ)** فقلن: وبِمَ يا رسول الله؟ قال: **(تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبُ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ)** قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يارسول الله؟ قال ﷺ **(أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلُ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ)**، قلن: بلى. قال ﷺ **(فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ؟)** قلن: بلى. قال ﷺ **(فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا)**[1].

بل كان النساء يسألون رسول الله ﷺ في كل ما يحتاجون إليه من أمر دينهم، ولم يمنعهن الحياء من ذلك، حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: نِعْمَ النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقَّهن في الدين[2].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: جاءت أم سُلَيم رضي الله عنها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحيي من الحق، فهل على المرأة من غسلٍ إذا احتلمت؟ قال النبي ﷺ **(إِذَا رَأَتِ المَاءَ)** فغطَّت أم سلمة – تعني وجهها– وقالت: يا رسول الله وتحتلم المرأة؟ قال: **(نَعَمْ، تَرِبَتْ يَمِينُكِ، فَفِيمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا)**[3].

بل إن الصحابي كان يعرض له السؤال فلا يكتفي بسؤال من قرُب منه من الصحابة بل يرحل إل رسول الله ﷺ ليسأله:

عن عبد الله بن أبي مليكة أن عقبة بن الحارث رضي الله عنه تزوَّج ابنةً لأبي إهاب بن عزيز، فأتته امرأةٌ فقالت: إني قد أرضعتُ عُقْبة والتي تزوَّج، فقال لها عقبة رضي الله عنه: ما أعلم أنك أرضعتني ولا أخبرتني، فركب[4] إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فسأله، فقال رسول الله ﷺ **(كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟)**، ففارقها عقبة، ونكحت زوجاً غيره[5].

بل إن الصحابي كان يُراجِع رسول الله ﷺ فيما لم يفهمه، حتى يفهم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم ٤٨٣/١ رقم: ٣٠٤، ومسلم في صحيحه بألفاظٍ متقاربة كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، ككفر النعمة والحقوق ٨٦/١ رقم: ٧٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحيض باب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم ٢٦١/١ رقم: ٣٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب الحياء في العلم ٢٧٦/١ رقم: ١٣٠.

(٤) أي من مكة لأنها كانت دار إقامته انظر: فتح الباري ٢٢٣/١.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله ٢٢٢/١ رقم: ٨٨.

ولقد صحَّ عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها كانت لا تسمع شيئاً لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: **(مِنْ حُوسِبَ عُذِّب)** قالت عائشة: فقلتُ: أوَ ليس يقول الله تعالى: **(فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً)** [١] قالت: فقال ﷺ **(إِنَّمَا ذَلِكَ العَرْضُ، وَلَكِنْ مَنْ نُوُقِشَ الحِسَابَ يَهْلِكْ)**[٢].

ولم يكُن هذا الأمر قاصراً على السيدة عائشة رضي الله عنها، وإنما كان غيرها من أصحاب النبي ﷺ وأزواجه يراجعونه فيما لم يفهموه حتى يتَّضح لهم الحق:

عن أم مُبَشِّر رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة رضي الله عنها: **(لاَ يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ، أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا)** قالت: بلى يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة رضي الله عنها: **(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا)**[٣]، فقال النبي ﷺ قد قال الله عزَّ وجلَّ: **(ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**[٤]**)**[٥].

بل إن الصحابي الكريم كانت تَعْرِضُ له المسألة فيتحرَّج أن يسأل فيها رسول الله ﷺ لسببٍ ما، فلا يمنعه ذلك أن يُرْسِل غيره ليسأل رسول الله ﷺ ويُخبره بالجواب:

عن علي بن أبي طالبً رضي الله عنه قال: كنتُ رجلاً مذَّاءً[٦] وكنت أستحيي أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته فأمرتُ المقداد بن الأسود رضي الله عنه فسأله فقال ﷺ **(مِنْهُ الوُضُوء)** [٧].

فلم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يكتفون بمجرد السماع، بل كانوا يسألون، لأنهم يعلمون أن العلم خزائن وأن مفاتيحها السؤال، وكان رسول الله ﷺ لا يتجهَّم في وجوههم، ولا ينهرهم إذا سألوا، بل كان يترفَّق بهم، ويُجيبهم بما ينفعهم، وكانوا يُراجِعون رسول الله ﷺ

---

[١] سورة الانشقاق الآية رقم: ٨

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب من سمع شيئاً فراجع حتى يعرفه ٢٣٧/١ رقم: ١٠٣.

[٣] سورة مريم جزء من الآية رقم: ٧١.

[٤] سورة مريم الآية رقم: ٧٢.

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة، أهل بيعة الرضوان، رضي الله عنهم ١٩٤٢/٤ رقم: ٢٤٩٦.

[٦] مذَّاءً: بتثقيل الذال المعجمة والمد أي: كثير المذي وهو بإسكان الذال المعجمة، وتخفيف الياء: الماء الذي يخرج من الرجل عند ملاعبة النساء ولا يجب فيه الغسل، وهو نجس يجب غسله، وينقض الوضوء انظر: النهاية في غريب الحديث ٢٦٧/٤.

[٧] أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب الحيض باب المذي ٢٤٧/١ رقم: ٣٠٣، والبخاري في صحيحه بنحوه كتاب العلم باب من استحيا فأمر غيره بالسؤال ٢٧٧/١ رقم: ١٣٢.

ويستفسرون منه عمَّا لم يفهموه، دون تعنُّتٍ، أو إلحاح، وإنما كانوا يسألونه من أجل المعرفة، وبأحسن الأساليب، ولذلك فقد حازوا الفضل، وحصَّلوا العلم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

ولا شك أن السؤال والمراجعة كان لهما دورٌ كبيرٌ في فهم الحديث، وكشف غموضه.

سابعاً: الرحلة في طلب الحديث

علم الصحابة رضوان الله عليهم فضل طلب العلم من خلال نصوص الكتاب والسنة، ولذلك حرصوا على طلبه، ولم يمنعهم من ذلك شيء، فطلبوه من القريب، ورحلوا من أجل طلبه من البعيد، وضربوا في ذلك أروع الأمثلة، يحدوهم في ذلك قول النبي ﷺ **(مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللهُ لَهُ به طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ)** [1].

وسأذكر لك ثلاثة أمثلة تدلُّك بوضوح على ما بذله الصحابة رضوان الله عليهم من جهدٍ في تحصيل العلم، واستهانتهم في سبيل ذلك بكل غالٍ وثمين:

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: بلغني حديثٌ عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ سمعه من رسول الله ﷺ في القصاص ولم أسمعه، فابتعتُ بعيراً، فشددتُ رحلي عليه، ثم سِرْتُ شهراً، حتى قدمتُ مصر، فأتيتُ عبد الله بن أنيس رضي الله عنه، فقلتُ للبواب: قل له: جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلتُ: نعم، فأتاه فأخبره فقام يطأ ثوبه حتى خرج إليَّ فاعتنقني واعتنقتُه، فقلتُ له: حديثٌ بلغني عنك سمعتَه من رسول الله ﷺ ولم أسمعه في القصاص، فخشيتُ أن أموتَ أو تموتَ قبل أن أسمعه، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ أو قال: النَّاسَ عُرَاةً غُرْلاً بُهْماً)** قال: قلنا: ما بُهْما؟ قال ﷺ **(لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْئٌ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ... الحديث**[2].

٢- عن عطاء بن أبي رباحٍ قال: خرج أبو أيوب رضي الله عنه إلى عقبة بن عامر رضي الله عنه – وهو بمصر- يسأله عن حديثٍ سمعه من رسول الله ﷺ لم يبق أحدٌ سمعه من رسول الله ﷺ غيره، وغير عقبة رضي الله عنه، فلمَّا قدم أتى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري – وهو أمير مصر- فأُخْبِر به، فعجَّل، فخرج إليه فعانقه، ثم قال: ما جاء بك

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، وعلى الذكر ٢٠٧٤/٤ رقم: ٢٦٩٩.

[2] أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظه كتاب التفسير باب تفسير سورة حم المؤمن ٤٣٧/٢ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وأخرجه بنحوه: أحمد في مسنده ٤٢٧/١٢ رقم: ١٥٩٨٤، والبخاري في الأدب المفرد باب المعانقة ٣٤٤/١ رقم: ٩٧٣، وحسَّنه الألباني انظر: صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري صـ: ٣٧١ رقم: ٧٤٦، وعلَّقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم فقال: ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنَيْس في حديثٍ واحد كتاب العلم باب الخروج في طلب العلم ٢٠٨/١، وقال ابن حجر: وإسناده صالح فتح الباري ٢٠٩/١ وقال: الإسناد حسنٌ وقد اعتضد فتح الباري ٢١٠/١، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله صـ: ١٣٠ رقم: ٤٢١، وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله وثِّقوا مجمع الزوائد ٣٤٥/١٠، وقال الحافظ المنذري: رواه أحمد بإسنادٍ حسن الترغيب والترهيب ٢٠٢/٤، قلت: إسناده حسن فيه القاسم بن عبد الواحد المكي مقبول تقريب التهذيب ٤٨١/٢ رقم: ٥٦٥٩ وعبد الله بن محمد بن عقيل صدوق في حديثه لين تقريب التهذيب ٣١٢/١ رقم: ٣٦٨٧.

يا أبا أيوب؟ فقال: حديثٌ سمعتُه من رسول الله ﷺ لم يَبْقَ أحدٌ سمعه من رسول الله ﷺ غيري وغير عقبة رضي الله عنه، فابعث من يدُلَّني على منزله، قال: فبعث معه من يدُلُّه على منزل عقبة رضي الله عنه، فأُخْبِر عقبة رضي الله عنه به، فعجَّل، فخرج إليه فعانقه، وقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديثٌ سمعته من رسول الله ﷺ لم يبقَ أحدٌ سمعه غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال عقبة: نعم، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(مَنْ سَتَرَ مُؤْمِناً فِي الدُّنْيَا عَلَى خِزْيَةٍ، سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ)** فقال له أبو أيوب رضي الله عنه: صدقت، ثم انصرف أبو أيوب رضي الله عنه إلى راحلته فركبها راجعاً إلى المدينة، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر[1].

٣- عن عبد الله بن بُريدة أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ رحل إلى فَضَالة بن عُبَيد رضي الله عنه، وهو بمصر، فقَدِم عليه، فقال: أما إني لم آتك زائراً، ولكنّي سمعتُ أنا وأنت حديثاً من رسول الله ﷺ رجوتُ أن يكون عندك منه علم، قال: وما هو؟ قال: كذا وكذا، قال: فمالي أراك شَعْثاً وأنت أمير الأرض؟ قال: إن رسول الله ﷺ كان ينهانا عن كثيرٍ من الإرْفاه[2]، قال: فمالي لا أرى عليك حذاءً؟ قال: كان النبي ﷺ يأمرنا أن نحتفي أحياناً[3].

---

(١) أخرجه الحميدي في مسنده بلفظه ١٨٩/١ رقم: ٣٨٤ ، وأحمد في مسنده مختصراً ٣٥٩/١٣ رقم: ١٧٣٢٤، والحاكم في معرفة علوم الحديث صـ: ٧، ٨، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله باب ذكر الرحلة في طلب الحديث صـ: ١٣١ رقم: ٤٢٣، وقال ابن حجر: سنده منقطع فتح الباري ٢١٠/٢، وقال الهيثمي: رواه أحمد منقطع الإسناد مجمع الزوائد ١٣٤/١ قلت: إسناده ضعيف لأنه منقطع .

ولمتن الحديث شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه بنحوه: البخاري في صحيحه كتاب المظالم باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يُسلمه ١١٦/٥ رقم: ٢٤٤٢، ومسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم ١٩٩٦/٤ رقم: ٢٥٨٠.

وشاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة والآداب باب بشارة من ستر الله عليه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة ٢٠٠٢/٤ رقم: ٢٥٩٠.

(٢) الإرفاه هو: كثرة التدهُّن والتنعُّم، وقيل هو: التوسُّع في المشرب والمطعم، وهو من الرَّفْه: وِرْد الإبل، وذاك أن ترد الماء متى شاءت، أراد: ترك التنعُّم والدَّعه، ولين العيش أحيانا؛ لأنه من زي العجم وأرباب الدنيا النهاية في غريب الحديث ٢٢٥/٢.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه بلفظه كتاب الترجُّل ٧٣/٤ رقم: ٤١٦٠، وأخرجه بنحوه: النسائي في سننه كتاب الزينة باب الترجُّل غباً ١٣٢/٨، وأحمد في مسنده ١٨٦/١٧ رقم: ٢٣٨٥١، والدارمي في مقدمة سننه باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه ١٥١/١ رقم: ٥٧١ قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

ثامنًا: حفظ الحديث

لم يكُن الصحابة رضوان الله عليهم يكتفون بمجرد سماع الحديث من النبي ﷺ وإنما كانوا يحرصون على فهمه، وحفظه، والعمل به.

وقد استخدم الصحابة رضوان الله عليهم وسائل عديدة تُساعدهم على حفظ الحديث من أهمِّها:

١- **مذاكرة الحديث فيما بينهم**، فإن الاكتفاء بسماع الحديث لا يكفي؛ لأن السامع مهما كان ذكاؤه وقوة حفظه من الممكن أن ينسى الحديث إذا لم يذاكره مع غيره، ويُكْثِرُ من ترديده، فهذا أبو هريرة رضي الله عنه راوية الإسلام الأول يقول عن نفسه: جزَّأت الليل ثلاثة أجزاء، ثلثاً اصلِّي، وثلثاً أنام، وثلثاً أذاكر فيه حديث رسول الله ﷺ[١].

بل إنه كان يستغلُّ وجود أصحاب رسول الله ﷺ ليذاكر معهم الحديث فيذكر لهم ما عنده ويستفيد مما عندهم.

وعن محمد بن عمرو بن حزم أنه قعد في مجلسٍ فيه أبو هريرة رضي الله عنه يحدثهم عن رسول الله ﷺ ينكره بعضهم ويعرفه البعض حتى فعل ذلك مراراً قال: فعرفتُ يومئذ أن أبا هريرة رضي الله عنه أحفظ الناس عن رسول الله ﷺ[٢].

وعن الحسن البصري أن سمرة بن جندب وعمران بن حصين رضي الله عنهما تذاكرا فحدَّث سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه حفظ عن رسول الله ﷺ سكتتين: سكتة إذا كبَّر، وسكتة إذا فرغ من قراءة **(غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِينَ)**[٣] فحفِظ ذلك سمرة رضي الله عنه، وأنكر عليه عمران بن حصين رضي الله عنه، فكتبا في ذلك إلى أُبي بن كعب

---

(١) أخرجه الدارمي في مقدمة سننه باب العمل بالعلم وحسن النية فيه ٩٤/١ رقم: ٢٦٤، والخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢٦٤/٢.

(٢) المستدرك للحاكم كتاب معرفة الصحابة ٥١١/٣، والتاريخ الكبير للبخاري ١٨٦/١، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤٥/٨، قلت: إسناده حسن فيه إسماعيل بن أبي أويس كلا هما صدوق راجع: تقريب التهذيب ٥٢/١ رقم: ٤٩٦، ٣٣٥/١ رقم: ٣٩٧٠.

(٣) الفاتحة جزء من الآية رقم: ٧.

رضي الله عنه وكان في كتابه إليهما، أو في ردّه عليهما: أن سمرة رضي الله عنه قد حفظ[١].

ولم يكتف الصحابة بمجرد مذاكرة الحديث فيما بينهم، بل كانوا يُوصون تلاميذهم بذلك:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: تذاكروا الحديث، فإنكم إلا تفعلوا يندرس[٢].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: تذاكروا الحديث، فإن ذكر الحديث حياته[٣].

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: تذاكروا الحديث، فإن الحديث يهيج الحديث[٤].

وقال ابن عباس رضي الله عنه لتلاميذه: تذاكروا هذا الحديث، لا ينفلت منكم، فإنه ليس مثل القرآن مجموعٌ محفوظ، وإنكم إن لم تُذاكِروا هذا الحديث ينفلت منكم، ولا يقولنَّ أحدكم: حدَّثتُ أمس، فلا أُحدِّثُ اليوم، بل حدِّث أمس، ولتُحدِّث اليوم، ولتُحدِّث غداً[٥].

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَرْوِيَ حَدِيثًا، فَلْيُرَدِّدْهُ ثَلَاثًا[٦].

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه بلفظه كتاب الصلاة باب السكتة عند الافتتاح ٢٠٤/١ رقم: ٧٧٩، وأخرجه بنحوه: الترمذي في سننه كتاب الصلاة باب ما جاء في السكتتين في الصلاة ٢٨٧/١ رقم: ٢٥١ وقال: حديث سمرة حديث حسن، وابن ماجه في سننه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب في سكتتي الإمام ٢٧٥/١ رقم: ٨٤٤، وحكم عليه الألباني بالضعف انظر: ضعيف سنن الترمذي صـ: ٢٩ رقم: ٤٢، وضعيف سنن ابن ماجه صـ: ٦٥ رقم: ١٨٠، قلت: الحديث صحيح ورواته ثقات حسنه الترمذي وضعفه الألباني للخلاف الواقع بين العلماء في صحة سماع الحسن البصري من سمرة والصحيح أنه سمع منه كما ثبت في صحيح البخاري ففيه عن حبيب بن الشهيد قال أمرني ابن سيرين أن أسأل الحسن ممن سمع حديث العقيقة فسألته فقال من سمرة بن جندب كتاب العقيقة باب إماطة الأذى عن الصبي في العقيقة ٥٠٤/٩ رقم: ٥٤٧٢.

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب العلم باب فضيلة مذاكرة الحديث ٩٥/١ وقال: صحيحٌ على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٣] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب العلم باب فضيلة مذاكرة الحديث ٩٥/١ وقال: صحيحٌ على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٤] أخرجه الدارمي في مقدمة سننه باب مذاكرة العلم ١٥٥/١ رقم: ٥٩٥، والحاكم في المستدرك كتاب العلم باب مذاكرة الحديث ٩٤/١، والمعنى: تذاكروا الحديث فإنه يُذَكِّرُ بَعْضُهُ بعضاً، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٥] أخرجه الدارمي في مقدمة سننه باب مذاكرة العلم ١٥٥/١ رقم: ٦٠٠، وإسناده حسن فيه يعقوب بن عبد الله القمي وجعفر بن أبي المغيرة كلاهما صدوق تقريب التهذيب ٦٨٠/٢ رقم: ٨١٠١، ٩١/١ رقم: ١٠٠٣.

[٦] أخرجه الدارمي في مقدمة سننه باب مذاكرة العلم ١٥٦/١ رقم: ٦٠٩ وإسناده حسن فيه حُنَين بن أبي حكيم صدوق تقريب التهذيب ١٤٥/١ رقم: ١٦٤٧.

٢- العمل بالحديث فكانوا يعملون بالحديث ويُسَارِعون في تطبيقه؛ لأنهم يعلمون أن أفضل الطرق لحفظ الحديث هي: العمل به، ولقد بلغ الصحابة رضوان الله عليهم في ذلك شأواً بعيداً، حتى وجدنا نافع مولى ابن عمر يقول: لو رأيتَ ابن عمر رضي الله عنه يتبع آثار رسول الله ﷺ لقلتَ: هذا مجنون[١].

وقال الزبير بن بكار: إن كان ابن عمر رضي الله عنه ليحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله، وكان يتبع آثاره في كل مسجدٍ صلَّى فيه، وكان يعترض براحلته في طريقٍ رأى رسول الله ﷺ عرض ناقته، وكان لا يترك الحج، وكان إذا وقف بعرفةٍ يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ[٢].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان الرجل منا إذا تعلَّم عشر آيات لم يُجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن[٣].

وقال أبو عبد الرحمن السلمي التابعي عن الصحابة: حدَّثنا من كان يُقرئنا من أصحاب النبي ﷺ أنهم كانوا يقترؤن من رسول الله ﷺ عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل[٤].

وهذا وإن كان وارداً في حفظ القرآن إلا أنه يكشف لنا منهج الصحابة في تلقِّي العلم.

ولا شكَّ أن مذاكرة الحديث، والعمل به، يؤدّيان إلى حفظ السنة، وحمايتها من النسيان، أو التحريف.

---

[١] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة باب ذكر عبد الله بن عمر ٥٦١/٣، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣١٠/١، قلت: إسناده حسن فيه عبد الصمد بن حسان صدوق ميزان الاعتدال ٦٢٠/٢ رقم: ٥٠٧١.

[٢] الإصابة ١٦٠/٤.

[٣] ابن جرير الطبري في تفسيره ١٨٠/١ وأشار إلى صحته ١٨٨/١ قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات راجع: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١.

[٤] أحمد في مسنده ١٠/١٧ رقم: ٢٣٣٧٤، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

تاسعاً: تبليغ الحديث

لم يكتف الصحابة بمجرد حفظ الحديث وفهمه والعمل به، بل تعدَّوا ذلك إلى تبليغه إلى من لا يعرفه، خاصةً زوجاتهم وأولادهم، وأقرب الناس إليهم، بل وللناس جميعاً، استشعاراً للمسئولية التي أمرهم الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ بها، كما وضَّحنا سابقا.

ولقد قاموا بهذا الواجب خير قيام، فنقلوا السنة أقوالاً، وأفعالاً، وتقريراً إلى مَنْ بعدهم، فحفظوا الدين، ونقلوا القرآن والسنة إلى مَنْ بعدهم من غير زيادةٍ، أو نقصان.

ولقد عرفنا في مصطلح الحديث ما أطلق عليه العلماء رواية الأبناء عن الآباء، بل ورواية الآباء عن الأبناء، ورواية الإخوة بعضهم عن بعض، ورواية الرجل عن زوجته، والزوجة عن زوجها، والعلماء يضربون في هذه الأبواب أمثلةً كثيرةً لهذه الرواية، مما يكشف لك بوضوح حرص الصحابة رضوان الله عليهم على تبليغ السنة خاصةً إلى أقرب الناس إليهم[١].

وسأضرب لك ثلاثة أمثلة تبيِّن لك صدق هذا الكلام:

١- الصحابية الجليلة: أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط لها حديثان في الكتب الستة رواهما عنها مع غيره ابنها حميد بن عبد الرحمن بن عوف والحديثان هما: حديث: **(لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ؛ فَيَنْمِي خَيْراً، أَوْ يَقُولُ خَيْرَاً)**[٢].

وحديث: **(قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ)**[٣].

٢- هناك رواةٌ اشتهروا بالرواية عن آبائهم عن أجدادهم كرواية بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، ورواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وفي كليهما رواية الابن التابعي عن الأب الصحابي[٤].

---

[١] راجع في هذا الموضوع: علوم الحديث لابن الصلاح صـ: ٣١٣ وما بعدها، وفتح المغيث للسخاوي ١٤٧/٣.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب الصلح باب ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ٣٥٣/٥ رقم: ٢٦٩٢، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الكذب، وبيان المباح منه ٢٠١١/٤ رقم: ٢٦٠٥.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ٤٩١/١٨ رقم: ٢٧١٤٩، والنسائي في عمل اليوم والليلة باب ما يُستحب للإنسان أن يقرأ كل ليلة صـ: ٤٢٢ رقم: ٦٧٣، كلاهما بلفظه، وللمتن شاهد أخرجه: البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كتاب فضائل القرآن باب فضل قل هو الله أحد ٦٧٥/٨ رقم: ٥٠١٣، ومسلم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة قل هو الله أحد ٥٥٦/١ رقم: ٨١١.

[٤] راجع في هذا الموضوع: فتح المغيث للسخاوي ١٥٤/٣ وما بعدها.

٣- عن علي بن حسين عن حسين بن علي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخبره أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة قال: **(أَلَا تُصَلِّيَانِ)**[١].

ولقد سبق أن ذكرتُ أن الصحابة رضوان الله عليهم كان يسمع بعضهم من بعض، ويروي بعضهم عن بعض.

ولقد وضع الصحابة رضوان الله عليهم وسائل متنوِّعة استطاعوا بواسطتها أن يُبلِّغوا الحديث وينشروه، من أهم هذه الوسائل:

الوسيلة الأولى: الانتشار في الأمصار المفتوحة لتعليم أهلها وتأسيس المدارس العلمية بها

انتشر الصحابة رضوان الله عليهم في الأمصار المفتوحة، واستوطنوها، ولم يرضوا أن يعيشوا في المدينة فقط مع حبِّهم الشديد لها، فكانوا كلما فتحوا بلداً أقام فيه بعضهم، يُدبِّرون أموره، وينشرون فيه الإسلام، ويُعلِّمون أهله القرآن الكريم، والسنة النبوية، كما كان الخلفاء يُمِدُّون البلاد المفتوحة بالعلماء من الصحابة، فكان أهل هذه البلاد يلتفُّون حول الصحابة، ويتعلَّمون منهم، حتى تكوَّنت في هذه البلاد مراكز علمية عظيمة انتقلت منها أنوار الإسلام إلى سائر الأرض.

وقد تعلَّم الصحابة رضوان الله عليهم من نبيهم ﷺ أنهم ينبغي أن يذهبوا إلى الناس لدعوتهم ولا ينتظروا مجيئ الناس إليهم، حيث كان النبي ﷺ يرسل رسله إلى كافة البلاد لنشر الإسلام وتعليم المسلمين ففي حديث ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه قال: أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك ... الحديث[٢].

وبعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن[٣]، وهذا أمرٌ معروفٌ مشهور.

فانتشر الصحابة في البلاد المفتوحة يُعلِّمون القرآن، وينشرون العلم، ويُبلِّغون الحديث:

فكان في مكة: عبد الله بن عباس، وعتاب بن أسيد، والحكم بن أبي العاص، وعثمان ابن أبي طلحة وغيرهم رضوان الله عليهم.

وكان في الكوفة: علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وعمار بن ياسر، وغيرهم رضوان الله عليهم.

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب (وكان الإنسان أكثر شيئٍ جدلاً) ٢٦٠/٨ رقم: ٤٧٢٤.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب السؤال عن أركان الإسلام ٤١/١ رقم: ١٢.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة ٣٠٧/٣ رقم: ١٣٩٥، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ٥١/١ رقم: ١٩، كلاهما بلفظه.

وكان في البصرة: أنس بن مالك، وأبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين، ومعقل بن يسار، وأبو برزة الأسلمي، وغيرهم رضوان الله عليهم.

وكان في الشام: عبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو عبيدة بن الجراح، وبلال بن رباح، ومعاذ بن جبل، وغيرهم رضوان الله عليهم.

وكان في مصر: عمرو بن العاص، والزبير بن العوام، وعبد الله بن عمرو، وعقبة بن عامر الجهني، وأبو بصرة الغفاري، وغيرهم رضوان الله عليهم.

وكان في المغرب والأندلس: المسور بن مخرمة، وسلمة بن الأكوع، والمقداد بن الأسود، وبلال بن حارث، وجبلة بن عمرو، وغيرهم رضوان الله عليهم.

وكان في اليمن: معاذ بن جبل، وأبو موسى الأشعري وغيرهما رضي الله عنهما.

وكان في خراسان: بريدة بن الحصيب الأسلمي، والحكم بن عمرو الغفاري، وغيرهما رضي الله عنهما.

وكانت المدينة مجمع الصحابة رضوان الله عليهم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسكنها بعده خلقٌ كثيرٌ من أشهرهم: أبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وزيد بن ثابت، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله ابن عمر، وغيرهم رضي الله عنهم جميعاً.

وهذا دليلٌ واضحٌ على أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لم يفتحوا البلاد طلباً لمغنم، أو بحثاً عن مال، وانما فتحوها لينشروا فيها الإسلام، ويرفعوا بين جنباتها راية التوحيد، مستعينين على ذلك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

الوسيلة الثانية: الحرص على تحديث السامعين بما يُنَاسِب أفهامهم

لأن مخاطبة السامع بما لا يفهمه قد تكون سبباً لتكذيبه النص ولذلك:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتُحِبُّونَ أن يُكَذَّب الله ورسوله ﷺ[1].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ما أنتَ بمحدثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة[2].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: حفظتُ من رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثتُه، وأما الآخر فلو بثثتُه قُطِع هذا البُلْعُوم[3].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب من خصَّ بالعلم قوماً دون قومٍ كراهية ألَّا يفهموا ٢٧٢/١ رقم: ١٢٧.

[2] أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١١/١.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب حفظ العلم ١/ ٢٥٨ رقم: ١٢٠.

قال الذهبي: هذا دالٌ على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تُحَرِّك فتنةً في الأصول أو الفروع، أو المدح والذم، أما حديثٌ يتعلَّق بحلٍ أو حرام فلا يحل كتمانه بوجه، فإنه من البيِّنات والهدى، وكذا لو بثَّ أبو هريرة رضي الله عنه ذلك الوعاء لأوذي، بل لقُتِل، ولكن العالم قد يؤدِّيه اجتهاده إلى أن ينشر الحديث الفلاني إحياءً للسنة، فله ما نوى، وله أجر – وإن غلط – في اجتهاده[1].

فمن الحكمة أن يُحَدِّث العالم الناس بما ينفعهم وتدركه عقولهم، وأن يخاطبهم بما يفهمون ويعرفون، فليس كل ما يُعْرَف يُقَال، وليس كل ما يُقَال حضر أهله، وليس كل من حضر أهله حضر وقته.

والوعاء الذي كان يكتمه أبو هريرة رضي الله عنه هو: الحروب، والفتن، والملاحم، وما وقع بين الناس من الحروب، والقتال وما سيقع[2].

وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يُكني عن بعض ما يكتم ولا يُصَرِّح به خوفاً على نفسه من أمراء السوء، كقوله رضي الله عنه: أعوذ بالله من رأس الستين، وإمارة الصبيان.

يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، وقد استجاب الله عزَّ وجلَّ دعاءه فمات قبلها بقليل[3].

لذلك أمسك الصحابة رضوان الله عليهم عن التحديث بما يكون ذريعةً للتقصير والتهاون؛ بسبب قصور النظر، أو يكون سلَّماً لأهل الأهواء والبدع، ومن هو على شاكلتهم، حتى لا تكون فتنة في الأرض وفساد كبير.

فكان الصحابة رضوان الله عليهم علماء حكماء، يُخاطبون الناس على قدر عقولهم، ولا يكلِّفونهم فوق طاقتهم، ولذلك أحبَّ التابعون العلم، وأقبلوا على الحديث يسمعونه ويحفظونه، ويبلِّغونه بدورهم إلى من جاء بعدهم.

الوسيلة الثالثة: تخوُّلهم بالموعظة خشية السآمة

اتَّبع الصحابة رضوان الله عليهم نفس المنهج التربوي الذي اتَّبعه النبي ﷺ معهم، فكانوا لا يُثْقِلون على تلاميذهم في الموعظة، حتى لا يقعوا في الملل.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥٩٧/٢.

(٢) البداية والنهاية ١٠١/٨.

(٣) راجع: فتح الباري ٢٧٣/١.

عن أبي وائل شقيق بن سلمة أنَّه قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يُذَكِّر النَّاس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددتُ أنَّك ذَكَّرْتنا كل يومٍ قال: أما إنه يمنعني من ذلك أنِّي أكره أن أمِلَّكُم، وإني أتخوَّلُكُم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتخوَّلنا بها، مخافة السآمة علينا[١].

وأوصى ابن عباس رضي الله عنه عكرمة قائلاً: حَدِّثْ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مِرَارٍ وَلَا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ[٢].

ولقد ترتَّب على اتِّباع هذا الأسلوب الحكيم في التعليم أن أقبل طلاب العلم على الصحابة الكرام يسمعون منهم بشغفٍ شديد، ويحفظون ما يسمعون، ممَّا ساعد على حفظ السنة.

الوسيلة الرابعة: استغلال الأوقات المناسبة لتحديث الناس وتعليمهم

فكما كانوا يتخوَّلونهم بالموعظة، حتى لا يشُقُّوا عليهم، كانوا أيضاً يختارون الوقت المناسب للتحديث وقد سبقت وصيَّة ابن عباسٍ رضي الله عنه عكرمة قائلاً له: وَلَا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ وَلَكِنْ أَنْصِتْ فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ[٣].

بل كانوا يترقَّبون الأوقات التي يشتهي فيها التلاميذ السماع، ويكونون مهيَّئين لذلك:

عن عاصم بن محمد عن أبيه قال: رأيتُ أبا هريرة رضي الله عنه يخرج يوم الجمعة، فيقبض على رمانتي المنبر، قائماً ويقول: حدثنا أبو القاسم رسول الله ﷺ الصادق المصدوق، فلا يزال يُحدِّث حتى إذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام للصلاة جلس[٤].

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب العلم باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ١٩٧/١ رقم: ٧٠، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب الاقتصاد في الموعظة ٢١٧٣/٤ رقم: ٢٨٢١.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب ما يكره من السجع في الدعاء ١٤٢/١١ رقم: ٦٣٣٧.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الدعوات باب ما يكره من السجع في الدعاء ١٤٢/١١ رقم: ٦٣٣٧.

[٤] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة ٥١٢/٣ وقال: صحيح الإسناد ولم يُخرجاه، ووافقه الذهبي، قلت: إسناده حسن رجاله كلهم ثقات سوى أحمد بن كامل القاضي فيه ضعف من قبل حفظه ينزله إلى درجة الصدوق فيحسن حديثه مالم يخالف، قال الذهبي: ليَّنه الدارقطني، وقال: كان متساهلاً، ومشَّاه غيره، وكان من أوعية العلم، كان يَعْتَمِدُ على حفظه فَيَهِمُ ميزان الاعتدال ١٢٩/١ رقم: ٥٢١، وقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الصلوات باب الحديث يوم الجمعة قبل الصلاة ٤٦٨/١ رقم: ٥٤١٠ بسنده عن هلال بن أبي هلال المدني قال: كان أبو هريرة رضي الله عنه يحدثنا يوم الجمعة حتى يخرج الإمام وإسناده حسن فيه محمد بن هلال بن أبي هلال المدني، صدوق، تقريب التهذيب ٥٥٨/٢ رقم: ٦٦٢٤،

الوسيلة الخامسة: عقد مجالس للتحديث

من الوسائل التي استخدمها الصحابة رضوان الله عليهم لتبليغ الحديث أن يعقدوا مجالس خاصة للتحديث يعرفها الطلاب ويحضُروا إليها متهيّئين مستعدِّين للسَّماع والحفظ، وهذه الأمثلة تُؤكِّد ذلك:

١- كان من أشهر من يجلسون للتحديث راوية الإسلام أبو هريرة رضي الله عنه فعن محمد بن عمرو بن حزم أنه قعد في مجلسٍ فيه أبو هريرة رضي الله عنه يحدثهم عن رسول الله ﷺ ينكره بعضهم ويعرفه البعض حتى فعل ذلك مراراً قال: فعرفتُ يومئذ أن أبا هريرة رضي الله عنه أحفظ الناس عن رسول الله ﷺ[١].

وروى عاصم بن محمد عن أبيه قال: رأيتُ أبا هريرة رضي الله عنه يخرج يوم الجمعة، فيقبض على رمانتي المنبر، قائماً ويقول: حدثنا أبو القاسم رسول الله ﷺ الصادق المصدوق، فلا يزال يُحدِّث حتى إذا سمع فتح باب المقصورة لخروج الإمام للصلاة جلس[٢].

وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقوم كل خميسٍ فيُحدِّثهم[٣].

وعن مكحولٍ قال: تواعد الناس ليلةً إلى قُبَّةٍ من قباب معاوية رضي الله عنه فاجتمعوا فيها فقام فيهم أبو هريرة رضي الله عنه يحدثهم عن رسول الله ﷺ حتى أصبح[٤].

٢- عن أبي وائل شقيق بن سلمة أنَّه قال: كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يُذَكِّر النَّاس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن، لوددتُ أنَّك ذَكَّرْتنا كل يومٍ

وأبوه هلال بن أبي هلال المدني مقبول تقريب التهذيب ٦٤١/٢ رقم: ٧٦٣٠، وقد توبع كما في الرواية السابقة.

[١] المستدرك للحاكم كتاب معرفة الصحابة ٥١١/٣، والتاريخ الكبير للبخاري ١٨٦/١، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤٥/٨، قلت: إسناده حسن فيه إسماعيل بن أبي أويس صدوق تقريب التهذيب ٥٢/١ رقم: ٤٩٦ وعبد الرحمن بن أبي الزناد صدوق تقريب التهذيب ٣٣٥/١ رقم: ٣٩٧٠.

[٢] سبق تخريجه قريبا.

[٣] أخرجه الخطيب في الجامع ٦٤/٢ رقم: ١٨١.

[٤] الخطيب في الجامع ٦٧/٢ رقم: ١١٩٠، وحلية الأولياء ٢٧٦/٨، قلت: إسناده ضعيف رجال الإسناد ثقات إلا أنه منقطع لأن مكحولاً لم يسمع من أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: أما إنه يمنعني من ذلك أنِّي أكره أن أمِلَّكُم، وإني أتخوَّلُكُم بالموعظة، كما كان النبي ﷺ يتخوَّلنا بها، مخافة السآمة علينا[١].

٣- عن هلال بن يساف قال: قدمتُ البصرة فدخلتُ المسجد فإذا أنا بشيخٍ أبيض الرأس واللحية، مستنداً إلى اسطوانة في حلقةٍ يُحدِّثهم، فسألتُ: من هذا؟ قالوا: عمران بن حصين رضي الله عنه[٢].

٤- عن سليم بن عامر قال: كان أبو أمامة رضي الله عنه إذا قعدنا إليه يجيئنا من الحديث بأمرٍ عظيم، ويقول للناس: اسمعوا واعقلوا، وبلِّغوا عنَّا ما تسمعون، قال سليم: بمنزلة الذي يُشْهِد على ما علَّم[٣].

٥- عن خَرَشَة بن الْحُرِّ قال: كنتُ جالساً في حلقةٍ في مسجد المدينة قال: وفيها شيخٌ حسن الهيئة وهو: عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: فجعل يُحدِّثهم حديثاً حسناً قال: فلمَّا قام قال القوم: من سرَّه أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة فلينظر إلى هذا... الحديث[٤].

الوسيلة السادسة: خُطَب الجمعة والمناسبات

لا شكَّ أن خطب الجمعة والعيدين والاستسقاء والمناسبات المختلفة كانت وسيلةً من وسائل تبليغ السنة؛ وذلك لأن الصحابي كان يصعد المنبر فيحدِّثهم عن القرآن والسنه، والمستمعون مُهَيَّئون للتلقِّي والحفظ، وهذه بعض الأمثلة المؤكِّدة لذلك:

١- عن قيس بن أبي حازم أنه حدَّث عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه خطب فقال: يا أيُّها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضعها الله: **(يَا**

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب العلم باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ١٩٧/١ رقم: ٧٠، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب الاقتصاد في الموعظة ٢١٧٣/٤ رقم: ٢٨٢١.

[٢] أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٥٣/٤، والطبراني في المعجم الكبير ١٠٤/١٨، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٣٧١/٩ قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٣] أخرجه الدارمي في مقدمة سننه بلفظه باب البلاغ عن رسول الله ﷺ وتعليم السنن ١٤٦/١ رقم: ٥٤٤، والطبراني في المعجم الكبير ١٦٠/٨ رقم: ٧٦٧٣، نحوه، وقال الهيثمي: سنده حسن مجمع الزوائد ١٤٠/١، قلت: إسناد الدارمي صحيح ورجاله ثقات أبو المغيرة هو: عبد القدوس بن الحجاج ثقة تقريب التهذيب ٣٦٢/١ رقم: ٤٢٧٠ وصفوان هو ابن عمرو بن هرم ثقة تقريب التهذيب ٢٥٦/١ رقم: ٣٠١٥.

[٤] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عبد الله بن سلام رضي الله عنه ١٩٣١/٤ رقم: ٢٤٨٤.

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهتَدَيْتُمْ)[1]، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا المُنْكَرَ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يُنْكِرُوهُ يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابِهِ)**[2].

٢- عن علقمة بن وقاص الليثي قال: سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ)**[3].

٣- عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعتُ عثمان رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: إني كتمتُكم حديثاً سمعتُه من رسول الله ﷺ كراهية تفرُّقكم عنّي ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِواهُ مِنَ المَنَازِلِ)**[4].

٤- عن ربعي بن حِراشٍ أنه سمع علياً رضي الله عنه يخطب قال: قال رسول الله ﷺ **(لاَ تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَكْذِبْ عَلَيَّ يَلِجِ النَّارَ)** [5].

وخُطَب الصحابة رضوان الله عليهم التي ضمَّنوها أحاديث عن النبي ﷺ كثيرة جداً.

---

[1] سورة المائدة جزء من الآية رقم: ١٠٥.

[2] أخرجه بلفظه: أحمد في مسنده ١٨٨/١ رقم: ٥٣ وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وأخرجه بألفاظٍ متقاربة: أبو داود في سننه كتاب الملاحم باب الأمر والنهي ١٢٠/٤ رقم: ٤٣٣٨، والترمذي في سننه كتاب الفتن باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يُغَيَّر المنكر ٦٩/٤ رقم: ٢١٧٥ وقال: هذا حديثٌ صحيح، وابن ماجه في سننه كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٣٢٧/٢ رقم: ٤٠٠٥، وصحَّحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٣٦٧/٢ رقم: ٣٢٣٦، والنسائي في السنن الكبرى كتاب التفسير باب (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهتَدَيْتُمْ) ٣٣٨/٦ رقم: ١١١٥٧، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١٥/١ رقم: ١، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: إنما الأعمال بالنيات ١٥١٥/٣ رقم: ١٩٠٧.

[4] أخرجه الترمذي في سننه بلفظه كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل المرابط ٢٥٢/٣ رقم: ١٦٧٣ وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وذكره الألباني في صحيح سنن الترمذي ١٣٣/٢ رقم: ١٧٣٤ وحسَّنه، وبنحوه أخرجه: النسائي في سننه كتاب الجهاد باب فضل الرباط ٤٠/٦، وأحمد في مسنده ٣٦٦/١ رقم: ٤٧٠ وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، والدارمي في سننه كتاب الجهاد باب فضل من رابط يوماً وليلة ٢٧٧/٢ رقم: ٢٤٢٤، والحاكم في المستدرك كتاب الجهاد ٦٨/٢ وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الصحيح عدا أبو صالح مولى عثمان وقد وثَّقه ابن حبان الثقات ١٣٦/٤، والعجلي الثقات صـ: ٥١، والهيثمي مجمع الزوائد ٢٩٧/١.

[5] أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه بلفظه باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ٩/١، والبخاري في صحيحه بنحوه كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/ ٢٤١ رقم: ١٠٦.

وهكذا كانت الخطب إحدى الوسائل التي استخدمها الصحابة رضوان الله عليهم لنقل السنة إلى غيرهم.

الوسيلة السابعة: قيامهم بواجب الفتوى

كان من الطبيعي أن يلتفَّ التابعون حول الصحابة رضوان الله عليهم، يسألونهم عمَّا يحتاجون إلى معرفته من أمور دينهم، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يجيبون عليهم، ويذكرون لهم في أغلب الأحيان مأخذ الفتوى من قرآن أو سنة، فيتلقَّى التابعون الفتوى، والأحاديث النبوية، وهذه بعض الأمثلة الدالة على ذلك:

١- عن سعيد بن أبي الحسن قال: كنتُ عند ابن عباسٍ رضي الله عنه إذ أتاه رجلٌ فقال: يا ابن عبَّاس إني إنسان إنما معيشتي من صَنْعَة يدي، وإني أصنع هذه التصاوير فقال ابن عباس رضي الله عنه: لا أحدثك إلا ما سمعتُ من رسول الله ﷺ سمعتُه ﷺ يقول: **(مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فَإِنَّ اللهَ مُعَذِّبُهُ حَتَّى يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحُ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ فِيهَا أَبَداً)** فَرَبَا[١] الرجل ربوةً شديدةً واصفرَّ وجهه، فقال رضي الله عنه: ويحكَ، إن أبيتَ إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر؛ كل شيئٍ ليس فيه روح[٢].

٢- عن عمرو بن دينار قال: سألنا ابن عمر رضي الله عنه عن رجلٍ طاف بالبيت للعمرة ولم يطف بين الصفا والمروة أيأتي امرأته؟ فقال رضي الله عنه: قَدِم النبي ﷺ فطاف بالبيت سبعاً، وصلَّى خلف المقام ركعتين، وطاف بين الصفا والمروة، وقد كان لكم في رسول الله ﷺ أُسوة حسنة[٣].

٣- عن عاصم بن سليمان الأحول قال: سألتُ أنس بن مالك رضي الله عنه عن القنوت فقال: قد كان القنوت قلتُ: قبل الركوع أو بعده؟ قال: قبله قال: فإن فلاناً أخبرني عنك أنك قلتَ: بعد الركوع؟ فقال: كذب، إنما قنت رسول الله ﷺ بعد الركوع شهراً، أُراه كان بعث

---

(١) قال الخليل: ربا الرجل: أصابه نفسٌ في جوفه، وهو: الربو، والربوة، وقيل معناه: ذُعِرَ وامتلأ خوفاً فتح الباري ٤٨٦/٤، والرَّبْوُ هو: التَّهيُّج وتواتر النَّفَس الَّذِي يَعْرِضُ للمُسْرع في مشيه وحركته النهاية في غريب الحديث ١٧٧/٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب البيوع باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح، وما يكره من ذلك ٤٨٥/٤ رقم: ٢٢٢٥، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب اللباس باب تحريم تصوير صورة الحيوان ١٦٧٠/٣ رقم: ٢١١٠.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب الصلاة باب قول الله تعالى: (واتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) ٥٩٥/١ رقم: ٣٩٥، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب الحج باب ما يلزم من أحرم بالحج ثم قدم مكة من الطواف والسعي ٩٠٦/٢ رقم: ١٢٣٤.

قوماً يُقال لهم القُرَّاء زُهاء سبعين رجلاً إلى قومٍ من المشركين دون أولئك، وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فقنت رسول الله ﷺ شهراً يدعو عليهم[1].

وقد شكَّلت هذه الأجوبة والفتاوى والأقضية مادةً كثيرةً في مختلف أبواب كتب السنة، ويبعد أن ينسى هذه الحوادث من وقعت له، لأنها جزءٌ من حياته، وواقعة بارزة من وقائع عمره، وهكذا كانت الفتوى إحدى الوسائل التي نقل الصحابة رضوان الله عليهم بواسطتها السنة النبوية إلى من بعدهم.

قال ابن حجر: كثرت أحاديث ابن عمر رضي الله عنه لكثرة من كان يسأله ويستفتيه[2].

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوتر باب القنوت قبل الركوع وبعده ٥٦٨/٢ رقم: ١٠٠٢.

[2] فتح الباري ١٩٩/١.

عاشراً: التقليل من الرواية خشية الوقوع في الخطأ

ومع حرص الصحابة رضوان الله عليهم على تبليغ الحديث بكل الطرق الممكنة إلى من جاء بعدهم فإنهم كانوا حريصين على أمرين:

الأول: التقليل من الرواية

التقليل من الرواية خشية الوقوع في الخطأ من حيث لا يشعرون، وحتى لا يتَّسع الناس في الرواية ويدخلها الشوب، أو يقع فيها الغلط، فضلاً عن قصدهم أن يتفرَّغ الناس لحفظ القرآن ولا ينشغلوا عنه بشيئ:

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إنه ليمنعني أن أُحدِّثكم حديثاً كثيراً أن النبي ﷺ قال: **(مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِباً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)**[1].

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال: قلتُ للزبير رضي الله عنه: إني لا أسمعك تُحدِّث عن رسول الله ﷺ كما يُحَدِّث فلان وفلان. قال: أما إني لم أُفارقه، ولكن سمعتُه ﷺ يقول: **(مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)**[2].

وعن مجاهد قال: صحبتُ ابن عمر رضي الله عنه إلى المدينة، فلم أسمعه يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثاً واحداً[3].

وقال الشعبي: جالستُ ابن عمر رضي الله عنه سنةً فما سمعتُه يُحَدِّث عن رسول الله ﷺ شيئاً[4].

قال ابن حجر: فيه ما كان بعض الصحابة رضوان الله عليهم عليه من توقِّي الحديث عن النبي ﷺ إلا عند الحاجة؛ خشية الزيادة والنقصان، وهذه كانت طريقة ابن عمر رضي الله

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٢٤٣/١ رقم: ١٠٨، ومسلم في مقدمة صحيحه باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ١٠/١ رقم: ٢ كلاهما بلفظه.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٢٤٢/١ رقم: ١٠٧.

[3] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب الفهم في العلم ١٩٨/١ رقم: ٧٢.

[4] أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه باب التوقِّي في الحديث عن رسول الله ﷺ ١١/١ رقم: ٢٦، وصححه الألباني انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١٠/١ رقم: ٢٤، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

عنه ووالده عمر رضي الله عنه، وجماعة، وإنما كثرت أحاديث ابن عمر رضي الله عنه مع ذلك لكثرة من كان يسأله ويستفتيه[١].

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قلنا لزيد بن أرقم رضي الله عنه: حدِّثنا عن رسول الله ﷺ قال: كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله ﷺ شديد[٢].

وعن السائب بن يزيد قال: صحبتُ سعد بن مالك رضي الله عنه من المدينة إلى مكة فما سمعتُه يُحدِّثُ عن النبي ﷺ بحديثٍ واحد[٣].

وقال عمران بن حصين رضي الله عنه: أي مطرف والله إن كنت لأرى أني لو شئت حدثت عن نبي الله ﷺ يومين متتابعين لا أعيد حديثا، ثم لقد زادني بطئا عن ذلك وكراهية له أن رجالا من أصحاب محمد ﷺ أو من بعض أصحاب محمد ﷺ شهدتُ كما شهدوا وسمعتُ كما سمعوا يحدثون أحاديث ما هي كما يقولون ولقد علمت أنهم لا يألون عن الخير فأخاف أن يشبه لي كما شبه [٤].

قال ابن قتيبة عقب هذا الكلام: فأعلمك أنهم كانوا يغلطون، لا أنهم كانوا يتعمدون[٥].

وقد صحَّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان ينهى الصحابة رضوان الله عليهم عن الإكثار من الحديث فعن قَرَظَة بن كعبٍ رضي الله عنه قال: بعثنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الكوفة وشيَّعنا، فمشى معنا إلى موضعٍ يُقال له صِرار، فقال: أتدرون لِمَ مشيتُ معكم؟ قال: قلنا: لِحقِّ صُحبة رسول الله ﷺ ولِحَقِّ الأنصار، قال: لكني مشيتُ معكم لحديثٍ أردتُ أن أُحدِّثَكُم به، فأردتُ أن تحفظوه لممشاي معكم، إنكم تَقْدُمُون على قومٍ للقرآن في صدورهم هزيز كهزيز المِرْجَل، فإذا رأوكم مدُّوا إليكم أعناقهم وقالوا: أصحاب محمد ﷺ فأقِلُّوا

---

[١] فتح الباري ١٩٩/١.

[٢] أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ ١١/١ رقم: ٢٥، وصححه الألباني انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١٠/١ رقم: ٢٣، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٣] أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه باب التوقي في الحديث عن رسول الله ﷺ ١٢/١ رقم: ٢٩، وصححه الألباني انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١١/١ رقم: ٢٧، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٤] مسند أحمد ٦٧/١٥ رقم: ١٩٧٧٩، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات، ولا شَكَّ أنه أراد بذلك أنهم يغلطون لا أنهم يتعمَّدون الكذب وأن الصحابة الآخرين يُصَوِّبُون لهم ويراجعونهم إذا أخطأوا.

[٥] تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة صـ: ٤٠.

الرواية عن رسول الله ﷺ ثم أنا شريككم، فلما قدم قرظة قالوا: حدِّثنا قال: نهانا عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١].

قال ابن كثير معقِّباً على ذلك: وهذا محمولٌ من عمر رضي الله عنه على أنه خشي من الأحاديث التي قد يضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتَّكلون على ما فيها من أحاديث الرُّخَص، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك[٢].

فمقصود عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو: عدم التجاسُر على الإكثار من الرواية خشية أن تزِلَّ القدم، وتنسى الذاكرة، فيقع الناس في شبهة الكذب على رسول الله ﷺ.

قال ابن قتيبة: وكان كثيرٌ من جلة الصحابة رضوان الله عليهم وأهل الخاصة برسول الله ﷺ كأبي بكرٍ، والزبير، وأبي عبيدة، والعباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم يُقِلُّون الرواية عنه، بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئاً كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة[٣].

الثاني: عدم التحديث بكل ما سمعوا

فإن الإكثار من التحديث مظنة الوقوع في الخطأ، والعاقل ينتقي ممَّا يسمع ما يناسب المستمع، فليس كل ما يُعْرَف يُقَال، ولا كل ما يُقَال حضر أهله، ولا كل من حضر أهله حضر وقته، وهذا منهجٌ نبويٌ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(كَفَى بِالمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعْ)**[٤].

وصحَّ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنهما قالا: بحسب المرء من الكذب أن يُحدِّث بكل ما سمع[٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه بلفظه باب التوقِّي في الحديث عن رسول الله ﷺ ١٢/١ رقم: ٢٨، وصححه الألباني انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١١/١ رقم: ٢٦، والحاكم في المستدرك بنحوه كتاب العلم ١٠٢/١ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) البداية والنهاية ١٠٢/٨.

(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة صـ: ٤٠.

(٤) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١٠/١ رقم: ٥.

(٥) أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١١/١.

الحادي عشر: وضع وسائل مُتَنَوِّعة للتأكُّد من صدق الراوي عن الرسول ﷺ

الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول كما أسلفنا، وهم فيما بينهم محلُّ ثقةٍ وتقدير، ولم يكن يُكذِّب بعضهم بعضاً في الرواية، بل كانوا يسمعون الحديث من النبي ﷺ تارةً، ويسمعونه من أصحابه تارةً أخرى فيروونه عن الرسول ﷺ.

فهذا ابن عباس رضي الله عنه يروي حديث: **(الرِّبَا فِي النَّسِيئَةُ)** عن النبي ﷺ فلما رُوجِع فيه قال: أخبرني به أسامة بن زيد رضي الله عنه[١].

ويروي ابن عباس رضي الله عنه حديث: **(أن رسول الله ﷺ لَمْ يَزَلْ يُلَبِّي حَتَّى بَلَغَ الجَمْرَةَ)** عن أخيه الفضل بن العباس رضي الله عنه[٢].

وهذا أبوهريرة رضي الله عنه يقُصُّ يقول في قصصه: **(مَنْ أَدْرَكَهُ الفَجْرُ جُنُباً فَلَا يَصُمْ)** فبلغ ذلك عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فكلتاهما قالت: **(كان النبي ﷺ يُصْبِحُ جُنُباً مِنْ غَيْرِ حُلْمٍ ثُمَّ يَصُومُ)** فلما بلغ ذلك أبا هريرة رضي الله عنه قال: أهما قالتاه، هما أعلم، ثم رَدَّ أبو هريرة رضي الله عنه ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس رضي الله عن ، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعتُ ذلك من الفضل رضي الله عنه ولم أسمعه من النبي ﷺ قال: فرجع أبو هريرة رضي الله عنه عما كان يقول في ذلك[٣].

والأمثلة على هذا كثيرة، ولكن هذا لم يمنعهم من التثبُّت في قبول الأخبار، حرصاً على الضبط والإتقان حين التحديث، وخشية وقوع الراوي في الخطأ أو النسيان، وقد وضعوا لذلك وسائل عديدة من أشهرها:

١-استحلاف الراوي على صدق روايته

قال الذهبي في ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كان إماماً عالماً مُتَحَرِّياً في الأخذ، بحيث إنه يستحلف من يحدثه بالحديث[٤].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب بيع الطعام مثلاً بمثل ١٢١٧/٣ رقم: ١٥٩٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج باب النزول بين عرفة وجمع ٦٠٧/٣ رقم: ١٦٧٠، ومسلم في صحيحه كتاب الحج باب استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة يوم النحر ٩٣١/٢ رقم: ١٢٨١ كلاهما بلفظه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب الصيام باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٧٧٩/٢ رقم: ١١٠٩ ، وأخرجه بنحوه: البخاري في صحيحه كتاب الصوم باب الصائم يصبح جنباً ١٧٠/٤ رقم: ١٩٢٥، ١٩٢٦.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي ١٠/١.

ثم نقل عنه أنه قال: كنتُ رجلاً إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، وإذا حدَّثني أحدٌ من أصحابه استحلفتُه، فإذا حلف لي صدَّقته ... الحديث[١].

قال ابن قتيبة: أفما ترى تشديد القوم في الحديث، وتوقِّي من أمسك، كراهية التحريف، أو الزيادة في الرواية أو النقصان[٢].

قلت : لم يكن الاستحلاف عاماً عند الصحابة بل كان لزيادة التوقِّي والتأكُّد في بعض الأوقات ومن بعض الأشخاص.

٢-طلب شاهد على الرواية

وهذه أمثلة على ذلك:

أ- قال الذهبي: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من احتاط في قبول الأخبار[٣].

روى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب قال: جاءت الجدة إلى أبي بكر رضي الله عنه تسأله ميراثها، فقال: مالكِ في كتاب الله تعالى شيئ، وما علمتُ لكِ في سنة نبي الله ﷺ شيئاً، فارجعي حتى أسأل الناس، فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: حضرتُ رسول الله ﷺ أعطاها السدس، فقال أبو بكر رضي الله عنه: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال مثل ما قال المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه[٤].

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب في الاستغفار ٨٧/٢ رقم: ١٥٢١، والترمذي في سننه كتاب تفسير القرآن باب من سورة آل عمران ١٠/٥ رقم: ٣٠١٧ كلاهما بلفظه، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣٣/٣ رقم: ٢٤٠٤، وأحمد في مسنده بنحوه ١٦٥/١ رقم: ٢ وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال ابن حجر: هذا الحديث جيد الإسناد تهذيب التهذيب ٢٨٤/١، قلت: إسناده حسن فيه أسماء بن الحكم الفزاري صدوق ومدار الحديث عليه وباقي رجاله ثقات تقريب التهذيب ٤٧/١ رقم: ٤٤١.

[٢] تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة صـ: ٤٠.

[٣] تذكرة الحفاظ ٢/١.

[٤] أخرجه أبو داود في سننه بلفظه كتاب الفرائض باب في الجدة ١٢١/٣ رقم: ٢٨٩٤، وأخرجه بنحوه: الترمذي في سننه كتاب الفرائض باب ما جاء في ميراث الجدة ٣٢/٤ رقم: ٢١٠٧، ٢١٠٨، وابن ماجه في سننه كتاب الفرائض باب ميراث الجدة ٩٠٩/٢ رقم: ٢٧٢٤، ومالك في الموطأ كتاب الفرائض باب في ميراث الجدة صـ: ٤٠٧، وأورده الألباني في ضعيف سنن أبي داود رقم: ٦١٧، وضعيف سنن الترمذي صـ: ٢٣٧ رقم: ٣٧٠، وضعيف سنن ابن ماجه صـ: ٢١٨ رقم: ٥٩٥، قلت: إسناده ضعيف لأنه منقطع لأن قبيصة لم يُدرِك أبا بكر رضي الله عنه.

ولم يكن ذلك شكَّاً في المغيرة رضي الله عنه ولا رداً لخبره، بل توقُّفٌ حتى يأتيه ما يؤيِّد هذا الخبر ويشهد له، زيادةً في التثبُّت والاحتياط.

ب- وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال: كنتُ في مجلسٍ من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى رضي الله عنه كأنه مذعور، فقال: استأذنتُ على عمر رضي الله عنه ثلاثاً، فلم يؤذن لي، فرجعتُ، فقال: ما منعك؟ قلتُ: استأذنتُ ثلاثاً، فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله ﷺ **(إِذَا استَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثاً، فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ)** فقال: والله لتُقيمَنَّ عليه بيِّنة، أمنكم أحدٌ سمعه من النبي ﷺ؟ فقال أبي بن كعب رضي الله عنه: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنتُ أصغر القوم، فقمتُ معه، فأخبرتُ عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال ذلك[1].

ولم يكن ذلك شكَّاً في أبي موسى رضي الله عنه ولا رداً لخبره، بل توقُّفٌ حتى يأتيه ما يؤيِّد هذا الخبر ويشهد له، زيادةً في التثبُّت والاحتياط.

ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خَفِيَ عَلَيَّ هذا من أمر رسول الله ﷺ ألهاني عنه الصَّفْق بالأسواق[2].

وقال أُبي بن كعب رضي الله عنه له: يا ابن الخطاب: لا تكوننَّ عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ فقال عمر رضي الله عنه: سبحان الله! إنما سمعتُ شيئاً فأحببتُ أن أتثبَّت[3].

ج- عن مالك بن أنس عن ابن شهاب الزهري أن رسول الله ﷺ قال: **(لاَ يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ)** قال مالك قال ابن شهاب: ففحص عن ذلك عمر بن الخطاب

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثا ٢٨/١١ رقم: ٦٢٤٥، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب الآداب باب الاستئذان ١٦٩٤/٣ رقم: ٢١٥٣.

[2] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب باب الاستئذان ١٦٩٦/٣ رقم: ٢١٥٣.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الآداب باب الاستئذان ١٦٩٦/٣ رقم: ٢١٥٣.

رضي الله عنه حتى أتاه الثلج واليقين أن رسول الله ﷺ قال: **(لاَ يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ)** فأجلى يهود خيبر[1].

وإنما كان هذا من أبي بكرٍ رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه لإشعار الناس بخطورة الرواية عن رسول الله ﷺ لئلَّا يستهينوا بها، ولئلا يجترئ غير الصحابة رضوان الله عليهم فيقولوا على رسول الله ﷺ ما لم يقل، ويُدْخِلُوا في حديثه ﷺ ما ليس منه، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى رضي الله عنه: أما إنّي لم أتَّهِمْك، ولكن خشيتُ أن يتقوَّل الناس على رسول الله ﷺ[2].

ولقد اشتهر منهج عمر رضي الله عنه في التثبُّت والاحتياط في نقل السنة بين الصحابة والتابعين حتى قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: إيَّاكم وأحاديث إلا حديثاً كان في عهد عمر رضي الله عنه فإن عمر رضي الله عنه كان يُخيف الناس في الله عزَّ وجلَّ[3].

٣-التأكُّد من حفظ الراوي بطلب سماع الحديث منه مرةً أخرى، أو بسؤاله، أو بمراجعة الرسول ﷺ للتأكُّد من ضبطه

فقد يسمع الصحابي الحديث من صحابيٍ مثله، فيستغرب معناه، أو يستغرب من حفظه، أو من شيءٍ آخر، فيسأله بعد فترةٍ من الزمن ليتأكَّد من حفظه للحديث، وهذه أمثلة على ذلك:

١- عن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها: يابن أختي، إن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه مارٌّ بنا إلى الحج، فالقه، فاسأله، فإنه حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً، قال: فلقيتُه، فساءلتُه عن أشياء يذكرها عن رسول الله ﷺ.

قال عروة: فكان فيما ذكر أن النبي ﷺ قال: **(إِنَّ اللهَ لاَيَنْتَزِعُ العِلْمَ مِنَ النَّاسِ انتِزَاعاً، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العُلَمَاءَ، فَيُرْفَعُ العِلْمُ مَعَهُمْ، وَيَبْقَى فِي النَّاسِ رُؤُوساً جُهَّالاً يُفْتُونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَيَضَلُّونَ وَيُضِلُّون)**.

---

[1] أخرجه مالك في الموطأ مرسلاً بلفظه كتاب الجامع باب ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة صـ: ٦٨٠ والحديث في الصحيحين من رواية ابن عباس رضي الله عنه أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجزية والموادعة باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ٣١٢/٦ رقم: ٣١٦٨، ومسلم في صحيحه كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه ١٢٥٧/٣ رقم: ١٦٣٧ كلاهما بلفظ: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.

[2] أخرجه مالك في الموطأ كتاب الاستئذان باب الاستئذان صـ: ٧٣٤ وإسناده منقطع لأنه من رواية ربيعة بن عبد الرحمن عن غير واحد من العلماء وقد وصله الشيخان من طريق عطاء بن أبي رباح عن عبيد بن عمير بدون الجملة الأخيرة انظر تخريج الحديث في الصفحة السابقة.

[3] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزكاة باب النهي عن المسألة ٧١٨/٢ رقم: ١٠٣٧.

قال عروة: فلما حدَّثتُ عائشة رضي الله عنها بذلك، أَعْظَمَتْ ذلك، وأنكرته، قالت: أَحَدَّثَكَ أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا؟ قال عروة: حتى إذا كان قابِل، قالت له: إن ابن عمرو رضي الله عنه قد قَدِم فالقه، ثم فَاتِحْهُ حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم، قال: فلقيتُه، فساءلتُه، فذكره لي نحو ما حدَّثني به في المرة الأولى، قال عروة: فلمَّا أخبرتها بذلك قالت: ما أحسبه إلَّا قد صدق، أراه لم يزِد فيه شيئاً، ولم ينقُص[١].

وليس معنى هذا أنها اتَّهمته في روايته للحديث لكنها خافت أن يكون اشتبه عليه أو قرأه من كتب الحكمة فتوَّهمه عن النبي ﷺ فلما كرَّره مرةً أخرى، وثبت عليه غلب على ظنها أنه سمعه من النبي ﷺ[٢].

٢- وحدَّث عمرو بن عبَسَة رضي الله عنه يوماً بحديثٍ طويلٍ عن رسول الله ﷺ فقال له أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه: يا عمرو بن عَبَسَة، انظر ما تقول، في مقامٍ واحدٍ يُعْطَى هذا الرجل؟ فقال عمرو رضي الله عنه: يا أبا أمامة، لقد كبرت سني، ورقَّ عظمي، واقترب أجلي، وما بي حاجةٌ أن أكذب على الله عزَّ وجلَّ ، ولا على رسول الله ﷺ لو لم أسمعه من رسول الله ﷺ إلا مرَّةً أو مرَّتين أو ثلاثاً حتى عدَّ سبع مرات ما حدَّثتُ به أبداً، ولكني سمعتُه أكثر من ذلك[٣].

٣- وعن نافع أن ابن عمر رضي الله عنه قال له رجلٌ من بني ليث إن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يأثِر هذا عن رسول الله ﷺ فذهب عبد الله رضي الله عنه ونافع معه حتى دخل على أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فقال: إن هذا أخبرني أنك تخبر أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الوَرِق بالوَرِق إلا مثلاً بمثل، وعن بيع الذهب إلا مثلاً بمثل، فأشار أبو سعيد رضي الله عنه بإصبعيه إلى عينيه وأذنيه فقال: أبصرتْ عيناي وسمعتْ أذناي رسول الله ﷺ يقول: **(لاَ تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ، وَلاَ تَبِيعُوا**

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب العلم باب رفع العلم وقبضه، وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٢٠٥٩/٤ رقم: ٢٦٧٣، والبخاري في صحيحه بنحوه كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يُذكر من ذمّ الرأي وتكلُّف القياس ٢٩٥/١٣ رقم: ٧٣٠٧.

[٢] شرح النووي على صحيح مسلم ٢٢٥/١٦.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب إسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه ٥٦٩/١ رقم: ٨٣٢.

الوَرِقَ بِالوَرِقِ، إِلَّا مِثْلاً بِمِثْلٍ، وَلَا تُشِفُّوا[1] بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، وَلاَ تَبِيعُوا شَيْئاً غَائِبَاً مِنْهُ بِنَاجِزٍ إِلَّا يَدَاً بِيَدٍ)[2].

٤- أراد مروان بن الحكم والي المدينة أن يختبر قوة حفظ أبي هريرة رضي الله عنه نظراً لكثرة الأحاديث التي يرويها عن النبي ﷺ ففعل ما حدَّث به أبو الزعيزعة كاتب مروان قال: دعا مروان بن الحكم أبا هريرة رضي الله عنه فأقعدني خلف السرير، وجعل يسأله، وجعلتُ أكتب، حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به فأقعده وراء الحجاب فجعل يسأله عن ذلك فما زاد ولا نقص، ولا قدَّم ولا أخَّر[3].

ولهذا قال الإمام الذهبي مُعَلِّقاً على هذه القصة: هكذا فليكن الحفظ[4].

٥- عن سماك رضي الله عنه عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ كَذَّابِينَ)** قال فقلتُ له: أنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم[5].

٦- لما قدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من اليمن ببُدْنِ النبي ﷺ وجد فاطمة رضي الله عنها ممن حلَّ، ولبست ثياباً صبيغاً، واكتحلت، فأنكر ذلك عليها فقالت: إن أبي ﷺ أمرني بهذا، قال: فكان عليٌّ رضي الله عنه يقول بالعراق فذهبتُ إلى رسول الله ﷺ مُحَرِّشاً[6] على فاطمة رضي الله عنها للذي صَنَعَتْ مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرتْ عنه، فأخبرتُه أني أنكرتُ ذلك عليها فقال ﷺ **(صَدَقَتْ، صَدَقَتْ)**[7].

وهذا لا يعني أنهم كانوا يشترطون هذه الشروط في كل الروايات بل كانوا يقبلون الحديث إذا رواه واحد، إذا لم يعلموا معارِضاً له، وثبت عندهم أن راويه حافظ، وأن معناه مشهورٌ بينهم،

---

(١) أي لا تُفَضِّلوا. والشّف: النُّقصان أيضا، فهو من الأضْدَاد. يقال شَفَّ الدِّرهمُ يَشِفُّ، إذا زَادَ وإذا نَقَص. وأشَفَّه غيره يُشِفُّه النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٣٥/٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساقاة باب الربا ١٢٠٨/٣ رقم: ١٥٨٤.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب معرفة الصحابة باب ذكر أبي هريرة رضي الله عنه ٣/ ٥١٠، وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

(٤) سير أعلام النبلاء ٥٩٨/٢.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الفتن وأشراط الساعة ٢٢٣٩/٤ رقم: ٢٩٢٣.

(٦) أصل التحريش: الإغراء والمراد به هنا: أن يظهر له ما يقتضي عتابها راجع: النهاية في غريب الحديث ٣٥٤/١.

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب حجة النبي ﷺ ٨٨٨/٢ رقم: ١٢١٨.

وهذا موجودٌ في معظم السنن، ولذلك كانوا يقبلون الأحاديث من هذا النوع دون الحاجة إلى شيءٍ من ذلك، ومارُوي عنهم بخلاف ذلك إنما كان لمصلحةٍ اقتضته، ولم يكن منهجاً عاماً دائماً في كل الروايات.

والأمثلة التي ذكرتُها تدلُّ دلالةً بيّنة على تحرّي الصحابة رضوان الله عليهم، وتُظْهِر ما كانوا عليه من التثبُّت والتدقيق في قبول الأخبار صوناً لها من التحريف، وصيانةً لها من التبديل، وليس في تمحيصهم للرواية وتشدُّدهم في قبولها ما يُفيد أنهم كانوا يُكَذِّبون ناقل الحديث، بل كانوا يخشون الخطأ في النقل، والغلط في الحفظ، والوهم في الضبط، فلا يؤدَّى الحديث على وجهه الصحيح.

الثاني عشر: الحرص على نقل اللفظ النبوي بنصه إلا عند الضرورة

أدرك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أن كلام النبي ﷺ لا يساويه كلام غيره، وأنه أوتي جوامع الكلم، وأن لكل حرفٍ فيه معنى، وأن عبارة غيره مهما كان بليغاً تقصر عن عبارته، وأن الزيادة أو النقصان في كلامه ﷺ قد تُوقِع في الكذب عن غير قصد، فحرصوا حرصاً شديداً على رواية ألفاظ كلامه، دون زيادةٍ أو نقصان، ومن الصحابة رضوان الله عليهم من ترخَّص وسوَّغ الرواية بالمعنى لمن علم المباني، وفهم المعاني، وعرف مدلول الألفاظ، وما يُحِيل المعنى أو يُغَيِّره، فإن لم يذكروا نفس الألفاظ لنسيان اللفظ المسموع من النبي ﷺ وفي غير جوامع الكلم، وفي غير ما تُعُبِّد بلفظه، ذكروا أقرب الألفاظ منها، ثم يُتبِعون الحديث بعبارةٍ تُفِيد نقل المعنى وليس اللفظ، كقولهم: أو كما قال رسول الله ﷺ أو مثل ذلك، أو شبهه، أو نحوه، وهذه بعض الأمثلة التي تُؤكِّد هذا المعنى وتُثْبِتُهُ:

١- عن عمرو بن ميمون قال: ما أخطأني ابن مسعود رضي الله عنه عشيَّة خميس إلا أتيتُه فيه، قال: فما سمعتُه يقول بشيءٍ قط قال رسول الله ﷺ فلمَّا كان ذات عشيَّةٍ قال: قال رسول الله ﷺ قال: فنَكَس، قال: فنظرتُ إليه فهو قائمٌ مُحَلَّلَةٌ أزرار قميصه، قد اغرورقت عيناه، وانتفخت أوداجه قال: أو دون ذلك، أو فوق ذلك، أو قريباً من ذلك، أو شبيهاً بذلك[١].

وعن مسروق عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنه حدَّث يوماً عن رسول الله ﷺ فارتعد وارتعدت ثيابه، ثم قال: أو نحو هذا[٢].

٢- وعن محمد بن سيرين قال: كان أنس بن مالك رضي الله عنه إذا حدَّث عن رسول الله ﷺ حديثاً ففرغ منه، قال: أو كما قال رسول الله ﷺ [٣].

---

[١] أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه بلفظه باب التوقِّي في الحديث عن رسول الله ﷺ ١٠/١ رقم: ٢٣ وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: إسناده صحيح، احتجَّ الشيخان بجميع رواته، وصححه الألباني انظر: صحيح سنن ابن ماجه ١٠/١ رقم: ٢١، وأخرجه بنحوه: ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله صـ: ١١١ رقم: ٣٦٣، والحاكم في المستدرك كتاب العلم ١١١/١ وصحَّحه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٢] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب العلم ١١١/١ وصحَّحه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٣] أخرجه ابن ماجه في مقدمة سننه باب التوقِّي في الحديث عن رسول الله ﷺ ١٠/١ رقم: ٢٤، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله صـ: ١١١ رقم: ٣٦٢، وأحمد في مسنده ٩٥/١١ رقم: ١٣٠٥٧ كلهم بلفظه قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

٣- وكان ابن عمر رضي الله عنه إذا سمع الحديث من الصحابي وفيه أدنى تغيير عمَّا سمعه ردَّ عليه.

عن محمد بن علي بن الحسين قال: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه إذا سمع من نبي الله ﷺ شيئاً، أو شهد معه مشهداً، لم يُقَصِّر دونه، أو يَعْدُوه، قال: فبينما هو جالسٌ وعُبَيد بن عُمَير رضي الله عنه يقُصُّ على أهل مكة، إذ قال عبيد بن عمير رضي الله عنه: **(مَثَلُ المُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ بَيْنَ الغَنَمَيْنِ، إِنْ أَقْبَلَتْ إِلَى هَذِهِ الغَنَمِ نَطَحَتْهَا، وَإِنْ أَقْبَلَتْ إِلَى هَذِهِ نَطَحَتْهَا)** فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: ليس هكذا، فغضب عبيد بن عمير رضي الله عنه وفي المجلس عبد الله بن صفوان، فقال: يا أبا عبد الرحمن، كيف قال رحمك الله؟ فقال: قال ﷺ **(مَثَلُ المُنَافِقِ مَثَلُ الشَّاةِ بَيْنَ الرَّبِيضَينِ[١]، إِنْ أَقْبَلَتْ إِلَى ذَا الرَّبِيضِ نَطَحَتْهَا، وَإِنْ أَقْبَلَتْ إِلَى ذَا الرَّبِيضِ نَطَحَتْهَا)** فقال له: رحمك الله هما واحد، قال: كذا سمعت[٢].

وعن سعد بن عُبيدة عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسَةٍ: عَلَى أَنْ يُوحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَان، وَالْحَجِّ)** فقال رجلٌ: الحج، وصيام رمضان؟ قال: لا، صيام رمضان، والحج. هكذا سمعتُه من رسول الله ﷺ[٣].

---

(١) الربيضين مثنى الرَّبيض، والرَّبيض هو: الغنم نفسها، والرَّبَضُ: موضعها الذي تَرْبِضُ فيه، أي تجتمع فيه، والمعنى: أراد أنه مذبذبٌ كالشاة الواحدة بين قطيعين من الغنم، أو بين مَرْبِضَيْهِمَا النهاية في غريب الحديث ١٧٠/٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده بلفظه ١٠٥/٥ رقم: ٥٥٤٦ وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، والدارمي في مقدمة سننه نحوه باب من رخَّص في الحديث إذا أصاب المعنى ١٠٥/١ رقم: ٣١٨، وأصل الحديث عند مسلم من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنه بنحوه كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٢١٤٦/٤ رقم: ٢٧٨٤، قلت: إسناد أحمد صحيح لغيره فيه مصعب بن سلَّام صدوق له أوهام تقريب التهذيب ٥٨٦/٢ رقم: ٦٩٦٠ وقد تابعه في الرواية عن محمد بن سوقَة سفيان بن عيينة وإسناد الدارمي صحيح ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ٤٥/١ رقم: ١٦.

الثالث عشر: نقد الرواة أو وضع قواعد علم الجرح والتعديل

حرص الصحابة الكرام رضوان الله عليهم على حفظ السنة في الصدور، وتطبيقها في جميع مناحي الحياة، وبعضهم لم يكتفِ بذلك فكتبها في صُحُفٍ خاصة؛ صيانةً لها من الإضافة، والنقصان، والتحريف والنسيان، وقام بعضهم بالتجريح والتعديل حمايةً للسنة، ولكن الكلام في الرجال جرحاً وتعديلاً كان قليلاً في زمن الصحابة رضوان الله عليهم، ومعظمه منصرفٌ إلى الضبط، وهذا أمرٌ طبيعي؛ وذلك لأن الرواة في هذا الزمن كانوا من الصحابة، والصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول بتعديل الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ لهم، فلم يكونوا يعرفون الكذب في حديثهم، فضلاً عن أن يكذبوا على رسول الله ﷺ ثم نقلوها إلى التابعين كما سمعوها من فم النبي ﷺ.

وقد أراد الصحابة **رضوان الله عليهم** بالاهتمام المُبَكِّر بقواعد الجرح والتعديل: الاحتياط من وقوع البعض في الخطأ، ولرسم قواعد قبول الرواية لمن يأتي بعدهم.

سأل عبد الله بن عمر رضي الله عنه أباه رضي الله عنه عن روايةٍ لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال له عمر رضي الله عنه: إذا حدَّثك سعدٌ رضي الله عنه عن النبي ﷺ فلا تسأل عنه غيره[1].

وسأل عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن حديثٍ فوجد عنده منه علماً فقال له : هَلُمَّ فأنت العدل الرضا[2].

وظلَّ الأمر على ذلك حتى ظهرت الفتنة وحاول البعض أن يُؤَيِّد موقفه بأدلَّةٍ من السنة، فبدأ الصحابة رضوان الله عليهم ينتبهون لهذا الأمر، ويسألون عن أسانيد الأحاديث، ويتثبَّتون في النقل، ويتحرُّون في الرواية، وقد وجدوا في أدلة الشرع ما يُؤَكِّد هذا المنهج ويوجبه، حمايةً للسنة، ودفاعاً عنها.

فبدأ الصحابة رضوان الله عليهم البحث والتفتيش عن حال الرواة، إلا أن الكلام في الرواة جرحاً وتعديلاً كان قليلاً في هذا الزمن المبارك؛ لقِلَّة بواعثه؛ ولأن أكثر الرواة صحابة، وهم عدول، وأكثر الرواة من التابعين ثقات، فلا يكاد يوجد في القرن الأول الذي انقرض فيه الصحابة وكبار التابعين ضعيف، إلا الواحد بعد الواحد من التابعين، ولقد تكلَّم في الرواة عددٌ من صغار

---

[1] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الوضوء باب المسح على الخفين ٣٦٥/١ رقم: ٢٠٢.

[2] أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب السهو ٣٢٤/١ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

الصحابة[١] كأنس بن مالك رضي الله عنه وعبد الله بن عباس رضي الله عنه وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وغيرهم، وسأضرب لك من الأمثلة ما يُؤكِّد هذا الأمر ويثبته:

١- عن أبي إسحاق قال: كنتُ مع الأسود بن يزيد جالساً في المسجد الأعظم[٢] ومعنا الشعبي فحدَّث الشعبي بحديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ لم يجعل لها سُكْنى ولا نفقة. ثم أخذ الأسود كفّاً من حصى فحصبه به[٣] فقال: ويلك تُحدِّثُ بمثل هذا؟ قال عمر رضي الله عنه: لا نترك كتاب الله عزَّ وجلَّ وسنة نبيّنا ﷺ لقول امرأةٍ لا ندري لعلَّها حفظت، أو نسيت. لها السكنى والنفقة قال الله عزَّ وجلَّ: **(لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ)** [٤][٥].

فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحتاط في نقل هذه الرواية التي يراها مخالفةً للقرآن الكريم، ويُعلِّل سبب الرفض بخشيته من عدم ضبط راويه في النقل عن النبي ﷺ وهذه المعارضة التي رآها عمر رضي الله عنه ليست موضع تسليم عند الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم، فإن هذه الآية إما أن تكون خاصة بالرجعية كما يدل عليه قوله تعالى: **(لاَ تَدْرِي لَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرَاً)**[٦] وقوله: **(فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ)**[٧] فلا تعارُض حينئذٍ؛ لأن الحديث في البائن، وإما أن تكون شاملة للرجعية والبائنة، وعلى هذا فلا يكون حديث فاطمة منافياً للقرآن، بل غايته أن يكون مخصِّصاً لعمومه[٨]، والأمر موضع خلافٍ بين العلماء، والذي يعنينا هنا: هو نقد الصحابة رضوان الله عليهم للرواة وللمتون.

---

[١] راجع في هذا الموضوع: المتكلِّمون في الرجال للسخاوي صـ: ٩٣، وذكر من يُعْتَمد قوله في الجرح والتعديل للذهبي صـ: ١٧٥.

[٢] يريد مسجد الكوفة فإن أبا إسحاق والأسود والشعبي كلهم كوفيون.

[٣] أي رمى الأسود الشعبي بالحصباء إنكاراً منه على هذا الحديث.

[٤] سورة الطلاق جزء من الآية رقم: ١.

[٥] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الطلاق باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها ١١١٨/٢ رقم: ١٤٨٠.

[٦] سورة الطلاق جزء من الآية رقم: ١.

[٧] سورة الطلاق جزء من الآية رقم: ٢.

[٨] راجع في هذا الموضوع: كلام ابن القيم في تهذيبه لسنن أبي داود وشرحه لها ١٩٠/٣ – ١٩٣.

٢- **قال محمد بن سيرين أحد أئمة التابعين:** لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلمَّا وقعت الفتنة، قالوا: سَمُّوا لنا رجالكم، فيُنْظر إلى أهل السنة فيُؤْخَذُ حديثهم، ويُنْظَرُ إلى أهل البِدَع فلا يُؤْخَذُ حديثهم[١].

فهذا الأثر يُفيد وقوع العناية بالإسناد منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم، وهي تُمَثِّل نشأة بذوره فقط؛ لأن الإسناد وسيلة للكشف عن الرواة لاختبار عدالتهم وضبطهم، وكلهم عدولٌ ضابطون، ولكن كان يروي بعضهم عن بعض، والقليل منهم كان يروي عن التابعين كما روى السائب بن يزيد وهو صحابي عن عبد الرحمن بن عبد القاري وهو تابعي[٢].

فقد اعتنوا بالإسناد للوقوف على مخرج الحديث سليماً، وكلما ظهرت الفتن كلما زاد اهتمامهم بالإسناد.

قال ابن حبان: ولو لم يكن الإسناد وطلب هذه الطائفة له لظهر في هذه الأمة من تبديل الدين ما ظهر في سائر الأمم، وذلك أنه لم يكن أمة لنبي قط حفظت عليه الدين عن التبديل ما حفظت هذه الأمة، حتى لا يتهيَّأ أن يُزَاد في سنةٍ من سنن رسول الله ﷺ أَلِفٌ ولا واوٌ، كما لا يتهيَّأ زيادة مثله في القرآن، لحفظ هذه الطائفة السنن على المسلمين، وكثرة عنايتهم بأمر الدين، ولولاهم لقال من شاء ما شاء[٣].

٣- عن مجاهد بن جبرٍ قال: جاء بُشَيرٌ العدوي إلى ابن عباس رضي الله عنه فجعل يُحدِّثُ ويقول: قال رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ فجعل ابن عباس رضي الله عنه لا يأذن[٤] لحديثه ولا ينظر إليه، فقال: يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي؟ أُحدِّثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع فقال ابن عباس رضي الله عنه: إنا كنا مرةً إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول[٥]، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف[٦]، فهذا ابن عباس رضي الله عنه يرفض الإصغاء لحديثٍ لا سند له، حتى يعرف رجاله، ويعرف أيُقْبَلُ حديثهم أم لا؟

---

[١] أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه باب بيان أن الإسناد من الدين ١٥/١.

[٢] صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل ٥١٥/١ رقم: ٧٤٧.

[٣] المجروحين لابن حبان ٢٥/١.

[٤] أي لا يستمع ولا يُصغي ومنه سُمِّيت الأذن راجع: لسان العرب ١٠٥/١.

[٥] أصل الصعب والذلول في الإبل، فالصعب: العسر المرغوب عنه، والذلول: السهل الطيب المحبوب المرغوب فيه، فالمعنى: سلك الناس كل طريقٍ مما يُحمد ويذم، وتركوا المبالاة في القول والعمل راجع: النهاية في غريب الحديث ٢٨/٣.

[٦] أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها ١٣/١.

٤- قال سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه إِنَّ نَوْفًا الْبِكَالِيَّ[١] يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى عليه السلام لَيْسَ بِمُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ، فَقَالَ : كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ **(قَامَ مُوسَى النَّبِيُّ عليه السلام خَطِيبًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ...** الحديث[٢].

٥- عن ابن مُحيريز أن رجلاً من بني كنانة يُدعى المُخْدجي سمع رجلاً بالشام يُدْعَى أبا محمد[٣] يقول: إن الوتر واجب، قال المُخْدجي: فرُحتُ إلى عبادة بن الصامت رضي الله عنه فأخبرتُه، فقال

عبادة رضي الله عنه: كذب[٤] أبو محمد، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى العِبَادِ** ... الحديث[٥].

١- عن عَمْرَة بنت عبد الرحمن أنها أخبرت عائشة أن عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول: **(إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ)** فقالت عائشة يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ إنما مَرَّ رسول الله ﷺ على يهوديةٍ يُبْكَى عليها فقال ﷺ **(إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا، وَإِنَّهَا لَتُعذَّبُ فِي قَبْرِهَا)**[٦].

---

(١) نوف - بفتح النون وسكون الواو - ابن فضالة – بفتح الفاء والضاد المعجمتين - البكالي – بكسر الباء الموحدة وتخفيف الكاف ابن امرأة كعب، كان إماماً لأهل دمشق، كذَّب ابن عباس رضي الله عنه ما رواه عن أهل الكتاب مات بعد التسعين راجع: تهذيب التهذيب ٥٦٢/٨ رقم: ٧٤٩٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب العلم باب ما يُستحبُّ للعالم إذا سُئِل أيُّ النَّاس أعلم ؟ ٢٦٣/١ رقم: ١٢٢، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام ١٨٤٧/٤ رقم: ٢٣٨٠.

(٣) أبو محمد هو: مسعود بن أوس وقيل: ابن زيد أنصاريٌ له صحبة راجع: الإصابة ٣٠٣/٧ رقم: ١٠٥١٠.

(٤) قال ابن حجر: قال ابن حبان: وأهل الحجاز يُطْلِقُون كذب في موضع أخطأ قال: ويؤيِّد ذلك: إطلاق عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قوله كذب أبو محمد لمَّا أُخْبِر أنه يقول: الوتر واجب، فإن أبا محمد لم يقله روايةً، وإنما قاله اجتهاداً، والمجتهد لا يُقَال: إنه كذب، إنما يُقال إنه أخطأ هدي الساري صـ: ٤٤٨.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه بلفظه كتاب الصلاة باب فيمن لم يُوتر ٦٣/٢ رقم: ١٤٢٠، وأخرجه بنحوه: النسائي في سننه كتاب الصلاة باب المحافظة على الصلوات الخمس ٢٣٠/١، ومالك في الموطأ كتاب الصلاة باب الأمر بالوتر صـ: ١٢٠، وأحمد في مسنده ٣٩٢/١٦ رقم: ٢٢٥٩٢، والدارمي في سننه كتاب الصلاة باب في الوتر ٤٤٦/١ رقم: ١٥٧٧، وابن حبان في صحيحه الإحسان كتاب الصلاة باب فضل الصلوات الخمس ١١٥/٣ رقم: ١٧٢٨، وابن ماجه في سننه مختصراً كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها ٤٤٨/١ رقم: ١٤٠١، وصحَّحه الألباني انظر: صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٥/١ رقم: ١١٥٠، وقال ابن عبد البر: هذا حديثٌ صحيحٌ ثابت التمهيد لما في الموطأ من المعاني والمسانيد ١٥٦/١٠، قلت: الحديث إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب الجنائز باب الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه ٦٤٣/٢ رقم: ٩٣٢، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه بنحوه كتاب الجنائز باب قول النبي ﷺ: (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه) ١٨١/٣ رقم: ١٢٨٩، قال الإمام القرطبي: إنكار عائشة رضي الله عنها ذلك وحكمها على

٢- عن محمود بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه أنه حدَّث عن عِتبان بن مالك الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: كنتُ أُصلِّي لقومي بني سالم ... الحديث وفيه قول الرسول ﷺ **(فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَ الله، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ)** قال محمود رضي الله عنه: فحدَّثْتُها قوماً فيهم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ في غزوته التي تُوفِّي فيها، ويزيد بن معاوية عليهم بأرض الروم فأنكرها عليَّ أبو أيوب رضي الله عنه قال: والله ما أظنُّ رسول الله ﷺ قال ما قُلْتَ قط، فَكَبُر ذلك عليَّ، فجعلتُ لله عليَّ إن سلَّمني حتى أقفُلَ من غزوتي أن أسأل عنها عتبان ابن مالك رضي الله عنه إن وجدتُه حيّاً في مسجد قومه، فقفلتُ فأهللتُ بحجةٍ أو بعمرة، ثم سِرْتُ حتى قدمتُ المدينة، فأتيتُ بني سالم، فإذا عتبان رضي الله عنه شيخٌ أعمى يُصَلِّي لقومه، فلما سلَّم من الصلاة سلَّمتُ عليه وأخبرته من أنا، ثم سألتُه عن ذلك الحديث، فحدَّثنيه كما حدَّثنيه أوَّل مرة[١].

ففي هذا الحديث: حَلِفُ أبي أيوب رضي الله عنه ونفيه أن يكون رسول الله ﷺ قال هذا الحديث، وذلك على حسب ظنِّــه، ويُمكِن أن يتـذرَّع به مُتـذرِّعٌ في أن بعض الصحـابة رضوان الله عليهم قال على رسول الله ﷺ ما لم يقل، وقد بيَّن العلماء وشرَّاح الحديث وجه إنكار أبي أيوب رضي الله عنه على محمود ابن الربيع رضي الله عنه وذلك أنه رأى الحديث بحسب علمه مخالفاً لآياتٍ كثيرةٍ من القرآن مثل قوله تعالى: **(وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً)**[٢] وأحاديث شهيرة منها: حديث الشفاعة والذي فيه أن المؤمنين يخرجون من النار[٣]، ولم يدُر بخَلَده التوفيق بين النصوص، فظنَّ أن محمود بن الربيع رضي الله عنه أخطأ في نقله،

الراوي بالتخطئة، أو النسيان، أو على أنه سمع بعضاً ولم يسمع بعضاً بعيد؛ لأن الرواة لهذا المعنى من الصحابة كثيرون، وهم جازمون، فلا وجه للنفي مع إمكان حمله على محملٍ صحيح.

وقال جمهور المحدثين بصحة ما رواه عمـــــر وابنه رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ وأن كلام عائشة رضي الله عنها لا يقــدح فيــه، وقد جمع كثيــرٌ من أهــل العلــم بين حديثي عمـــــر وابنه عبد الله رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها بضروبٍ من أوجه الجمع راجع: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم لأحمد بن عمر القرطبي ٥٨١/٢، ٥٨٢، وفتح الباري ١٨٤/٣ وما بعدها، وتهذيب سنن أبي داود وشرحه لابن قيم الجوزيه ٢٩٣/٤ وما بعدها.

[١] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب التهجُّد باب صلاة النوافل جماعة ٧٢/٣ رقم: ١١٨٥، والحديث عند مسلم في صحيحه بدون القصة المذكورة كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ٤٥٥/١ رقم: ٣٣.

[٢] سورة مريم الآية رقم: ٧١.

[٣] أخرج البخاري في صحيحه من حديث أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أنه قَالَ: (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ) كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ٩١/١ رقم: ٢٢.

فنفى الحديث وأنكره بحسب ما غلب على ظنه، ومن السهل أن يُقَال لنفي هذا التعارض المُتَوَهَّم: أن التحريم محمولٌ على تحريم الخلود في النار جمعاً بين النصوص الصحيحة.

وعلى هذا: فإذا ورد على لسان أحد الصحابة نفي ما رواه نظيره، أو قوله في مثيله: كذب فلان، أو نحو هذا من العبارات، فالمراد به: أنه أخطأ أو نسي؛ لأن الكذب عند أهل السنة هو: الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه عمداً، أو نسياناً، أو خطأً، ولكن الإثم يختصُّ بالعامد فقط، وحاشا الصحابة الأبرار رضوان الله عليهم أن يتعمَّد أحدهم ذلك، رضي الله عنهم وأرضاهم[1].

من كل ما مضى يتَّضِحُ لنا أن الصحابة رضوان الله عليهم بلَغُوا الذروة في التثبُّت من الحديث، وأعملوا الرويَّة والأناة في تحمُّل الخبر وأدائه، ولم يحدِّثوا إلا عن ثقةٍ تامة بصحة ما يحدِّثون به، وقد حرصوا كل الحرص على المحافظة على الحديث، وما تركوا وسيلةً تُبَلِّغُهُم هذه الغاية إلا أخذوا بها، وتحرُّوا أقوم المناهج وأدقها في الذبِّ عن السنة ودفع كل دغلٍ عنها[2].

---

[1] انظر: فتح الباري ٣/٧٤، ولمحات من تاريخ السنة للشيخ عبد الفتاح أبو غدة صـ: ٧٢، ٧٣.

[2] الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين للدكتور أحمد محرم صـ: ٩٢.

الرابع عشر: نقد المرويات أو المتون

كان من حفظ الله عزَّ وجلَّ لسنة نبيه ﷺ أن مدَّ في أعمار أقطاب الصحابة رضوان الله عليهم كابن عباس وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وغيرهم رضوان الله عليهم ليكونوا مرجعاً يهتدي الناس بهديهم، فلما وقع الخطأ في الحديث والتساهل في الرواية والنقل عن النبي ﷺ لجأ التابعون إليهم ليعرضوا عليهم هذه الروايات، ويستفتونهم فيما يسمعون من أحاديث، فقام الصحابة رضوان الله عليهم بالنقد والتمحيص للمتون التي يرونها متعارضة مع الأصول الشرعية، والقواعد الثابتة، والقواطع المعلومة من دلائل الكتاب والسنة، أو العقل الذي يضبطه الشرع، لعلمهم أنه يستحيل أن يُعارض حديث رسول الله ﷺ القرآن الكريم، أو يعارض بعضه بعضاً لاتِّحاد المصدر.

وكان استعمالهم لهذه القواعد إنما يكون عند ارتيابهم في صحة الحديث، أو شكِّهم في سلامة مخرجه؛ لأن الأصل عندهم قبول الحديث، فإذا قامت أمارة، أو جاءت قرينة تدفع اليقين في صحة الحديث عارضوا هذا المتن بما عندهم من القواعد المعلومة.

فلم يكونوا يقبلون حديثاً يخالف كتاب الله عزَّ وجلَّ أو يناقض ما اشتهر من سنة رسول الله ﷺ أو يناقض معلوماً من الدين بالضرورة، فإذا وُجِد التعارض الحقيقي واستحال الجمع، كان ذلك راجعاً حتماً إلى أمرٍ خارجٍ عن النص، قد يكون خطأ الراوي، أو نسيانه، أو أنه روى بالمعنى فأخطأ، أو أن للحديث سبباً خاصاً غفل عنه الراوي، أو أن الراوي اقتصر على رواية جزءٍ من الحديث، وما اقتصر على روايته له تَعلُّقٌ بما تركه، أو نحو ذلك، فطلبوا البيِّنة ممن يُحَدِّث بما لا يعرفون، واحتكموا إلى صاحب الواقعة أو من يخصُّه الأمر، ورجعوا إليه ونزلوا على قوله، لأنه أعلم بالأمر من غيره، وراجع بعضهم بعضاً، واستثبتوا من صحة الأحاديث، فما اتفق على روايته الأكثر قدَّموه، وكانوا مُتَجَرِّدين لله رب العالمين، وللحق الذي أرادوا، فلم ينتصر أحدهم لنفسه، ولم يتعصَّب لما ثبت له قطعاً مخالفته للحق[1]، ولقد اتَّبع الصحابة رضوان الله عليهم قواعد علميَّة في قبول الأخبار، وإن كانوا لم ينصُّوا على كثيرٍ من تلك القواعد، وإنما استنبطها العلماء من منهجهم في قبول الأخبار، والمقاييس التي استخدموها في نقد متون السنة، والأمثلة الدالة على قيام الصحابة رضوان الله عليهم بهذا الأمر كثيرةٌ جداً من أشهرها:

---

[1] راجع كتاب: اهتمام المحدثين بالسنة للدكتور الخشوعي الخشوعي صـ: ٦٩.

١- عن ابن أبي مليكة قال: كتبتُ إلى ابن عباس رضي الله عنه أسأله أن يكتب لي كتاباً ويُخْفِي عني[١]، فقال: ولدٌ ناصحٌ، أنا أختار له الأمور اختياراً وأُخْفِي عنه، قال فدعا بقضاء عليٍّ رضي الله عنه فجعل يكتب منه أشياء، ويمُرُّ به الشيءُ فيقول: والله ما قضى بهذا عليٌّ رضي الله عنه إلا أن يكون ضلَّ[٢].

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل ناقشوا الروايات التي يرونها تُعارض نصاً عندهم، أو فهماً لديهم دون حياءٍ أو خجل:

٢- عن مجاهد قال: دخلتُ أنا وعروة بن الزبير المسجد، فإذا عبد الله بن عمر رضي الله عنه جالسٌ إلى حجرة عائشة رضي الله عنها... فقال له عروة: كم اعتمر رسول الله ﷺ؟ قال رضي الله عنه: أرْبَعاً، إحداهن في رجب، فكرهنا أنْ نَرُدَّ عليه، قال: وسمعنا استِنان عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين في الحُجْرَةِ فقال عروة: يا أماه يا أم المؤمنين ألا تسمعين مايقول أبو عبد الرحمن؟ قالت: ما يقول؟ قال يقول: إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عُمرات إحداهنَّ في رجب. قالت: يرحم الله أبا عبد الرحمن، ما اعتمر عمرة إلا وهو شاهده، وما اعتمر في رجبٍ قط[٣].

٣- روى ابن عباس عن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ **(إِنَّ المَيِّتَ يُعذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ)**، قال ابن عباس: فلمَّا مات عمر ذكرتُ ذلك لعائشة رضي الله عنها فقالت: رحم الله عمر والله ما حدَّث رسول الله ﷺ أن الله ليُعَذِّبُ المؤمن ببكاء أهله عليه، ولكنَّ رسول الله ﷺ قال: **(إِنَّ اللهَ لَيَزِيدُ الكَافِرَ عَذَاباً بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ)** وقالت: حسبُكُم القرآن **(وَلاَ تَزِرُوا وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)** [٤] [٥].

---

[١] يخفي بالخاء المعجمة أي: يكتم عني أشياء ولا يكتبها إذا كان عليه فيها مقال من الشيع المختلفة وأهل الفتن فإنه إذا كتبها ظهرت، وإذا ظهرت خولف فيها، وحصل فيها قال وقيل مع أنها ليست مما يلزم بيانها لابن أبي مليكة وإن لزم فهو ممكنٌ بالمشافهة دون المكاتبة، وقوله: ولدٌ ناصحٌ مِشْعِرٌ بذلك راجع: شرح النووي على صحيح مسلم ٨٢/١.

[٢] أخرجه مسلم في مقدمة صحيحه باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها ١٣/١.

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب الحج باب كم اعتمر النبي ﷺ؟ ٧٠١/٣ رقم: ١٧٥٥، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب الحج باب بيان عدد عُمَر النبي ﷺ وزمانهن ٩١٧/٢ رقم: ١٢٥٥.

[٤] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الجنائز باب قول النبي ﷺ: ويعذب الميّت ببعض بكاء أهله عليه ١٨٠/٣ رقم: ١٢٨٥، ١٢٨٦ والقول فيه ما سبق في حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

[٥] سورة فاطر جزء من الآية رقم: ١٨.

٤- عن عمرة بنت عبد الرحمن أنها أخبرت عائشة أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: **(إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَـذَّبُ بِبُكَـاءِ الْحَيِّ)** فقالت عائشة يغفر الله لأبي عبد الرحمن أما إنه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ إنما مَرَّ رسول الله ﷺ على يهوديةٍ يُبْكَى عليها فقال ﷺ **(إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا، وَإِنَّهَا لَتُعذَّبُ فِي قَبْرِهَا)**[١].

فالسيدة عائشة رضي الله عنها ظنَّت وقوع عمر بن الخطاب وابنه رضي الله عنهما في الخطأ، الذي ليسا معصُومَيْن منه.

ففي رواية عند مسلم عن القاسم بن محمد قال: لمَّا بلغ عائشة رضي الله عنها قول عمر وابنه رضي الله عنهما قالت: إنَّكم لَتُحَدِّثُوني عن غير كاذِبَيْن ولا مُكَذَّبَيْنِ، ولكن السمع يُخطئ[٢].

وقد راجع الصحابة رضوان الله عليهم بعضهم بعضاً فيما أُشْكِل عليهم فهمه، ونزلوا على الصواب بعد المدارسة والتمحيص، فكان هدفهم الوصول إلى الصواب دون تعصُّب.

٧- عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال: سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقُصُّ يقول في قصصه: من أدركه الفجر جُنُباً فلا يصم، فذكرتُ ذلك لعبد الرحمن بن الحارث (لأبيه) فأنكر ذلك، فانطلق عبد الرحمن وانطلقتُ معه، حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فسألهما عبد الرحمن عن ذلك قال فكلتاهما قال: كان النبي ﷺ يُصبح جُنُباً من غير حُلُم ثم يصوم، قال: فانطلقنا حتى دخلنا على مروان فذكر ذلك له عبد الرحمن فقال مروان: عزمتُ عليك إلا ما ذهبتَ إلى أبي هريرة رضي الله عنه فرددتَ عليه ما يقول قال: فجئنا أبا هريرة رضي الله عنه وأبو بكرٍ حاضر ذلك كله، قال: فذكر له عبد الرحمن، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم، قال: هما أعلم. ثم ردَّ ابو هريرة رضي الله عنه ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس رضي الله عنه فقال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعتُ ذلك من الفضل رضي

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب الجنائز باب الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه ٦٤٣/٢ رقم: ٩٣٢، وأخرجه البخاري في صحيحه بنحوه كتاب الجنائز باب قول النبي ﷺ: (يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه) ١٨١/٣ رقم: ١٢٨٩.

[٢] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه ٦٤١/٢ رقم: ٩٢٩.

الله عنه ولم أسمعه من النبي ﷺ قال: فرجع أبو هريرة رضي الله عنه عمَّا كان يقول في ذلك[1].

في هذا الحديث إشارةٌ بيِّنة إلى منهج نقد الأحاديث عند الصحابة رضوان الله عليهم، فعبد الرحمن لمَّا أنكر ما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه ولم يكن لديه ما يعارضه به، بادر إلى الاستثبات، فاستوثق من أمهات المؤمنين؛ لأنهن أعلم الصحابة بحياة رسول الله ﷺ وسيرته الخاصة، وإنما رجع أبو هريرة رضي الله عنه إلى حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وبادر بالتصديق ورجع عن قوله لأنهما أعلم بذلك كما يقول، وهذا يدُلُّ على إنصاف أبي هريرة رضي الله عنه.

٨- عن نافع قال: قيل لابن عمر رضي الله عنه: إن أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **(مَنْ تَبِعَ جِنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ مِنَ الأَجْرِ)** فقال ابن عمر رضي الله عنه: أَكْثَرَ علينا أبو هريرة رضي الله عنه فبعث إلى عائشة رضي الله عنا فسألها، فصدَّقت أبا هريرة رضي الله عنه فقال ابن عمر رضي الله عنه: لقد فرَّطنا في قراريط كثيرة[2].

قال الإمام النووي: معناه أنه خاف لكثرة روايته أنه اشتبه عليه الأمر في ذلك، واختلط عليه حديثٌ بحديثٍ، لا أنه نسَبَه إلى رواية ما لم يسمع؛ لأن مرتبة ابن عمر رضي الله عنه وأبي هريرة رضي الله عنه أجلُّ من هذا[3].

٩- عن طاوس قال: كنتُ مع ابن عباس رضي الله عنه إذ قال زيد بن ثابت رضي الله عنه: تفتي أن تَصْدُرَ الحائض قبل أن يكون آخر عهدها بالبيت؟ فقال له ابن عباس رضي الله عنه: إمَّا لا، فسل فلانة الأنصارية هل أمَرَها بذلك رسول الله ﷺ قال: فرجع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيام باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٢/٧٧٩ رقم: ١١٠٩.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنائز باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ٢/٦٥٣ رقم: ٩٤٥.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٧/١٥، ١٦.

زيد بن ثابت رضي الله عنه إلى ابن عباس رضي الله عنه يضحك وهو يقول: ما أراكَ إلا قد صدقتَ[1].

وبهذه الأمثلة وغيرها كثير يتَّضِحُ لنا: أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هم أول من وضع أصول قواعد علم الجرح والتعديل خاصة، وعلم مصطلح الحديث عامة، ثم جاء من بعدهم فسار على خطاهم، واقتفى أثرهم، حتى استقرت قواعد هذا العلم.

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الحج باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض ٩٦٣/٢ رقم: ١٣٢٨.

الخامس عشر: كتابة الحديث في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته

القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع، ولقد تنافس الصحابة رضوان الله عليهم في حفظه في الصدور، وكتابته على الرقاع والحجارة والجلد وغير ذلك، حتى جُمِع في مُصْحفٍ واحد بعد ذلك.

ورغم أهمية السنة، وحرص الصحابة رضوان الله عليهم على حفظها وصيانتها، إلا أنها لم تُدوَّن في عهد النبي ﷺ تدويناً رسمياً كما دُوِّن القرآن، بل صحَّ في الحديث: أن النبي ﷺ نهاهم عن كتابتها، فعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(لاَ تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ القُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ، وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النَّارِ)**[1].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه: **(أَنَّهُمْ اسْتَأْذَنُوا النَّبِيَّ ﷺ فِي أَنْ يَكْتُبُوا عَنْهُ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ)**[2].

وقد نهى النبي ﷺ أصحابه عن كتابة الحديث في هذا الوقت لعدة أسباب من أهمِّها:

١- الخوف من اختلاط القرآن بالسنة، فمن الممكن أن تختلط بعض أقوال النبي ﷺ الموجزة الحكيمة بالقرآن سهواً من غير عمد، وذلك خطرٌ على القرآن، ويفتح باب الشكِّ فيه، خاصةً أنهما من الممكن أن يُكتبا في صحيفةٍ واحدة.

٢- خشية انشغالهم بالسنن عن القرآن، ولم يحفظوه بعد.

٣- قلة عدد الكُتَّاب، والاحتياج إليهم لكتابة القرآن.

وقد جاءت أحاديث كثيرة تُثبت جواز الكتابة، بل ووقوعها في عهد النبي ﷺ وقيام بعض الصحابة رضوان الله عليهم بذلك من أشهر هذه الأحاديث:

١- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: كنتُ أكتبُ كل شيءٍ أسمعه من رسول الله ﷺ أُرِيدُ حفظه، فنهتني قريشٌ وقالوا: أتكتبُ كلَّ شيءٍ تسمعه، ورسول الله ﷺ بشرٌ يتكلم

---

[1] أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الزهد والرقائق باب التثبُّت في الحديث وحكم كتابة العلم ٢٢٩٨/٤ رقم: ٣٠٠٤.

[2] أخرجه الدارمي بلفظه في مقدمة سننه باب من لم ير كتابة الحديث ١٣١/١ رقم: ٤٥١، وأخرجه بنحوه: الترمذي في سننه كتاب العلم باب ما جاء في كراهية كتابة العلم ٣٠٣/٤ رقم: ٢٦٧٤، وأورده الألباني في صحيح الترمذي ٣٣٩/٢ رقم: ٢١٤٧، قلت: إسناد الدارمي صحيح ورجاله ثقات، وإسناد الترمذي صحيح لغيره فيه سفيان بن وكيع صدوق تقريب التهذيب ٢١٧/١ رقم: ٢٥٣٠ وقد تابعه في الرواية عن ابن عيينه أبو معمر إسماعيل بن إبراهيم الهلالي وهو ثقة مأمون تقريب التهذيب ٤٨/١ رقم: ٤٤٨.

في الغضب والرضا؟ فأمسكتُ عن الكتاب، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فأومأ بأصبعه إلى فيه، فقال ﷺ **(اكتُبْ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ)**[١].

٢- عن أبي جُحَيْفَة قال: قلتُ لعليٍّ رضي الله عنه: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتابُ الله، أو فهمٌ أُعْطِيَهُ رجلٌ مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلتُ: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقلُ، وفَكاك الأسير، ولا يُقتل مسلمٌ بكافر[٢].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ما من أصحاب النبي ﷺ أحدٌ أكثر حديثاً عنه مني، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو رضي الله عنه فإنه كان يكتب ولا أكتب[٣].

٤- وعن أبي قَبِيلٍ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العاص، وَسُئِلَ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ اللَّهِ بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ، قَالَ : فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ :بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَكْتُبُ، إِذْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلًا قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **(مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا)** "يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ" [٤].

٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتح الله على رسوله ﷺ مكة قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: **(إن الله حبس عن مكة الفيل وسلَّط عليها رسوله والمؤمنين ..** الحديث فقام أبو شاه – رجلٌ من أهل اليمن – فقال اكتبوا لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ **(اكتبوا لأبي شاه)** قلت للأوزاعي: ما قوله اكتبوا لي يا رسول الله؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ [٥].

---

[١] أخرجه أبو داود في سننه بلفظه كتاب العلم باب في كتاب العلم ٣١٧/٣ رقم: ٣٦٤٦، وأخرجه بنحوه: الدارمي في مقدمة سننه باب من رخَّص في كتابة العلم ١٣٦/١ رقم: ٤٨٤، وأحمد في مسنده ٦٨/٦ رقم: ٦٥١٠، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح، والحاكم في المستدرك كتاب العلم ١٠٥/١ وقال الحاكم: هذا حديثٌ صحيح الإسناد أصلٌ في نسخ الحديث عن رسول الله ﷺ ولم يُخرجاه ووافقه الذهبي، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله صـ: ٩٩/١ رقم: ٣٠٣، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

[٢] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب كتابة العلم ٢٤٦/١ رقم: ١١١،

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب كتابة العلم ٢٤٩/١ رقم: ١١٣،

[٤] أخرجه أحمد في مسنده بلفظه ٢٠٢/٦ رقم: ٦٦٤٥ وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة مجمع الزوائد ٢١٩/٦، ورواه بنحوه: الدارمي في مقدمة سننه باب من رخص في كتابة العلم ١٣٧/١ رقم: ٤٨٦، وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الجهاد باب فضل الجهاد ٢٢٥/٤ رقم: ١٩٥٤٦، وصححه الألباني السلسلة الصحيحة ٨/١.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه كتاب اللقطة باب كيف تُعْرَف لقطة أهل مكة؟ ١٠٤/٥ رقم: ٢٤٣٤.

٦- عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لمَّا اشتدَّ بالنبي ﷺ وجعه قال: **(ائتُونِي بِكِتَابٍ أَكْتُبُ لَكُمْ كِتَابَاً لاَ تَضِلُّوا بَعْدَهُ)** قال عمر رضي الله عنه: إن النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله حسبُنا، فاختلفوا، وكثُر اللَّغط، قال ﷺ **(قُومُوا عَنِّي، وَلاَ يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعَ)**، فخرج ابن عباسٍ رضي الله عنه يقول: إن الرَّزيَّة كلَّ الرَّزيَّة ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه[١].

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد جاء عن الصحابة ما يفيد كتابتهم للحديث أو سماحهم لمن يكتب عنهم بل وأمرهم بالكتابة أحياناً ومن ذلك:

١- **قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:** قيِّدوا العلم بالكتاب[٢].

ولا يُعَارِض هذا ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه إن صحَّ أنه أراد أن يكتب السنن، فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله ﷺ فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفِقَ عمر رضي الله عنه يستخير الله عزَّ وجلَّ فيها شهراً، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله عزَّ وجلَّ له، فقال: إني كنتُ أريدُ أن أكتب السنن، وإني ذكرتُ قوماً كانوا قبلكم، كتبوا كتباً فأكبُّوا عليها، وتركوا كتاب الله تعالى، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيءٍ أبدا[٣].

لأن الذي نُقِل عن عمر رضي الله عنه محمول على:

أولاً: خوفه أن يُتَّخَذَ مع القرآن كتابٌ يُضاهَى به.

ثانياً: خوفه أن يتَّكِل الكاتب على ما كتب، فلا يحفظ[٤]، فتضعُفُ ملكة الحفظ التي تميَّز بها العرب.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب العلم باب كتابة العلم ٢٥١/١ رقم: ١١٤، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيءٌ يوصِي فيه ١٢٥٦/٣ رقم: ١٦٣٧.

(٢) أخرجه الدارمي في مقدمة سننه باب من رخَّص في كتابة العلم ١/ ١٣٨ رقم: ٤٩٧، والخطيب في تقييد العلم صـ: ٨٧، ٨٨، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله صـ: ١٠٢ رقم: ٣٠٨، والحاكم في المستدرك كتاب العلم ١٠٦/١ وصحَّحه ووافقه الذهبي، وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الأدب باب من رخَّص في كتاب العلم ٣١٤/٥ رقم: ٢٦٤١٨، قلت: إسناده ضعيف فيه عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان ذكره ابن حبان في الثقات ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا، وفيه ابن جريج وهو مدلس وقد صرح بالسماع عند الرامهرمزي المحدث الفاصل صـ: ٣٥٨.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه كتاب الجامع باب كتاب العلم ٢٥٧/١١ رقم: ٢٠٤٨٤، والخطيب البغدادي في تقييد العلم صـ: ٤٩، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله صـ: ٩٠ رقم: ٢٧٢ وهو ضعيف لأن عروة لم يصح له سماع من عمر رضي الله عنه تهذيب التهذيب ٥٤٨/٥، وقد أخرجه الخطيب في تقييد العلم صـ: ٤٩ عن معمر عن الزهري عن عروة عن ابن عمر رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه فاتصل وصحَّ سنده والله أعلم.

(٤) راجع: جامع بيان العلم وفضله صـ: ٩٦.

ثالثاً: خوفه أن تقع هذه الكتب في أيدي من لا يفهمها، أو يضعها في غير موضعها، ويؤكِّد هذا ما جاء عن أبي نضرة قال: قلنا لأبي سعيد **رضي الله عنه:** لو كتبتم لنا، فإنا لا نحفظ؟ قال: لا نكتبكم، ولا نجعلها مصاحف، كان رسول الله ﷺ يُحدِّثنا فنحفظ، فاحفظوا عنا كما كنا نحفظ عن نبيِّكم[١].

٢- وعن مَعْنٍ قال: أخرج إليَّ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتاباً وحلف لي أنه خط أبيه رضي الله عنه بيده[٢].

٣- **وعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال:** قيّدوا العلم بالكتاب[٣].

٤- وعن سعيد بن جبير قال: كنتُ أكتب عند ابن عباس رضي الله عنه في صحيفة، وأكتب في نعلي[٤].

وقال أيضاً: كنتُ أجلس إلى ابن عباس رضي الله عنه فأكتبُ في الصحيفة حتى تمتلئ، ثم أقلب نعليَّ، فأكتُبُ في ظهورهما[٥].

فالنهي عن الكتابة كان لأسبابٍ خاصة، ولظروفٍ وملابساتٍ خاصة، فلما زالت أسباب النهي انعقد الإجماع على جواز كتابة العلم، بل على استحبابه، بل لا يبعد وجوبه على من خُشِي عليه النسيان ممن يتعيَّن عليه تبليغ العلم[٦].

---

(١) أخرجه الدارمي في مقدمة سننه باب من لم ير كتابة الحديث ١٣٣/١ رقم: ٤٧١، والخطيب في تقييد العلم صـ: ٣٦، ٣٧، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله صـ: ٨٩ رقم: ٢٦٩، وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الأدب باب من كان يكره كتاب العلم ٣١٥/٥ رقم: ٢٦٤٣١، وإسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله صـ: ١٠٢ رقم: ٣١٠، وابن أبي شيبة في مصنفه كتاب الأدب باب من رخص في كتاب العلم ٣١٤/٥ رقم: ٢٦٤٢٠، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب العلم ١٠٦/١ وصحَّحه ووافقه الذهبي، وتقييد العلم للخطيب البغدادي صـ: ٢٦، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله صـ: ١٠٣ رقم: ٦٢٠، قلت: إسناده ضعيف مداره على عبد الله بن المثنى الأنصاري وهو صدوق كثير الغلط تقريب التهذيب ٣١٠/١ رقم: ٣٦٦٤.

(٤) أخرجه الدارمي في مقدمة سننه بلفظه باب من رخص في كتابة العلم ١٣٨/١ رقم: ٥٠٠، والخطيب في تقييد العلم بنحوه صـ: ١٠٢، قلت: إسناده حسن فيه جعفر بن أبي المغيرة صدوق يهم ومدار الحديث عليه تقريب التهذيب ٩١/١ رقم: ١٠٠٣.

(٥) أخرجه الدارمي في مقدمة سننه باب من رخص في كتابة العلم ١٣٩/١ رقم: ٥٠١، والخطيب في تقييد العلم صـ: ١٠٢، قلت: إسناده كسابقه.

(٦) راجع: فتح الباري ٢٤٦/١، علوم الحديث لابن الصلاح صـ: ١٨١، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير صـ: ١٧٦.

وهناك تعارضٌ واضحٌ بين الأحاديث الناهية عن كتابة الحديث، والأحاديث التي تُبيحها، وقد حاول العلماء الترجيح أوالتأليف والتوفيق بينها بِعِدَّة أوجه:

١- قال بعض العلماء: النهي مُتَقَدِّمٌ والإذن متأخِّر، فالأول منسوخ والثاني ناسخ، واستدلُّوا على ذلك بأن حديث أمر النبي ﷺ أن يكتبوا لأبي شاه: متأخِّر؛ لأنه كان عام الفتح سنة ثمانٍ من الهجرة، وكذلك إخبار أبي هريرة رضي الله عنه أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه كان يكتب: متأخِّر؛ لأن أبا هريرة رضي الله عنه قَدِم المدينة سنة سبعٍ من الهجرة، ونقل ذلك بعد إسلامه.

٢- وقيل: النهي خاصٌ بمن خُشِي منه الاتِّكال على الكتابة دون الحفظ، والإذن لمن أمن منه ذلك.

٣- وقيل: النهي خاصٌّ بوقت نزول القرآن خشية اختلاطه بالسنة، والإذن في غير ذلك.

٤- وقيل: النهي خاصٌّ بكتابة القرآن والسنة في صحيفةٍ واحدة، وجائزٌ فيما دون ذلك.

٥- النهي خاصٌّ بمن لا يؤمَن عليه الغلط والخلط بين القرآن والسنة، أما الإذن فهو خاصٌ بمن أُمِن عليه ذلك[١].

٥- ومن الأقوال الوجيهة والجديرة بالاحترام في هذا الموضوع ما قاله الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله قال:

وأعتقد أنه ليس هناك تعارض حقيقي بين أحاديث النهي وأحاديث الإذن، إذا فهمنا النهي على أنه نهيٌ عن التدوين الرسمي كما كان يُدوَّن القرآن، وأما الإذن فهو سماحٌ بتدوين نصوصٍ من السنة لظروفٍ وملابساتٍ خاصة، أو سماحٌ لبعض الصحابة الذين كانوا يكتبون السنة لأنفسهم، والتأمُّل في نصِّ حديث النهي قد يُؤَيِّد هذا الفهم، إذ جاء عاماً مُخَاطباً فيه الصحابة رضوان الله عليهم جميعا[٢].

قال ابن الصلاح: اختلف الصدر الأول **رضوان الله عليهم في كتابة الحديث، فمنهم من كره كتابة الحديث والعلم وأمروا بحفظه،** ومنهم من أجاز ذلك، ثم ذكر بعض من رُوي عنه كراهة الكتابة، ومن رُوي عنه إباحة الكتابة، ثم قال: ولعلَّه ﷺ أَذِن في الكتابة عنه لمن خشي عليه النسيان، ونهى عن الكتابة عنه

---

[١] راجع: فتح الباري ٢٥١/١، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي صـ: ٦١.

[٢] السنة ومكانتها في التشريع صـ: ٦١.

مَنْ وَثِق بحفظه مخافة الاتكال على الكتاب، أو نهى عن كتابة ذلك حين خاف عليهم اختلاط ذلك بصحف القرآن العظيم، وأذِن في كتابته حين أمن من ذلك.

ثم قال: ثم إنه زال ذلك الخلاف وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته، ولولا تدوينه في الكتب لدرس في الأعصُر الآخرة[١].

وقال الذهبي: انعقد الإجماع بعد اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم على الجواز والاستحباب لتقييد العلم بالكتابة، والظاهر أن النهي كان أوَّلاً: لتتوفَّر هممهم على القرآن الكريم وحده، وليمتاز القرآن الكريم بالكتابة عمَّا سواه من السنن النبوية، فيؤمَن اللبس، فلما زال المحذور واللبس، ووضح أن القرآن لا يشتبه بكلام الناس، أذن في كتابة العلم[٢].

قال ابن القيم: قد صحَّ عن النبي ﷺ النهي عن الكتابة والإذن فيها، والإذن متأخِّر، فيكون ناسخاً لحديث النهي، فإن النبي ﷺ قال في غزوة الفتح: **(اكتُبُوا لأَبِي شَاه)** يعني: خطبته التي سأل أبو شاه كتابتها، وأذن لعبد الله بن عمرو رضي الله عنه في الكتابة، وحديثه متأخِّرٌ عن النهي؛ لأنه لم يزل يكتب، ومات وعنده كتابته، وهي الصحيفة التي كان يُسمِّيها الصادقة، ولو كان النهي عن الكتابة متأخِّراً لمحاها عبد الله رضي الله عنه لأمر النبي ﷺ بمحو ما كتب عنه غير القرآن ، فلما لم يمحها وأثبتها دلَّ على أن الإذن في الكتابة متأخِّر عن النهي عنها، وهذا واضح.

ثم قال: وإنما نهى النبي ﷺ عن كتابة غير القرآن في أول الإسلام لئلا يختلط القرآن بغيره، فلما عُلِم القرآن وتميَّز، وأُفْرِد بالضبط والحفظ، وأُمِنت عليه مفسدة الاختلاط: أذن في الكتابة، وقد قال بعضهم: إنما كان النهي عن كتابةٍ مخصوصة، وهي: أن يجمع بين كتابة الحديث والقرآن في صحيفةٍ واحدة، خشية الالتباس، وكان بعض السلف يكره الكتابة مطلقاً، وكان بعضهم يُرخِّص فيها، حتى يحفظ، فإذا حفظ محاها، وقد وقع الاتفاق على جواز الكتابة وإبقائها، ولولا الكتابة ما كان بأيدينا اليوم من السنة إلا أقل القليل[٣].

---

(١) علوم الحديث لابن الصلاح صـ: ١٨١ – ١٨٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨٠/٣.

(٣) مختصر سنن أبي داود للمنذري ومعه معالم السنن للخطابي ومعه تهذيب الإمام ابن قيم الجوزيه ٢٤٥/٥.

وهكذا اتَّضح لنا من خلال العرض السابق ما بذله الصحابة رضوان الله عليهم من جهودٍ ضخمة، بُغية الحفاظ على السنة النبوية المطهَّرة، وحفظاً لها من الضياع، رضي الله عنهم وأرضاهم، وألحقنا بهم في الفردوس الأعلى بمنِّه وكرمه آمين.

المبحث الثالث: المكثرون من الرواية من الصحابة

كان الصحابة رضوان الله عليهم معنيِّين بحفظ الحديث، وكانوا يختلفون في ذلك قلة وكثرة.

قال أحمد بن حنبل: ستةٌ من أصحاب النبي ﷺ أكثروا الرواية عنه ﷺ وعُمِّروا: أبو هريرة، وابن عمر، وعائشة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأنس، وأبو هريرة رضوان الله عليهم أكثرهم حديثا، وحمل عنه الثقات[١].

وقد اصطلح العلماء على وصف من روى أكثر من ألف حديثٍ من الصحابة بأنه: من المكثرين، وعدد هؤلاء سبعة[٢].

قال الشيخ أحمد شاكر: وقد اعتمد العلماء في عدِّ أحاديث كل صحابي على ما وقع لكل صحابي في مسند بقي بن مخلد[٣]؛ لأنه أجمع الكتب[٤].

١- فأكثر الصحابة روايةً للحديث[٥]: أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه (ت٥٩هـ) وتبلغ جملة مروياته (٥٣٧٤) خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً حسب ما جاء في مسند بقي بن مخلد.

٢- عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت ٧٣هـ) وتبلغ جملة مروياته (٢٦٣٠) ألفا حديث وستمائة وثلاثون حديثاً.

٣- أنس بن مالك رضي الله عنه (ت ٩٣هـ) وتبلغ جملة مروياته (٢٢٨٦) ألفان ومائتان وست وثمانون حديثاً.

٤- أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها (ت ٥٨هـ) وعدد أحاديثها (٢٢١٠) ألفان ومائتان وعشرة أحاديث.

٥- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه (ت ٦٨هـ) وعدد أحاديثه (١٦٦٠) ألف وستمائة وستون حديثاً.

---

[١] مقدمة ابن الصلاح صـ ٢٩٦.

[٢] فتح المغيث للسخاوي ٣/٩٨،٩٧، وراجع: الضوء اللامع المبين عن مناهج المحدثين للدكتور أحمد محرم صـ: ١١٩ وقد ترجم لهم ترجمة وافية.

[٣] جمع بقي بن مخلد في مسنده مرويات الصحابة وذكر عدد مسانيدهم إلا أنه لم يصلنا هذا المسند بل وصلتنا أخباره وبعض ما فيه، قال الشيخ أحمد شاكر: هذا الكتاب الجليل لم نسمع بوجوده في مكتبة من مكاتب الإسلام، وما ندري: أفُقِد كله؟ ولعله يوجد في بعض البقايا التي نجت من التدمير في الأندلس. الباعث الحثيث صـ: ٢٣٨.

[٤] الباعث الحثيث صـ: ٢٣٧.

[٥] مقدمة ابن الصلاح صـ: ٢٩٥، وقال ابن الصلاح: وذلك من الظاهر الذي لا يخفى على حديثي.

٦- جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه (ت ٧٨هـ) وعدد أحاديثه (١٥٤٠) ألف وخمسمائة وأربعون حديثاً.

٧- سعد بن مالك بن سنان أبو سعيد الخدري الأنصاري رضي الله عنه (ت ٧٤هـ) وعدد أحاديثه (١١٧٠) ألف ومائة وسبعون حديثاً [١].

وليس في الصحابة من يزيد حديثه على ألف حديثٍ سوى هؤلاء، وهذا العدد يشمل الأحاديث المكررة، فإن العلماء كانوا يعدُّون كل طريقٍ حديثا[٢].

والسبب في قلة مرويات كبار الصحابة كأبي بكر رضي الله عنه مع تقدُّم إسلامه وشدة ملازمته للنبي ﷺ هو: تقدُّم وفاته قبل انتشار الحديث واعتناء الناس بسماعه وتحصيله وحفظه مع اشتغاله برسول الله ﷺ والخلافة من بعده، فجملة ما رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه هو (١٤٢) مائة واثنان وأربعون حديثاً[٣] وهو عددٌ لا يناسب مقامه إلا باعتبار ما ذكرناه.

قال الإمام أحمد بن عمر القرطبي عن أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه: ومن المعلوم القطعي، واليقين الضروري أنه حَفِظ من حديث رسول الله ﷺ ما لم يحفظ أحدٌ من الصحابة، وحصل له من العلم ما لم يحصل لأحدٍ منهم؛ لأنه كان الخليل المباطن، والصَّفِيُّ الملازم، لم يُفارقه سفراً ولا حضراً، ولا ليلاً ولا نهاراً، ولا شِدَّةً ولا رخاءً، وإنما لم يتفرَّغ للحديث، ولا للرواية؛ لأنه اشتغل بالأهمِّ فالمهم؛ ولأن غيره قد قام عنه من الرواية بالمهم[٤].

ولعلَّ التفاوت الواقع في روايات الصحابة ما بين مقلٍّ أو مكثر له أسبابٌ أخرى غير ما ذكرتُ من أهمِّها:

١- التفاوت الطبيعي بين الصحابة في الحفظ والنسيان، فليست ذاكرة الصحابة رضوان الله عليهم متساوية، فمنهم من يسمع الحديث الكثير فلا ينساه، ومنهم من يسمع فينسى بعضه:

---

[١] راجع: تلقيح فهوم أهل الأثر صـ ٣٦٣، تدريب الراوي ٢/٢٢٠،٢١٩، فتح المغيث للسخاوي ٣/٩٧.

[٢] للشيخ أحمد شاكر كلام جيّدٌ في هذا الموضوع انظر: الباعث الحثيث صـ: ٢٣٧ - ٢٤٠.

[٣] تدريب الراوي ٢/٢١٨.

[٤] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٦/٢٣٧.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قام فينا النبي ﷺ مقاماً، فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حَفِظ ذلك من حَفِظه، ونسيه من نسيه(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً، ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلَّا حدَّث به، حَفِظه من حَفِظه، ونسيَهُ من نسيَهُ، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيتُه فأُراه فأذْكُرُه كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه(٢).

فهذه الأحاديث وغيرها تدُلُّ على أن النبي ﷺ علَّمهم أشياء كثيرة، وأخبرهم بكل ما يحتاجون إليه، فتفاوتوا في الحفظ، ولا شكَّ أن المكثرين كانوا من أحفظ الصحابة.

أضف إلى هذا: الاستعداد النفسي والحرص على التلقِّي، وإنك لتلمس ذلك واضحاً في قول النبي ﷺ لأبي هريرة رضي الله عنه عندما سأله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال له رسول الله ﷺ **(لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَن لاَّ يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلَ مِنْكَ، لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَه إِلَّا الله خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ)**(٣).

مع قول أبي هريرة رضي الله عنه: صحبتُ رسول الله ﷺ ثلاث سنين، ما كنتُ سنواتٍ قط أعقل مني فيهن ولا أحبَّ إليَّ أن أعي ما يقول رسول الله ﷺ منهن(٤).

٢- تفرُّغ الصحابي أو عدم تفرُّغه لسماع الحديث وحفظه وروايته، فلا شكَّ أن الصحابة كانت لهم مشاغلهم الدنيوية من حِرْفةٍ وزوجةٍ وأولاد، ولا شكَّ أن المتفرِّغ للسماع أوفر حظاً من الرواية ممن شُغِل بغيرها، وقد أدرك الصحابة هذا الأمر، وأدركوا أنه سببٌ مباشرٌ لكثرة الحديث أو قلته:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قوله تعالى: (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) ٣٣١/٦ رقم: ٣١٩٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه كتاب الفتن باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ٢٢١٦/٤ رقم: ٢٨٩١ ، وأخرجه بنحوه البخاري في صحيحه كتاب القدر باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً ٥٠٣/١١ رقم: ٦٦٠٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب الحرص على الحديث ٢٣٣/١ رقم: ٩٩.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٤٠٤/٩ رقم: ١٠١٠٦، وابن سعد في الطبقات الكبرى ٣٩٢/٤، قلت: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

قال أبو هريرة رضي الله عنه أكثر الصحابة روايةً للحديث: إنكم تقولون إن أبا هريرة يُكْثِر الحديث عن رسول الله ﷺ وتقولون: ما بال المهاجرين والأنصار لا يُحَدِّثون عن رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي هريرة؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصَّفق بالأسواق، وكنت ألزم رسول الله ﷺ على مَلْء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا، وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم، وكنتُ امرءاً مسكيناً من مساكين الصُّفَّة أعي حين ينسون وقد قال رسول الله ﷺ في حديثٍ يُحدِّثه: إنه لن يبسط أحدٌ ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول فبسطتُ نَمِرَةً عليَّ حتى إذا قضى رسول الله ﷺ مقالته جمعتُها إلى صدري فما نسيتُ من مقالة رسول الله ﷺ تلك من شيء(١).

وحينما جاء رجلٌ إلى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أحد السابقين إلى الإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وقال له: يا أبا محمد: والله ما ندري هذا اليماني أعلم برسول الله ﷺ أم أنتم تقولون على رسول الله ﷺ ما لم يقل؟ – يعني أبا هريرة – فقال طلحة: والله ما نشك أنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع وعلم ما لم نعلم، إنا كنا قوماً أغنياء، لنا بيوتٌ وأهلون، كنا نأتي نبي الله ﷺ طرفي النهار ثم نرجع، وكان أبو هريرة مسكيناً لا مال له ولا أهل ولا ولد، إنما كانت يده مع يد النبي ﷺ وكان يدور معه حيثما دار، ولا نشك أنه قد علم ما لم نعلم، وسمع ما لم نسمع، ولم يتهمه أحدٌ منا أنه تقوَّل على رسول الله ﷺ ما لم يقل(٢).

ولذلك حينما دعته عائشة رضي الله عنها وقالت له: يا أبا هريرة ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحدِّث بها عن النبي ﷺ هل سمعتَ إلا ما سمعنا وهل رأيتَ إلا ما رأينا؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: يا أُمّاه إنه كان يشغلك عن رسول الله ﷺ المرآة، والمكحلة، والتصنُّع لرسول الله ﷺ وإني والله ما كان يشغلني عنه شيء(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه بلفظه كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله تعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض) ٣٣٦/٤ رقم: ٢٠٤٧ ، ومسلم في صحيحه بنحوه كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه ١٩٣٩/٤ رقم: ٢٤٩٢.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك بلفظه كتاب معرفة الصحابة ٥١١/٣ وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين وقال الذهبي على شرط مسلم، وأخرجه الترمذي في سننه بنحوه كتاب المناقب باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه ٤٥٣/٥ رقم: ٣٨٦٣ وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق، وذكره الألباني في ضعيف سنن الترمذي وقال: ضعيف الإسناد صـ ٥١٥ رقم: ٤١٠٨ قلت: إسناده ضعيف فيه محمد بن إسحاق صدوق يدلس وقد روى بالعنعنة ولا يُعرف الحديث إلا من طريقه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة ٥٠٩/٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده جيد الإصابة ٣٥٨/٧، قلت: إسناده حسن فيه خالد بن سعيد بن عمرو صدوق راجع تقريب التهذيب ١٤٩/١ رقم: ١٩٩٨.

٣- تقدُّم وفاة الصحابي قبل انتشار الحديث واعتناء الناس بسماعه وتحصيله وحفظه، فأغلب الذين تقدَّمت وفاتهم أقل روايةً ممن تأخَّرت وفاتهم، واحتاج الناس إلى ماعندهم من العلم، خاصةً إذا تصدَّروا للتحديث والإفتاء.

٤- اشتغال عددٍ كبيرٍ من الصحابة بالعبادة، والجهاد في سبيل الله، وفتح البلاد والأمصار، وعدم تصدُّرهم للتحديث والفتوى مما جعل الرواية عنهم قليلة قياساً بنظرائهم من الصحابة.

٥- خوف عددٍ كبيرٍ من الصحابة من التحديث خشيةً من وقوع الزيادة أو النقصان في حديثهم مما قد يُدْخِلُهُم تحت طائلة الذين يكذبون على النبي ﷺ مما جعلهم حريصين في التحديث ومُقِلّين في الرواية:

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إنه ليمنعني أن أُحدِّثكم حديثاً كثيراً أن النبي ﷺ قال: **(مَنْ تَعَمَّدَ عَلَيَّ كَذِباً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ)**[١].

وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: قلتُ للزبير رضي الله عنه: إني لا أسمعك تُحدِّث عن رسول الله ﷺ كما يُحدِّث فلان وفلان؟ قال: أما إني لم أُفارقه، ولكن سمعتُه يقول: **(مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّار)**[٢].

فقد أكثر من رواية الحديث عن النبي ﷺ سبعةٌ من الصحابة رضوان الله عليهم لكل واحدٍ منهم أكثر من ألف حديث، وأحد عشر صحابياً لكل واحدٍ منهم أكثر من مائتي حديث، وواحدٌ وعشرون صحابياً لكل واحدٍ أكثر من مائة حديث، وأما أصحاب العشرات فكثيرون يقربون من المائة، وأما من له عشرة أحاديث أو أقلَّ من ذلك فهم فوق المائة، وهناك نحو ثلاثمائة صحابي روى كل واحدٍ منهم عن الرسول ﷺ حديثاً واحداً[٣].

وسأُترجم لأشهر من روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة رضوان الله عليهم مع الحرص على الإيجاز والاختصار في الترجمة، والتَّركيز على ما يتعلَّق بجانب الحديث لتعلُّقه المباشر بهذا البحث.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٢٤٣/١ رقم: ١٠٨، ومسلم في مقدمة صحيحه باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ ١٠/١ كلاهما بلفظه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ ٢٤٢/١ رقم: ١٠٧.

(٣) راجع: السنة قبل التدوين صـ: ٢٦٧.

لنصل في نهاية هذه التراجم إلى التسليم بعدالة الصحابة رضوان الله عليهم وأفضليتهم على من بعدهم، وأن الله تعالى حفِظ بهم سنة نبيه ﷺ من الضياع أو التحريف. وسأكتفي بذكر أشهر المشاهير ممن روى عن رسول الله ﷺ وهم المكثرون عنه الذين تجاوزت أحاديثهم ألف حديث راجياً من الله عزَّ وجلَّ العون والسداد.

(١) أبو هريرة

اسمه ونسبه وكنيته:

هو الصحابي الجليل: أبو هريرة الدوسي اليماني رضي الله عنه حافظ الصحابة وراوية الإسلام، اختلف العلماء في تحديد اسمه واسم أبيه على أقوالٍ كثيرة حتى أبلغها بعض العلماء إلى أربعةٍ وأربعين قولاً.

أرجعها الحافظ ابن حجر إلى: ثلاثة أقوال، وعدّ ما دون ذلك تصحيفاً، أو تحريفاً، أو خطأً.

فقيل: اسمه عبد الرحمن بن صخر.

وقيل: عبد الرحمن بن غنم.

وقيل: عبد الله بن عائذ.

وأرجح هذه الأقوال أولها.

ويُقال كان اسمه في الجاهلية: عبد شمس وكنيته: أبو الأسود فسمَّاه رسول الله ﷺ عبد الله وكناه أبا هريرة.

روى الحاكم في المستدرك عنه أنه قال: كان اسمي في الجاهلية: عبد شمس بن صخر فسُمِّيت في الإسلام عبد الرحمن.

سبب هذا الاختلاف في اسمه: أنه لم يكن قرشياً أو أنصارياً حتى يعرفه الصحابة رضوان الله عليهم باسمه الأصلي، ومازال يُنادَى منذ أسلم بأبي هريرة حتى غلبت على اسمه هذه الكنية.

وأمه: أميمة بنت صبيح بن الحارث الدوسية.

وهو من قبيلة دوس إحدى قبائل اليمن.

وسبب تكنيته بأبي هريرة: ما حكاه الترمذي عنه قال: كنتُ أرعى غنم أهلي وكانت لي هريرة صغيرة فكنت أضعها بالليل في شجرة، وإذا كان النهار ذهبت بها معي، فكنوني أبا هريرة[١].

صفاته الخِلْقية

كان أبو هريرة رضي الله عنه أبيض الوجه، أحمر اللحية، بعيد ما بين المنكبين، ذا ضفيرتين، أفرق الثنيتين يخضب شيبه بالحمرة[٢].

---

[١] الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه ٤٥٤/٥ رقم: ٣٨٦٦ وقال: حديث حسن غريب.

[٢] سير أعلام النبلاء ٥٨٨/٢.

إسـلامه

أسلم أبو هريرة رضي الله عنه قديماً وهو في أرض دوس على يد الصحابي الجليل: الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه فقام بشعائر الإسلام، وما زال مشتاقاً للهجرة إلى رسول الله ﷺ حتى قدم المدينة سنة سبعٍ من الهجرة، فصلَّى الصبح خلف سباع ابن عرفطة رضي الله عنه الذي استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة، ثم لحق برسول الله ﷺ وهو بأرض خيبر بعد الانتهاء من القتال فحضر قِسْمَة الغنائم ففرض له النبي ﷺ منها نصيباً، وفي الطريق إلى المدينة أبِق غلامٌ لأبي هريرة رضي الله عنه فلما قَدِم على النبي ﷺ وبايعه ظهر الغلام فقال له رسول الله ﷺ "يا أبا هريرة هذا غلامك" فقال أبو هريرة رضي الله عنه: هو لوجه الله[1].

أعتقه فرحاً بإسلامه ولقائه رسول الله ﷺ وكان ذلك سنة سبعٍ من الهجرة.

شدة ملازمته لرسول الله ﷺ

لازم أبو هريرة رضي الله عنه رسول الله ﷺ منذ إسلامه حتى توفِّي رسول الله ﷺ وقصر نفسه على خدمته، وتلقَّى الحديث عنه، فكان يدور معه حيث دار، ويرافقه في سفره، وفي إقامته، وفي حجِّه، وغزوه، وفي ليله ونهاره، وضحَّى في سبيل ذلك رضي الله عنه بالعمل من أجل اكتساب قُوته، فكان يسكن في المسجد، ويقيم مع أهل الصفة، ويأكل من صدقات المسلمين وكثيراً ما كان يدعوه رسول الله ﷺ لتناول الطعام معه، فصبر على الفقر الشديد رغبةً في صحبة رسول الله ﷺ وسماع العلم.

زهده وعبادته وورعه

ترتَّب على ملازمته لرسول الله ﷺ عدم اشتغاله بالتجارة أو الزراعة، ولزومه الصُّفَة، فعانى من جرَّاء ذلك فقراً شديداً، ومسكنة ظاهرة، فكان يُلصق بطنه بالحصى من الجوع، ويطوي نهاره وليله من غير أن يجد ما يقيم به أَوَده، حتى قال رضي الله عنه: والله إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشد الحجر على بطني من الجوع[2].

حتى إنه كان يُغمى عليه من شدة الجوع فيحسبه الرائي مصروعاً.

---

[1] فتح الباري ٨٣/٨.

[2] البخاري كتاب الرقاق باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخلِّيهم عن الدنيا ٢٨٦/١١ رقم: ٦٤٥٢.

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: لقد رأيتني وإني لأخِرُّ فيما بين منزل عائشة رضي الله عنها والمنبر مغشياً عليّ من الجوع، فيمرّ بي الرجل فيجلس على صدري فأرفع رأسي فأقول: ليس الذي ترى إنما هو الجوع[١].

قال الذهبي: كان يظنه من يراه مصروعاً فيجلس فوقه ليرقيه أو نحو ذلك[٢].

فكان أبو هريرة رضي الله عنه يتحمَّل آلام الجوع حرصاً منه على أن لا يفوته شيء من حديث رسول الله ﷺ.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كنتُ في سبعين رجلاً من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزارٌ، وإما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها مايبلغ نصف الساقين، ومنها مايبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن تُرَى عورته[٣].

وكان أبو هريرة رضي الله عنه وَرِعاً، محباً للسنة ومتَّبعاً لها، شجاعاً يقول الحق ولا يخشى في الله عزَّ وجلَّ لومة لائم، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويُحذِّر الناس من الانغماس في ملذَّات الدنيا وشهواتها، وكان يخشى الله عزَّ وجلَّ في السرِّ والعلن، ويُذكِّر الناس به ويحثُّهم على طاعته.

وكان عابداً يصوم النهار ويقوم الليل.

كان رضي الله عنه هو وامرأته وخادمه يقسمون الليل أثلاثاً يُصلِّي هذا ثم يوقظ هذا، ثم يوقظ هذا.

وكان يُسبِّح في كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة ويقول: أُسَبِّحُ بقدر ذنبي.

وكان أبو هريرة رضي الله عنه مع فقره: عفيف النفس، مبسوط الكف، جواداً يحب الخير، ويكرم ضيوفه، ويجود بما عنده وإن قلَّ.

قال الطفاوي: نزلت على أبي هريرة رضي الله عنه بالمدينة ستة أشهر فلم أر من أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً أشدّ تشميراً ولا أقوم على ضيفٍ منه[٤].

---

[١] حلية الأولياء ٣٧٩/١، وتذكرة الحفاظ ٣٥/١.

[٢] سير أعلام النبلاء ٥٩١/٢.

[٣] صحيح ابن خزيمة كتاب الصلاة باب إباحة الصلاة في الثوب الواحد ٣٧٥/١ رقم: ٧٦٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٣٧٧/١، وأخرجه البخاري بألفاظ مقاربة كتاب الصلاة باب نوم الرجال في المسجد ٦٣٨/١ رقم: ٤٤٢.

[٤] سير أعلام النبلاء ٥٩٣/٢.

ولايته على البحرين

أرسل رسول الله ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه إلى البحرين مع العلاء الحضرمي لينشر الإسلام ويُعلِّم الناس ويُفتيهم.

وفي عهد عمر رضي الله عنه استعمله على البحرين فقدم بعشرة آلاف فقال له عمر رضي الله عنه: استأثرتَ بهذه الأموال يا عدو الله وعدو كتابه؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: لستُ بعدو الله وعدو كتابه ولكنِّي عدو من عاداهما.

قال عمر رضي الله عنه: فمن أين هي لك؟ قال أبو هريرة رضي الله عنه: خيلٌ نتجت، وأعطياتٌ تتابعت، وغلَّة رقيقٍ لي فنظروا فوجدوه كما قال، فلما كان بعد ذلك دعاه عمر رضي الله عنه ليولّيه فأبى فقال له عمر رضي الله عنه: تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيراً منك؟ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: يوسف نبي ابن نبي وأنا أبو هريرة ابن أميمة، وأخشى ثلاثاً واثنتين.

فقال له عمر رضي الله عنه: فهلا قلتَ خمساً، قال أبو هريرة رضي الله عنه: أخشى أن أقول بغير علم، وأقضي بغير حلم وأن يُضْرَب ظهري ويُنْتَزَع مالي ويُشْتَم عرضي[1].

اعتزاله الفتن

كان أبو هريرة رضي الله عنه يوم حصار عثمان رضي الله عنه عنده في الدار يُدافع عنه مع بعض الصحابة رضوان الله عليهم وأبنائهم الذين تجمَّعوا في الدار لدفع الثوَّار عنها، ولما نفذ قضاء الله عزَّ وجلَّ وقُتِل عثمان رضي الله عنه شهيداً اعتزل أبو هريرة رضي الله عنه الفتن التي قامت بعد استشهاده، وكان يدعو الناس إلى اعتزالها، ويروي لهم في ذلك حديث رسول الله ﷺ أنه قال: "**ستكون فتنٌ، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي، ومن يُشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليعُذ به**"[2].

شيوخه وتلاميذه

روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة، كما روى عن بعض الصحابة رضوان الله عليهم كأبي بكر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه، والفضل بن العباس رضي الله عنه،

---

(١) حلية الأولياء ٣٨٠/١، وسير الأعلام ٦١٢/٢.

(٢) البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٧٠٨/٦ رقم: ٣٦٠١، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب نزول الفتن كمواقع القطر ٢٢١١/٤ رقم: ٢٨٨٦.

وأسامة بن زيد رضي الله عنه، وأبي بن كعب رضي الله عنه، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وغيرهم.

وروى عنه خلقٌ كثيرٌ من الصحابة والتابعين بلغ عددهم ثمانمائة من أشهرهم من الصحابة: ابن عمر، وابن عباس، وجابر، وأنس، وأبو أيوب الأنصاري، وواثلة بن الأسقع رضي الله عنهم جميعا.

ومن أشهر من روى عنه من التابعين: سعيد بن المسيب وهو زوج ابنته، وعروة بن الزبير، وسليمان بن يسار، وسالم بن عبد الله، وابن سيرين، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن يسار، والحسن البصري، وزيد بن أسلم، والشعبي، وعمرو بن دينار، والقاسم بن محمد، ومحمد بن المنكدر، وهمام بن منبه، وأبو سعيد المقبري، وأبو صالح السمان وغيرهم.

قال البخاري: روى عن أبي هريرة نحواً من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم من الصحابة والتابعين وغيرهم.

حفظه للحديث وقوة ذاكرته

كان من أثر ملازمة أبي هريرة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ملازمةً تامة أن اطَّلع من أقوال الرسول ﷺ وأعماله على ما لم يطَّلع عليه غيره مع إخلاصٍ في القصد، وإصابةٍ في العمل، ورغبةٍ في الخبر، وذاكرةٍ قوية، وقبل هذا كله دعاء رسول الله ﷺ له بالحفظ وعدم النسيان.

ففي سنن النسائي أن رجلاً جاء إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه فسأله عن شيء فقال: عليك أبا هريرة رضي الله عنه فإني بينما أنا جالس وأبو هريرة رضي الله عنه وفلانٌ في المسجد ذات يومٍ ندعو الله ونذكره إذ خرج علينا النبي ﷺ حتى جلس إلينا فسكتنا فقال: "عودوا للذي كنتم فيه"، قال زيد رضي الله عنه: فدعوتُ أنا وصاحبي قبل أبي هريرة رضي الله عنه وجعل رسول الله ﷺ يؤمِّن على دعائنا، ثم دعا أبو هريرة رضي الله عنه فقال: اللهم إني أسألك ما سألك صاحباي وأسألك علماً لا يُنسى فقال رسول الله ﷺ "آمين". فقلنا: يارسول الله ونحن نسأل الله تعالى علماً لا يُنْسى فقال: "**سبقكم بها الغلام الدوسي**"[1].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: تزعمون أني أُكْثِرُ الرواية عن رسول الله ﷺ والله الموعد إني كنتُ امرءاً مسكيناً أصحب رسول الله ﷺ على ملءِ بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم فحضرتُ من النبي ﷺ مجلساً فقال: "**من**

---

[1] **السنن الكبرى للنسائي ٤٤٠/٣ رقم: ٥٨٧٠، الإصابة لابن حجر ٤٣٨/٧.**

يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني" فبسطتُ بردةً عليَّ حتى قضى حديثه ثم قبضتُها إليَّ فوالذي نفسي بيده ما نسيتُ شيئاً بعد سمعتُه منه[١].
ولذلك قال الذهبي: كان حفظ أبي هريرة رضي الله عنه الخارق من معجزات النبوة[٢].

ولذلك حينما أثارت كثرة حديثه بعض الناس أراد مروان بن الحكم والي المدينة أن يختبر قوة حفظه ففعل ما حدَّث به أبو الزعيزعة كاتب مروان قال: أرسل مروان إلى أبي هريرة رضي الله عنه فجعل يسأله، وأجلسني خلف السرير وأنا أكتب حتى إذا كان رأس الحول دعا به فأقعده من وراء الحجاب فجعل يسأله عن ذلك الكتاب فما زاد ولا نقص ولا قدَّم ولا أخَّر[٣].

قال الذهبي: هكذا فليكن الحفظ[٤].

وعن مكحولٍ قال: تواعد الناس ليلةً إلى قُبَّةٍ من قباب معاوية رضي الله عنه فاجتمعوا فيها فقام فيهم أبو هريرة رضي الله عنه يُحَدِّثهم عن رسول الله ﷺ حتى أصبح[٥].

إكثاره من رواية الحديث

أبدى بعض الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم عجبهم من قوة حفظ أبي هريرة رضي الله عنه وكثرة روايته للحديث مع تأخُّر إسلامه عن كثيرٍ من الصحابة رضوان الله عليهم فأبدى لهم أبو هريرة رضي الله عنه سبب ذلك فازدادوا قناعةً بعلمه وحفظه.

وأقبلوا عليه يتتلمذون على يديه ويروون الحديث عنه حتى بلغ عدد من أخذ العلم عنه أكثر من ثمانمائة.

ثم جاء بعض المستشرقين، ومن سار في ركابهم، ونسج على منوالهم يحاولون التشكيك في كثرة أحاديثه، وسعة مروياته، ولو أنصف هؤلاء وهم الذين يدَّعون العلم والتقدُّم، وعلى ضوء معرفة علم النفس والاجتماع لما وجدوا في ذلك غرابةً ولا بُعداً، فلكل أمةٍ ميزة تمتاز بها على غيرها، والميزة التي تفرَّد بها العرب هي قوة الحفظ مع سرعته، وفي الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم إلى عصرنا هذا من كان آيةً عجباً في سرعة الحفظ وقوة الذاكرة، ويكفي أن تعلم: أن

---

(١) البخاري كتاب الحرث والمزارعة باب ما جاء في الغرس ٣٤/٥ رقم: ٢٣٥٠، ومسلم كتاب فضائل الصحابة رضوان الله عليهم باب من فضائل أبي هريرة ﷺ ١٩٣٩/٤ رقم: ٢٤٩٢.

(٢) سير الأعلام ٥٩٤/٢.

(٣) المستدرك للحاكم كتاب معرفة الصحابة باب ذكر أبي هريرة ﷺ ٣/ ٥٨٣ رقم: ٦١٦٤ وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٤) سير الأعلام ٥٩٨/٢.

(٥) حلية الأولياء ٢٧٦/٨، وسير الأعلام ٥٩٩/٢.

البخاري كان يحفظ ثلاثمائة ألف حديث بأسانيدها، وأن أحمد بن حنبل كان يحفظ ستمائة ألف حديث، وأن أبا زرعة كان يحفظ سبعمائة ألف حديث، والإمام الشافعي كان لا يقع بصره على شيءٍ إلا حفظه وكذا الإمام الشعبي القائل: ما كتبتُ سوداء في بيضاء قط، وما سمعتُ شيئاً ونسيتُه قط.

وبالإضافة إلى ذلك فقد اجتمعت لأبي هريرة رضي الله عنه عدَّة عوامل وأسباب أدَّت إلى كثرة أحاديثه وسعة مروياته منها:

١- ملازمته التامة لرسول الله ﷺ وانقطاعه إليه وتفرُّغه الكامل لسماع أحاديثه، ولذلك ردَّ على من زعم أنه أكثر من رواية الحديث فقال: إنكم تقولون إن أبا هريرة رضي الله عنه يُكْثِرُ الحديث عن رسول الله ﷺ وتقولون: ما للمهاجرين والأنصار لا يحدِّثون مثله، وإن إخواني المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وكان إخواني من الأنصار يشغلهم عمل أموالهم وكنت امرأً مسكيناً من مساكين الصُفَّة ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني فأحضر حين يغيبون وأعي حين ينسون[١].

ولذلك حينما دعته عائشة رضي الله عنها وقالت له: يا أبا هريرة ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تُحَدِّثُ بها عن النبي ﷺ هل سمعتَ إلا ما سمعنا؟ وهل رأيتَ إلا ما رأينا؟ وفي رواية قالت: أكثرتَ يا أبا هريرة عن رسول الله ﷺ فقال أبو هريرة رضي الله عنه: يا أُمَّاه إنه كان يشغلك عن رسول الله ﷺ المرآة والمكحلة والتصنُّع لرسول الله ﷺ وإني والله ما كان يشغلني عنه شيء.

وفي رواية قال: إي والله يا أمَّاه ما كانت تشغلني عنه المرآة ولا المُكْحُلة ولا الدهن قالت: لعلَّه[٢].

وهذا من إنصاف السيدة عائشة رضي الله عنها ورجوعها للحق.

وحينما جاء رجلٌ إلى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه أحد السابقين إلى الإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة وقال له: يا أبا محمد: أرأيتَ هذا اليماني – يعني أبا هريرة رضي الله عنه – أهو أعلم بحديث رسول الله ﷺ منكم؟ نسمع منه أشياء لا نسمعها منكم أم هو يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقُل؟ فقال طلحة رضي الله عنه: أمَّا أن يكون سمع ما لم نسمع فلا أشكُّ، سأحدِّثك عن ذلك: إنا كنا أهل بيوتات وغنمٍ وعمل كنا نأتي رسول الله ﷺ طرفي النهار وكان

---

[١] البخاري كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله تعالى: " فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض " ٣٦٦/٤ رقم: ٢٠٤٧، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه ١٩٣٩/٤ رقم: ٢٤٩٢.

[٢] الحاكم في المستدرك ٥٨٢/٣ رقم: ٦١٦٠، وصححه، ووافقه الذهبي، وسير أعلام النبلاء ٦٠٤/٢.

مسكيناً ضيفاً على باب رسول الله ﷺ يده مع يده فلا نشُكُّ أنه سمع ما لم نسمع، ولا تجد أحداً فيه خير يقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل[١].

وكذلك قيل لابن عمر رضي الله عنه: هل تنكر مما يحدِّث به أبو هريرة رضي الله عنه شيئاً؟ فقال: لا ولكنه اجترأ وجبنا، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: فما ذنبي إن كنتُ حفظتُ ونسوا[٢].

٢- حرصه الشديد على جمع الحديث وحفظه، وعنايته به، ورغبته التامة في تحصيل العلم حتى نالته دعوة رسول الله ﷺ أن لا ينسى شيئاً سمعه، فبزَّ أقرانه في كثرة الحديث عن النبي ﷺ مع تأخُّر إسلامه.

ولقد شهد له النبي ﷺ بذلك حينما سأله أبو هريرة رضي الله عنه عن أسعد الناس بشفاعته، فقال رسول الله ﷺ "**لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّل منك لما رأيتُ من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**"[٣].

ويُضاف لذلك جِدُّه واجتهاده في حفظ الحديث.. يقول أبو هريرة رضي الله عنه: جزّأتُ الليل ثلاثة أجزاء ثلثاً اصلي، وثلثاً أنام، وثلثاً أذاكر فيه حديث رسول الله ﷺ[٤].

ويحكي عن نفسه في هذه الفترة قائلاً: صحبتُ النبي ﷺ ثلاث سنين ما كنتُ سنواتٍ قط أعقل مني ولا أحبَّ إليَّ أن أعي ما يقول رسول الله ﷺ فيهن.

٣- دعاء النبي ﷺ له بقوة الحفظ وعدم النسيان فقد كان سيِّئ الحفظ حين أسلم فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ قائلاً: يا رسول الله إني أسمع منك حديثاً أنساه. فقال رسول الله ﷺ "**ابسط رداءك**"، قال: فغرف بيده ثم قال: "**ضُمَّه**" فضممتُه فما نسيتُ شيئاً بعد[٥].

وما أجمل تعليق الإمام الذهبي على هذا الحديث حين قال: كان حفظ أبي هريرة رضي الله عنه الخارق من معجزات النبوة.

---

[١] الحاكم في المستدرك ٥٨٥/٣ رقم: ٦١٧٢ وصححه، ووافقه الذهبي.

[٢] الحاكم في المستدرك ٥٨٣/٣ رقم: ٦١٦٥، وصحيح ابن خزيمة كتاب الوضوء باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر ١٦٧/٢ رقم: ١١٢٠.

[٣] البخاري كتاب العلم باب الحرص على الحديث ٢٣٣/١ رقم: ٩٩.

[٤] الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢٦٤/٢.

[٥] البخاري كتاب العلم باب حفظ العلم ٢٥٨/١ رقم: ١١٨.

وقد سبق حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه حينما دعا أبو هريرة رضي الله عنه أن يرزقه الله علماً لا يُنسى فأمّن رسول الله ﷺ على دعائه، وقد استجاب الله عزَّ وجلَّ دعاء نبيه ﷺ.

وقد اختبر مروان بن الحكم حفظه فوجده لا يزيد حرفاً ولا ينقص.

٤- أدرك أبو هريرة رضي الله عنه كبار الصحابة فاجتهد في جمع ما عندهم من حديث وأخذ عنهم الشيء الكثير، فتكامل علمه ﷺ وزادت أحاديثه ﷺ وقد ذكرنا في شيوخه عدداً من الصحابة.

٥- طول عمره واحتياج الناس إلى علمه فقد عاش بعد النبي ﷺ سبعةً وأربعين عاماً ينشر الحديث ويبثُّه بين الناس مما جعله قبلة طلاب العلم ومحطَّ رحالهم يفتيهم ويعلِّمهم ويحدِّثهم حتى أخذ عنه العلم خلقٌ كثير.

قال البخاري: روى عنه نحواً من ثمانمائة رجل وأكثر من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ والتابعين وغيرهم.

ولا شكَّ أن أبا بكر رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه، وابن مسعود رضي الله عنه وغيرهم من كبار الصحابة ممن تقدَّم إسلامهم وطالت صحبتهم لرسول الله ﷺ كانوا أعلم من أبي هريرة رضي الله عنه وأفقه، ولكن أعمارهم لم تطُل، ولم يحتج كثيرٌ من معاصريهم إلى علمهم لأنهم عاشوا بين الصحابة رضوان الله عليهم الذين شهدوا نزول الوحي وسمعوا كلام رسول الله ﷺ فلم يكن بهم كثير حاجةٍ إلى السؤال.

كما أن كثيراً من كبار الصحابة رضوان الله عليهم اهتمُّوا بأمور الدولة وسياسة الحكم وتولِّي الولايات والانشغال بالفتوحات بينما انصرف أبو هريرة رضي الله عنه إلى العلم والتعليم واعتزل السياسة.

وأبو هريرة رضي الله عنه وأضرابه كابن عمر رضي الله عنه، وابن عباس رضي الله عنه، وأنس رضي الله عنه على قِلَّةِ المُدَّة التي صاحبوا فيها رسول الله ﷺ وعلى صِغَرِ سنِّهم طالت أعمارهم، وسمعوا الحديث، وجمعوه من كبار الصحابة، ومات أكثر الصحابة رضوان الله عليهم في حياتهم وصاروا في عصرهم أئمةً يُقتدى بهم، وتصدُّوا للتحديث والإفتاء، فحدَّثوا، وعلَّموا، وأفتوا، ورحل إليهم طلاب العلم من كل مكان، ورُزقوا القبول، فنقل التابعون أحاديثهم، وتناقلتها الأجيال من بعدهم حتى وصل إلينا هذا الكم الهائل من أحاديثهم.

عدد الأحاديث التي رواها

أبو هريرة رضي الله عنه أكثر الصحابة روايةً للحديث، وقد ذكرنا أسباب ذلك.

روى له الإمام أحمد في مسنده (٣٨٤٨) حديثاً، وفيها مكرَّرٌ كثير باللفظ والمعنى، ويصفو له بعد حذف المكرر خيرٌ كثير.

وروى له الإمام بقي بن مخلد في مسنده (٥٣٧٤) حديثاً، وله في الصحيحين (٣٢٥) حديثاً، وانفرد البخاري برواية (٩٥) حديثاً، وانفرد مسلم برواية (١٨٩) حديثاً، رضي الله عنه وأرضاه.

ثناء الصحابة والتابعين والعلماء عليه

قال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: لا أشكُّ أن أبا هريرة رضي الله عنه سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع[١].

وقال ابن عمر رضي الله عنه: أبو هريرة رضي الله عنه خيرٌ مني وأعلم بما يُحدِّث[٢].

وقال له: يا أبا هريرة كنتَ ألزمنا لرسول الله ﷺ وأعلمنا بحديثه[٣].

وكان يكثر الترحُّم عليه ويقول: كان ممن يحفظ حديث رسول الله ﷺ على المسلمين[٤].

وروى أشعث بن سليم عن أبيه قال: سمعتُ أبا أيوب الأنصاري رضي الله عنه يحدِّث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فقلتُ: وأنتَ صاحب رسول الله ﷺ قال: إنه قد سمع، ولأن أحدث عنه عن رسول الله ﷺ أحبَّ إليّ من أن أحدث عن النبي ﷺ [٥].

قال محمد بن عمارة: قعدتُ في مجلسٍ فيه أبو هريرة رضي الله عنه وفيه مشيخةٌ من أصحاب رسول الله ﷺ بضعة عشر رجلاً، فجعل أبو هريرة رضي الله عنه يُحَدِّثهم عن النبي ﷺ بالحديث فلا يعرفه بعضهم، ثم يتراجعون فيه فيعرفه بعضهم، ثم يحدثهم بالحديث فلا يعرفه بعضهم، ثم يعرفونه حتى فعل ذلك مراراً.

قال: فعرفتُ يومئذٍ أنه أحفظ الناس عن رسول الله ﷺ[٦].

وقال أبيّ بن كعب رضي الله عنه: إن أبا هريرة رضي الله عنه كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأل عنها غيره[٧].

---

(١) الحاكم في المستدرك ٥٨٥/٣ رقم: ٦١٧٢ وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) الإصابة ٤٣٨/٧.

(٣) الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أبي هريرة ﷺ ٤٥٢/٥ رقم: ٣٨٦٢، وأحمد في مسنده ٢٦٦/٤ رقم: ٤٤٥٣، وإسناده صحيح.

(٤) سير أعلام النبلاء ٦٠٤/٢.

(٥) المستدرك ٥٨٥/٣ رقم: ٦١٧١، وسير أعلام النبلاء ٦٠٦/٢.

(٦) التاريخ الكبير للبخاري ١٨٦/١، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤٥/٨.

(٧) سير أعلام النبلاء ٦٢٩/٢.

وقال أبو صالح: كان أبو هريرة رضي الله عنه أحفظ أصحاب محمد ﷺ.

وقال سعيد بن أبي الحسن (أخو الحسن البصري)**:** لم يكن أحدٌ من الصحابة رضوان الله عليهم أكثر حديثاً من أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الشافعي: أبو هريرة رضي الله عنه أحفظ من روى الحديث في دهره.

وقال البخاري: روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره.

وقال أبو نعيم: كان أحفظ الصحابة لأخبار رسول الله ﷺ ودعا بأن يحبِّبه إلى المؤمنين فكل مؤمنٍ محب لأبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الحاكم: كان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ وألزمهم له صحبةً على شِبَع بطنه فكانت يده مع يده يدور معه حيثما دار إلى أن مات ﷺ ولذلك كثر حديثه.

قال الذهبي: كان أبو هريرة رضي الله عنه وثيق الحفظ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث[1].

وقال ابن حجر: أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة رضوان الله عليهم حديثاً.

وقال بعد أن ذكر قصة بسط الثوب: والحديث المذكور من علامات النبوة، فإن أبا هريرة رضي الله عنه كان أحفظ الناس للأحاديث النبوية في عصره.

هذه آراء الثقات أصحاب هذا الشأن فيه، ومن حظي بمثل هذا الثناء من هؤلاء العلماء الأفاضل فلا يضيره ما يقال بعد ذلك فيه.

وفـاته

بعد عمرٍ مديد وتحديثٍ وفتوى كان أبو هريرة رضي الله عنه يدعو ربه قائلاً: اللهم لا تدركني سنة ستين[2].

فلما مرض قريباً من ذلك دخل عليه أبو سلمة بن عبد الرحمن وهو شديد الوجع فاحتضنه وقال: اللهم اشف أبا هريرة رضي الله عنه.

فقال أبو هريرة رضي الله عنه: اللهم لا ترجعها – قالها مرتين – ثم قال: إن استطعتَ أن تموتَ فمُت، والله الذي نفس أبي هريرة بيده ليأتينَّ على الناس زمانٌ يمُرُّ الرَّجل على قبر أخيه فيتمنَّى أنه صاحبه[1].

---

[1] سير الأعلام ٦٢١/٢.

[2] سير الأعلام ٦٢٦/٢.

ودخل عليه لزيارته والي المدينة مروان بن الحكم فقال له: شفاك الله يا أبا هريرة فقال: اللهم إني أحب لقاءك فأَحِبَّ لقائي، ثم خرج مروان فما بلغ وسط السوق حتى مات[٢].

ولما حضره الموت أوصى قائلاً: لا تضربوا عليَّ فسطاطاً، ولا تتبعوني بمجمرة، وأسرعوا بي[٣].

وكان يُكثر البكاء في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن على بعد سفري وقلة زادي، وإني أمسيتُ في صعود ومهبطه، على جنة أو نار، فلا أدري إلى أيِّهما يُؤخذ بي[٤].

---

[١] المستدرك للحاكم ٥٦٣/٤ رقم: ٨٥٨١ وصححه، والسنة ومكانتها في التشريع صـ: ٢٧٤ وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

[٢] طبقات ابن سعد ٣٣٩/٤، وسير أعلام النبلاء ٦٢٥/٢.

[٣] أحمد في مسنده ٢٩/٨ رقم: ٧٩٠١ وإسناده صحيح.

[٤] حلية الأولياء ٣٨٣/١، وطبقات ابن سعد ٣٣٩/٤.

وقد اختلف العلماء في سنة وفاته:

١- فقيل: إنه مات سنة سبعٍ وخمسين، وبه قال: هشام بن عروة، وعلي ابن المديني، والمدائني، وخليفة، والفلاس، ويحيى بن بكير.

٢- وقيل: مات سنة ثمانٍ وخمسين، وبه قال أبو معشر، وضمرة، والهيثم، وعبد الرحمن بن مغراء وغيرهم.

٣- وقيل مات سنة تسعٍ وخمسين وبه قال ابن إسحاق وأبو عبيد وابن نمير وغيرهم.

قال الواقدي: مات سنة تسعٍ وخمسين، وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنة، وقد صلَّى على عائشة رضي الله عنها في رمضان سنة ثمانٍ وخمسين وعلى أم سلمة في شوّال سنة تسعٍ وخمسين ثم توفي فيها بعد ذلك[١].

قال الذهبي: الصحيح خلاف هذا[٢].

وقال ابن حجر: هذا من أغلاط الواقدي الصريحة فإن أم سلمة رضي الله عنها بقيت إلى سنة إحدى وستين.

وقد ثبت في صحيح مسلم ما يدُلُّ على ذلك.

والظاهر أن التي صلَّى عليها ثم مات معها في نفس السنة هي: عائشة رضي الله عنها، كما قال هشام بن عروة: إنهما ماتا في سنةٍ واحدة [٣].

وحضر جنازته من الصحابة: عبد الله بن عمر، وأبو سعيدٍ الخدري رضي الله عنهما، وشهدها أيضاً: مروان بن الحكم وكان يسير أمامها ويُكثر الترحُّم عليه.

وحمل ولد عثمان رضي الله عنه سريره حتى بلغوا البقيع حفظاً بما كان من رأيه في عثمان رضي الله عنه.

ولما بلغ معاوية رضي الله عنه نعيه أمر عامله بالمدينة أن يدفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم، ويحسن جوارهم؛ لأنه كان ممن نصر عثمان رضي الله عنه يوم الدار رحمه الله[٤]، ورضي عنه، وأجزل مثوبته[١].

---

[١] طبقات ابن سعد ٣٤٠/٤.

[٢] سير الأعلام ٦٢٦/٢.

[٣] تهذيب التهذيب ٢٩٧/١٠.

[٤] سير الأعلام ٦٢٥/٢، ٦٢٦.

(١) للاستزادة من أخبار أبي هريرة رضي الله عنه راجع الكتب التالية:

مستدرك الحاكم ٥٧٨/٣ ـ ٥٨٨، والاستيعاب لابن عبد البر ١٧٦٨/٤، وحلية الأولياء ٣٧٦/١، وأسد الغابة ٣١٨/٦، والإصابة ٦٣/١٢، وسير أعلام النبلاء ٥٧٨/٢، وتهذيب التهذيب ٢٩٤/١٠، والسنة ومكانتها في التشريع صـ: ٢٦٩، والحديث والمحدثون صـ: ١٣٢، والسنة قبل التدوين صـ: ٢٦٨.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

اسمه ونسبه وكنيته

هو الإمام القدوة شيخ الإسلام الصحابي الجليل: عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي أبو عبد الرحمن المكي المدني رضي الله عنه، وأمه زينب بنت مظعون أخت عثمان بن مظعون، وأخته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها.

مولده ونشأته وإسلامه

ولد سنة ثلاثٍ من البعثة، وأسلم قديماً مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم وهو ابن إحدى عشرة سنة، وهاجر معه إلى المدينة، وتربَّى بين أكناف الصحابة وفي أحضان النبوة.

عُرِض على النبي ﷺ يوم بدرٍ فاستصغره وردَّه، واستصغره يوم أُحُد ثم شهد الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة ثم شهد ما بعدها من المشاهد مع رسول الله ﷺ وشهد بعده اليرموك وفتح مصر وشمال إفريقيا.

اجتهاده في العبادة وشدة إقتدائه برسول الله ﷺ

كان ابن عمر رضي الله عنه شديد الاجتهاد في العبادة، كثير الصلاة والصيام، شديد الاقتداء برسول الله ﷺ فكان إذا سمع منه شيئاً اجتهد في تنفيذه.

فحينما سمع النبي ﷺ يقول: "**لو تركنا هذا الباب للنساء**"، قال نافع مولاه: فلم يدخل منه ابن عمر رضي الله عنه حتى مات[١].

وكان شديد التتبُّع لآثار رسول الله ﷺ حتى روى مالك عمن حدَّثه أن ابن عمر رضي الله عنه كان يتبع أمر رسول الله ﷺ آثاره وأحواله ويهتم به حتى كان قد خِيف على عقله من اهتمامه بذلك[٢].

وقال نافع مولاه: لو نظرتَ إلى ابن عمر إذا اتبع رسول الله ﷺ لقلتَ: هذا مجنون[٣].

وكان في طريق مكة يثني برأس راحلته ويقول: لعلَّ خفاً يقع على خف، يعني: لعل خفَّ راحلته يقع على خف راحلة النبي ﷺ.

---

[١] أبو داود كتاب الصلاة باب اعتزال النساء في المساجد عن الرجال ١٢٣/١ رقم: ٤٦٢.

[٢] سير الأعلام ٢١٣/٣.

[٣] حلية الأولياء ٣١٠/١.

وكان ابن عمر رضي الله عنه مثالاً رائعاً في الورع والتقوى، والزهد والعبادة، والخوف من الله كان إذا قرأ قوله تعالي: **(أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ)**[١] يبكي حتى يغلبه البكاء[٢].

وكان كثير التواضع، والتسامح، والرحمة، والكرم يُكْثِر التصدُّق بما يشتهيه من الطعام، ويتقرَّب إلى الله عزَّ وجلَّ بما يعجبه من مال تحقيقاً لقوله تعالى: **(لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ)**[٣].

أتاه في مجلسٍ بضعٌ وعشرون ألفاً فما قام من مجلسه حتى فرّقها.

قال نافع مولاه: إن كان ابن عمر رضي الله عنه ليفرّق في المجلس الواحد ثلاثين ألفاً ثم يأتي عليه شهرٌ ما يأكل مزعة لحم[٤].

وقال أيوب بن وائل: أُتي ابن عمر رضي الله عنه بعشرة آلاف ففرَّقها، وأصبح يطلب لراحلته علفاً بدرهم نسيئة[٥].

وكان لا يأكل طعاماً إلا وعلى خوانه يتيم.

وما مات ابن عمر رضي الله عنه حتى أعتق ألف إنسان أو أكثر.

وكان لا ينشغل إلا بالعبادة.

قيل لنافع مولاه: ما كان ابن عمر رضي الله عنه يصنع في منزله؟ قال: لا تُطيقونه، الوضوء لكل صلاة، والمصحف فيما بينهما.

وقال: كان يحيي الليل صلاةً ثم يقول يا نافع أسْحَرنا؟ فيقول: لا، فيعاود فإذا قال: نعم قعد يستغفر الله عزَّ وجلَّ حتى يصبح.

وكان لا يصوم في السفر ولا يكاد يُفطر في الحضر.

---

[١] سورة الحديد الآية: ١٦.

[٢] حلية الأولياء ٣٠٥/١.

[٣] حلية الأولياء ٢٩٦/١، والآية من سورة آل عمران: ٩٢.

[٤] حلية الأولياء ٢٩٥/١، ٢٩٦.

[٥] حلية الأولياء ٢٩٦/١.

شيوخه وتلاميذه

روى ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ حديثاً كثيراً كما روى عن أصحابه رضي الله عنهم فروى عن: الخلفاء الأربعة، وسعد بن أبي وقاص، وبلال بن رباح، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وأبو هريرة، وصهيب بن سنان، وأبو ذر، ومعاذ بن جبل، ورافع بن خديج، وحفصة، وعائشة، وصفية أمهات المؤمنين وغيرهم رضي الله عنهم جميعا.

وروى عنه من الصحابة: جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما وغيرهما.

وروى عنه خلقٌ كثيرٌ من التابعين من أشهرهم: بنوه الأربعة: سالم، وعبدالله، وحمزة، وبلال، وثابت البناني، والحسن البصري، وزيد بن أسلم، وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح، وعمرو بن دينار، ومجاهد بن جبر، والزهري، وطاوس، ومكحول، وعكرمة، وخلقٌ كثيرٌ سواهم.

عدد الأحاديث التي رواها

رافق ابن عمر رضي الله عنه النبي ﷺ في حضره وسفره، وحفظ أقواله وأفعاله، وروى عنه علماً كثيراً، وكان مثالاً رائعاً في الحفظ والضبط، وكان حريصاً على رواية الحديث بلفظه، ولا يستجيز لنفسه أن يروي بالمعنى.

قال أبو جعفر الباقر: كان ابن عمر رضي الله عنه إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثاً لا يزيد ولا ينقص، ولم يكن أحدٌ في ذلك مثله[1].

روى عن النبي ﷺ (٢٦٣٠) حديثاً، أخرج له الشيخان (٢٨٠) حديثاً، اتفقا على (١٦٨) حديثاً منها، وانفرد البخاري بـ (٨١) حديثاً، وانفرد مسلم بـ (٣١) حديثاً، وأحاديثه في الكتب الستة والمسانيد وسائر السنن.

أسباب كثرة أحاديثه

كان ابن عمر رضي الله عنهما معدوداً من المكثرين لرواية الحديث، وهو ثاني الصحابة روايةً للحديث بعد أبي هريرة رضي الله عنه، وقد ساعده على ذلك عدة عوامل:

---

[1] **سير الأعلام ٢١٣/٣.**

(١) تقدُّم إسلامه، وطول عمره، وشدة مجالسته لمجالس النبي ﷺ وحرصه على سماع الحديث وحفظه، فكان يحفظ إذا حضر، ويسأل إذا غاب، مع كثرة اتِّباعه للآثار، مما يدُلُّ على حرصه على العلم، وشغفه بالحديث.

(٢) اتصاله بالنبي ﷺ بطريق المصاهرة فقد كانت أخته حفصة رضي الله عنها زوجةً للنبي ﷺ فسهل عليه مخالطته في أغلب الأوقات، والدخول عليها وسؤالها عما خفي عليه من أقوال النبي ﷺ وأحواله.

(٣) عدم اشتغاله بأمور الحكم والسياسة، فقد جنَّبه أبوه الخلافة، وكان حريصاً على إبعاده عن السياسة وتجنيبه أمور الحكم، فجعل رأيه استشارياً في أصحاب الشورى، ولذلك عاش ابن عمر رضي الله عنه بقيَّة عمره على الحياد فلم يدخل في شيءٍ من الفتن والحروب التي وقعت بين الصحابة رضوان الله عليهم مع زهده التام في الدنيا والإمارة، وتفرُّغه للعلم والعبادة وجمع الحديث والتصدِّي لتعليم الناس.

ابن عمر رضي الله عنهما عالماً وفقيهاً

امتدت حياة ابن عمر رضي الله عنهما وطال عمره، واحتاج الناس إليه، وشدُّوا رحالهم إليه ينهلون من علمه، ويسمعون منه، ويتتلمذون على يديه.

قال الإمام مالك: أقام ابن عمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ ستين سنة تقدُم عليه وفود الناس، وكان ابن عمر رضي الله عنه من أئمة الدين[١].

وقال ابن حزم: المُكْثِرون من الفُتيا من الصحابة رضوان الله عليهم: عمر وابنه عبد الله وعلي وعائشة وابن مسعود وابن عباس وزيد بن ثابت رضوان الله عليهم فهم سبعة فقط يمكن أن يُجْمَع من فتيا كل واحدٍ منهم سفرٌ ضخم[٢].

---

[١] الإصابة ١٥٩/٤.

[٢] الإحكام في أصول الأحكام ٩٢/٥.

مناقبــه

اتَّسم ابن عمر رضي الله عنهما منذ صغره بالصلاح والتقوى، فعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رأيتُ في المنام كأن في يدي سرقةً من حرير لا أهوي بها إلى مكانٍ في الجنة إلا طارت بي إليه فقصصتُها على حفصة فقصّتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: "**إن أخاكِ رجلٌ صالح**" أو قال: "**إن عبد الله رجلٌ صالح**"(١).

وروى سالمٌ عن أبيه رضي الله عنه قال: كان الرجل في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على رسول الله ﷺ وكنت غلاماً عَزَباً فكنت أنام في المسجد فرأيتُ كأن ملكين أتياني فذهبا بي إلى النار فإذا هي مطويةٌ كطي البئر، ولها قرونٌ كقرون البئر، فرأيتُ فيها ناساً قد عرفتُهم فجعلتُ أقول: أعوذ بالله من النار، فلقيني مالك فقال: لن تُراع، فذكرتها لحفصة فقصَّتها على رسول الله ﷺ فقال: "**نِعْمَ الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل**" قال سالم: فكان بعد لا ينام من الليل إلا القليل"(٢).

وقد عرف الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم لابن عمر رضي الله عنه فضله ومكانته وسابقته وأثنوا عليه بما هو أهلٌ له.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن من أملك شباب قريشٍ لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر **رضي الله عنه**(٣).

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ما منا أحدٌ أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها إلا عبد الله بن عمر **رضي الله عنهما**(٤).

وقالت السيدة عائشة: ما رأيتُ أحداً ألزم للأمر الأول من ابن عمر رضي الله عنه(٥).

وقال محمد بن الحنفية: كان ابن عمر رضي الله عنه خير هذه الأمة(٦).

وقال سعيد بن المسيب: لو شهدتُ لأحدٍ أنه من أهل الجنة لشهدتُ لابن عمر رضي الله عنه.

---

(١) **البخاري كتاب التعبير باب الاستبرق ودخول الجنة في المنام ٤٢١/١٢ رقم: ٧٠١٦، ٧٠١٧.**

(٢) **البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ١١٣/٧رقم: ٣٧٣٨، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ١٩٢٧/٤ رقم: ٢٤٧٩.**

(٣) **سير الأعلام ٢١١/٣.**

(٤) **سير الأعلام ٢١١/٢، وحلية الأولياء ٢٩٤/١.**

(٥) **سير الأعلام ٢١١/٣.**

(٦) **سير الأعلام ٢١٢/٣.**

وقال: كان ابن عمر رضي الله عنهما حين مات خير من بقي.

وقال الزهري: لا يُعْدَلُ برأي ابن عمر رضي الله عنهما فإنه أقام بعد رسول الله ﷺ ستين سنة، فلم يَخْفَ عليه شيءٌ من أمره ولا من أمر أصحابه[١].

وقال طاووس: ما رأيت أورع من ابن عمر رضي الله عنهما[٢].

وقال أبو إسحاق السبيعي: كنا نأتي ابن أبي ليلى وكانوا يجتمعون إليه فجاءه أبو سلمة بن عبد الرحمن فقال: أعُمَرُ رضي الله عنه كان أفضل عندكم أم ابنه رضي الله عنه؟ قالوا: بل عمر رضي الله عنه فقال: إن عمر رضي الله عنهما كان في زمانٍ له فيه نُظَراء، وإن ابنه رضي الله عنه بقي في زمان ليس له فيه نظير[٣].

وقال الزبير بن بكار: إن كان ابن عمر رضي الله عنهما ليحفظ ما سمع من رسول الله ﷺ ويسأل من حضر إذا غاب عن قوله وفعله، وكان يتبع آثاره في كل مسجدٍ صلَّى فيه، وكان يعترض براحلته في طريقٍ رأى رسول الله ﷺ عرض ناقته، وكان لا يترك الحج، وكان إذا وقف بعرفةٍ يقف في الموقف الذي وقف فيه رسول الله ﷺ[٤].

وفاتـــه

توفي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما سنة ثلاثٍ وسبعين (٧٣) على الصحيح، وهو ابن سبعٍ وثمانين سنة.

---

[١] الإصابة ١٥٩/٤.

[٢] سير الأعلام ٢١٢/٣.

[٣] سير الأعلام ٢١١/٣.

[٤] الإصابة ١٦٠/٤.

(٣) أنس بن مالك رضي الله عنه

اسمه ونسبه ولقبه وكنيته

هو الإمام المفتي المقرئ المُحَدِّث راوية الإسلام: أنس بن مالك بن النضر ابن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري أبو حمزة المدني رضي الله عنه، خادم رسول الله ﷺ وتلميذه، وتابعه.

مولده ونشأته وإسلامه

ولد أنس رضي الله عنه بعد البعثة بثلاث سنين، وقَدِم رسول الله ﷺ المدينة وهو ابن عشر سنين، وأمُّه أم سليم بنت ملحان زوجة أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه.

لما قدم النبي ﷺ المدينة أخذته أمه وانطلقت به إلي النبي ﷺ وقالت له: يا رسول الله هذا أُنيس ابني أتيتُك به يخدمك – وعمره حينئذٍ عشر سنين – فادع الله **عزَّ وجلَّ** له فقال: "**اللهم أكثر ماله وولده**"[١].

يقول أنس رضي الله عنه: فوالله إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي يتعادون – أي يبلغ عددهم – علي نحوٍ من مائةٍ اليوم.

خدم النبي ﷺ عشر سنين، ونشأ في بيت النبوة، وتأدَّب بآداب الرسول ﷺ وشاهد ما لم يشاهده غيره.

وقد كان النبي ﷺ يَخُصُّه ببعض العلم[٢].

فنقل أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه طاف على تسع نسوة في ليلةٍ بغسلٍ واحد[٣].

ووقف من أحوال النبي ﷺ وأفعاله على الشيء الكثير، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر وإلى أن مات، وغزا معه غير مرةٍ، وبايع تحت الشجرة[٤].

---

(١) البخاري كتاب الدعوات باب من خص أخاه بالدعاء دون نفسه ١٤٩/١١ رقم: ٦٣٤٤، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه ١٩٢٨/٤ رقم: ٢٤٨٠.

(٢) سير الأعلام ٤٠٢/٣.

(٣) البخاري كتاب النكاح باب من طاف على نسائه في غسلٍ واحد ٢٢٧/٩ رقم: ٥٢١٥، ومسلم كتاب الحيض باب جواز نوم الجنب واستحباب الوضوء له ٢٤٩/١ رقم: ٣٠٩.

(٤) سير الأعلام ٣٩٧/٣.

وقد شهد أنس رضي الله عنه بدراً صغيراً يخدُم النبي ﷺ ولم يكن من المقاتلين، وشهد ما بعدها من المغازي كما بايع تحت الشجرة.

اجتهاده في العبادة

كان أنس رضي الله عنه مجتهداً في العبادة، متفانياً في الطاعة.

قال ثمامة: كان أنس رضي الله عنه يصلي حتى تقطُر قدماه دماً مما يُطيل القيام[1].

وكان شديد التمسُّك بالسنة حريصاً على الاقتداء برسول الله ﷺ.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيتُ أحداً أشبه بصلاة رسول الله ﷺ من ابن أم سليم يعني أنساً.

وقال أنس بن سيرين: كان أنس بن مالك رضي الله عنه أحسن الناس صلاةً في الحضر والسفر.

شيوخه ومن روى عنه

لازم أنس النبي ﷺ ملازمةً كاملة، وروى عنه أحاديث كثيرة كما روى عن كثيرٍ من الصحابة رضوان الله عليهم من أشهرهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وابن مسعود، ومعاذ، وأبو ذر، وأبو هريرة، وعبادة بن الصامت، وأسيد بن الحضير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو طلحة، وابن عباس، وعائشة، وأمه أم سليم، وخالته أم حرام، وفاطمة بنت النبي ﷺ وغيرهم كثير رضي الله عنهم جميعا.

كما روى عنه خلقٌ كثيرٌ من أعلام التابعين من أشهرهم: عمر بن عبدالعزيز، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، والزهري، والأعمش، والشعبي، ومكحول، ومحمد بن سيرين، وثابت البناني، وقتادة، ومحمد بن المنكدر، وحميد الطويل، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وخلقٌ كثيرٌ سواهم.

عدد الأحاديث التي رواها

روى أنس بن مالك رضي الله عنه (٢٢٨٦) حديثاً، أخرج له الشيخان منها (٣١٨) حديثاً، وانفرد البخاري برواية (٨٠) حديثاً، وانفرد مسلم برواية (٧٠) حديثاً.

---

[1] **سير الأعلام ٣/٤٠٠.**

أسباب إكثاره من رواية الحديث

يُعدُّ أنس بن مالك رضي الله عنه من المُكْثِرِين من رواية الحديث عن الرسول ﷺ ويأتي ترتيب مرويَّاته من حيث الكثرة ثالث الصحابة رضوان الله عليهم بعد أبي هريرة رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنه ويرجع ذلك لعدة عوامل من أهمِّها:

(١) أنه خدم النبي ﷺ عشر سنين لازمه فيها ملازمةً تامة فسمع أقواله، ورأى أفعاله، فحفظ ووعى ثم حدَّث وأفتى، ونشر ما سمع وما رأى بعد ذلك، وقيَّض الله عزَّ وجلَّ له تلاميذاً نجباء نقلوا عنه.

(٢) أنه عاش بعد النبي ﷺ ثلاثاً وثمانين سنة فتلقَّى الحديث بعد رسول الله ﷺ عن كبار أصحابه فروى عنهم حديثاً كثيراً وجمع من أحاديثهم إلى ما عنده من أحاديث فاجتمع عنده خيرٌ كثير.

(٣) خرج أنس رضي الله عنه من المدينة، واستوطن البصرة، وتصدَّر للتحديث بها، وأسَّس فيها مدرسةً للحديث، وطال عمره، واحتاج الناس إلى علمه، وتخرَّج به كثيرٌ من أئمة الحديث من التابعين.

أنس بن مالك رضي الله عنه عالماً وفقيهاً

امتدَّ عمر أنس رضي الله عنه وطالت حياته، وشُدَّت الرحال إليه، وقصده طلابُ العلم من كلِّ مكان، وجلس للتحديث والإفتاء.

وقد عدَّه ابن حزم من المتوسِّطين في الفتيا مع إكثاره من الحديث فقال: والمتوسِّطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا: أبو بكر الصديق، وأم سلمة، وأنس ابن مالك، وأبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان، وعبد الله بن عمرو ابن العاص، وعبد الله بن الزبير، وأبو موسى الأشعري، وسعد بن أبي وقاص، وسلمان الفارسي، وجابر بن عبد الله، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم، فهؤلاء ثلاثة عشر يمكن أن يُجمع من فُتيا كل واحدٍ منهم جزءٌ صغيرٌ جداً.

مناقبـه

كان النبي ﷺ يزور أنس رضي الله عنه وأمه أم سليم في بيتهم فيصلِّي عندهم ويأكل من طعامهم ويدعو لهم.

فعن أنس رضي الله عنه قال؛ دخل النبي ﷺ على أم سليم فأتته بتمرٍ وسمن فقال: "**أعيدوا تمركم في وعائكم وسمنكم في سقائكم فإني صائم**"، ثم قام في ناحية البيت فصلَّى بنا صلاةً

غير مكتوبة فدعا لأم سليم وأهل بيتها فقالت: يا رسول الله ﷺ إن لي خويصة قال: "**وما هي**"؟ قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرةٍ ولا دنيا إلا دعا لي به ثم قال: "**اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له فيه**" قال أنس رضي الله عنه: فإني لمن أكثر الأنصار مالاً، وحدَّثتني أمينة ابنتي: أنه دُفِن من صلبي إلى مقدم الحجاج البصرة تسعةٌ وعشرون ومائة[١].

وعن أنس رضي الله عنه قال: دعا لي رسول الله ﷺ ثلاث دعواتٍ قد رأيتُ منها اثنتين في الدنيا وأنا أرجو الثالثة[٢]، أما الدعوتان التي رآهما في الدنيا: فكثرة المال والولد مع البركة فيهما، وأما الدعوة الثالثة فهي: مغفرة الذنوب.

ففي طبقات ابن سعد أن النبي ﷺ دعا له فقال: " **اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه**" [٣].

وقد استجاب الله عزَّ وجلَّ دعاء نبيه ﷺ فرُزق أنس رضي الله عنه كثرة الولد حتى دفن في حياته أكثر من مائةٍ وعشرين من صلبه وخلَّف بعدة قرابة المائة وكثر ماله وبارك الله له فيه.

قال أبو العالية: خدمه عشر سنين، ودعا له، وكان له بستانٌ يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك[٤].

وقال ثابت البناني: جاء قيِّم أرض أنس رضي الله عنه فقال: عطشتْ أرضنا قال: فقام أنس رضي الله عنه فتوضَّأ وخرج إلى البرية فصلَّى ركعتين ثم دعا فرأيتُ السحاب يلتئم حتى أمطرت حتى خُيِّل إلينا أنها ملأت كل شيء وذلك في الصيف فلما سكن المطر بعث أنس بعض أهله فقال: انظر أين بلغت السماء؟ فنظر فإذا هي لم تَعْدُ أرضه إلا يسيراً[٥].

قال الذهبي: هذه كرامة بيِّنةٌ ثبتت بإسنادين.

ومناقب أنس رضي الله عنه وفضائله كثيرة جداً[٦].

---

(١) البخاري كتاب الصوم باب من زار قوماً فلم يفطر عندهم ٢٦٨/٤ رقم: ١٩٨٢، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز الجماعة في الناقلة ٤٥٧/١ رقم: ٦٦٠.

(٢) مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أنس بن مالك ٤/ ١٩٢٩ رقم: ٢٤٨١.

(٣) طبقات ابن سعد ١٩/٧.

(٤) الترمذي كتاب المناقب باب مناقب أنس ٤٥١/٥ رقم: ٣٨٥٩ وقال: حديث حسن.

(٥) طبقات ابن سعد ٢١/٧، والبداية والنهاية ٩٧/٩.

(٦) سير الأعلام ٤٠١/٣.

وفـاتـه

وبعد عمرٍ طويل وحياةٍ حافلة بالفضائل مات أنس بن مالك رحمه الله سنة ثلاثٍ وتسعين – على الصحيح – وهو ابن مائةٍ وثلاث وسنين وكان آخر الصحابة موتا بالبصرة.

قال قتادة: لما مات أنس رضي الله عنه قال مورق: ذهب اليوم نصف العلم فقيل له: كيف ذلك؟ قال: كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا في الحديث قلنا: تعال إلى من سمعه من النبي ﷺ[1].

[1] المعجم الكبير للطبراني ٢٥٠/١ رقم: ٧١٩، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٣٢٥/٩.

(٤) عائشة أم المؤمنين

اسمها ونسبها ولقبها وكنيتها

هي الصحابية الجليلة الصدِّيقة بنت الصدِّيق: عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان بن عمرو خليفة رسول الله ﷺ وحبيبة حبيب الله القرشيَّة التيميَّة، أم عبد الله المكيَّة، أم المؤمنين، زوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، وأفقه نساء الأُمَّة علي الإطلاق، رضي الله عنها.

وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية الصحابية الجليلة.

وكانت عائشة تُكْنَى أم عبد الله قيل: لأنها ولدت من النبي ﷺ ولداً فمات طفلاً، أو لسقطٍ نزل منها، ولم يثبت شيءٌ من ذلك.
والصحيح أنها كنيت بابن أختها أسماء: عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، أو لأن العرب كانت تُكْنَى من غير أن يكون لها ولد، وكان ذلك مشهوراً ذائعاً بينهم.

مولدها ونشأتها وإسلامها

ولدت عائشة رضي الله عنها لأبوين مسلمين بعد المبعث بأربع سنين، ونشأت وتربَّت على الأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة منذ صباها.

تزوَّجها رسول الله ﷺ وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين في شوال من السنة الثانية للهجرة عقب رجوعه من غزوة بدر.

حكت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه قصة زواج الرسول ﷺ بها فقالت: لما توفِّيت خديجة قلت: أي رسول الله ألا تتزوج؟ قال: "**من؟**" قلت: إن شئتَ بكراً وإن شئتَ ثيِّباً قال: "**فمن البكر؟**" قالت خولة: بنت أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر قال: "**ومن الثيِّب؟**" قالت خوله: سودة بنت زمعة آمنت بك واتبعتك قال: "**فاذهبي فاذكريهما عليَّ**" فجاءت فدخلت بيت أبي بكر رضي الله عنه فوجدت أم رومان فقالت: ما أدخل الله عليكم من الخير والبركة قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة فقالت: وددتُ، انتظري أبا بكر رضي الله عنه فذكرتُ له فقال: وهل تصلح له وهي بنت أخيه؟ فرجعتُ فذكرتُ ذلك للنبي ﷺ قال: "**قولي له: أنت أخي في الإسلام وابنتك تَحِلُّ لي**" فجاء فأنكحه وهي يومئذ بنت ست سنين، وبنى بها النبي ﷺ وهي بنت تسع سنين، وعاشت معه تسع سنوات ثم قُبض عنها، وهي بنت ثمان عشرة سنة.

ولمَّا تكلَّم فيها أهل الإفك بالزور والبهتان غار الله عزَّ وجلَّ لها فأنزل براءتها في عشر آياتٍ من القرآن تُتلى على تعاقب الزمان.

خرجت يوم الجمل بعد مقتل عثمان رضي الله عنه طالبةً بدمه وبإعادة الأمر شورى بين المسلمين، ثم إنها ندمت على خروجها ذلك ندامةً كبيرة، وكانت كلما ذكرته بكت حتى تبل خمارها.

اجتهادها في العبادة

كانت رضي الله عنها تصوم النهار، وتقوم الليل، وكانت كريمة، وقوراً يحترمها ويجلّها كل من يلقاها، وكانت تخشى الله عزَّ وجلَّ ولا تخاف فيه لومة لائم.

قال القاسم بن محمد: كانت عائشة رضي الله عنها تصوم الدهر[١].

وعنه في روايةٍ أخرى: كانت تسرد الصوم[٢].

يعني: أنها كانت تصوم السنة كلها عدا الأيام المنهي عن صيامها كالعيدين، وأيام التشريق، وأيام الحيض.

وكانت شديدة الخشية لله عزَّ وجلَّ وكانت تقول: ليتني كنت ورقةً من هذه الشجرة[٣].

وكانت تقول: وددتُ أني كنتُ نسياً منسياً[٤].

وندمِتْ ندامةً شديدةً على خروجها يوم الجمل وكانت إذا قرأت: **(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)**[٥] بكت حتى تبل خمارها[٦].

نذرت أن لا تُكَلِّم عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لكلامٍ بلغها عنه ثم استرضاها فرضيت عنه وكلَّمته، فكانت كلما ذكرت نذرها بكت حتى تبل خمارها[٧].

---

(١) طبقات ابن سعد ٦٨/٨.

(٢) طبقات ابن سعد ٧٥/٨.

(٣) طبقات ابن سعد ٧٤/٨.

(٤) البخاري كتاب التفسير باب تفسير سورة النور ٣٠٦/٨ رقم: ٤٧٥٠.

(٥) سورة الأحزاب الآية: ٣٣.

(٦) طبقات ابن سعد ٨١/٨.

(٧) حلية الأولياء ٤٩/٢.

وكانت رضي الله عنها كريمة، سخيّة، كثيرة الإحسان إلى الفقراء والمساكين، طويلة اليد بالصدقة.

قالت خادمتها أم درة: أُتيتُ عائشة رضي الله عنها بمائة ألفٍ ففرَّقتها وهي يومئذٍ صائمة فقلتُ لها: أما استطعتِ فيما أنفقتِ أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟ قالت: لو كنتِ أذكرتني لفعلت[1].

قال الذهبي: كانت أم المؤمنين من أكرم أهل زمانها ولها في السخاء أخبار[2].

شيوخها وتلاميذها

روت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيبا وهي أكثر نساء الأمة روايةً للحديث وروت عن: أبيها، وعن عمربن الخطاب، وسعد بن أبي وقاص، وأسيد بن حضير، وحمزة بن عمرو الأسلمي، وجدامة بنت وهب، وفاطمة الزهراء وغيرهم رضي الله عنهم جميعا.

وروى عنها خلقٌ كثيرٌ من الصحابة والتابعين فممن روى عنها من الصحابة: عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وأبو هريرة، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، والسائب بن يزيد، وزيد بن خالد وغيرهم رضي الله عنهم.

وروى عنها من كبار التابعين:

سعيد بن المسيب، ومسروق، ومكحول، وأبو وائل، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وعلقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، والحسن البصري، وزر بن حبيش، وطاووس، وسليمان بن يسار، والشعبي، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، ومجاهد، وعائشة بنت طلحة، وعمرة بنت عبد الرحمن، ومعاذة العدوية، وأم كلثوم التيميَّة، وحفصة بنت عبد الرحمن، وخلقٌ كثيرٌ سواهم.

عدد الأحاديث التي روتها

تُعدُّ عائشة رضي الله عنها من المكثرين لرواية الحديث وتأتي رابع الصحابة من حيث كثرة المرويات فقد بلغ مجموع الأحاديث التي روتها (٢٢١٠) ألفان ومائتان وعشرة أحاديث.

أخرج لها الشيخان (٣١٦) ثلاثمائة وستة عشر حديثاً، اتفقا منها على رواية (١٩٤) مائة وأربعة وتسعين حديثاً، وانفرد البخاري برواية (٥٤) أربعة وخمسين حديثاً، وانفرد مسلم برواية (٦٨) ثمانية وستين حديثاً.

---

[1] المستدرك ١٣/٤، وحلية الأولياء ٤٧/٢.

[2] سير الأعلام ١٩٨/٢.

وأحاديثها في الكتب الستة وسائر كتب السنن والمسانيد.

أسباب كثرة أحاديثها

تُعَدُّ كثرة مرويَّات السيدة عائشة رضي الله عنها شيئاً طبيعياً وذلك لعدَّة عوامل:

١- أنها كانت ذكيَّةٌ فطنةٌ تطلب العلم وتحرص على السؤال مع ما رزقها الله عزَّ وجلَّ من قوة الحفظ.

٢- أنها تزوَّجت النبي ﷺ وأقامت في صحبته ثمانية أعوام وخمسة أشهر واختلطت به، وكانت تسأله عما خفي عنها وعما أُشكل فهمه عليها، فعرفت كثيراً من أحكام الإسلام، ويُرجع إليها الفضل الكبير في نقل كثيرٍ مما يتعلق بأمور النساء.

٣- أنها تلقَّت الحديث عن كبار الصحابة كأبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه وجمعت ما عندهم إلي ما عندها فجمعت أحاديث كثيرة.

٤- طول عمرها واحتياج النساء إليها، فكان يدخل عليها طلاب العلم فتحدِّثهم من وراء حجاب ويسألونها فتجيبهم، ويعرضون عليها ما يختلفون فيه من أحاديث خاصةً ما يتعلَّق منها بأمور النساء وهي عاقلة حافظة فتجيب وتصحِّح وتستدرك، حتى جمع الإمام الزركشي كتاباً في جمع استدراكاتها على الصحابة أسماه: "**الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة**".

مكانتها من العلم والفتوى

كانت عائشة رضي الله عنها كثيرة العلم، فصيحة اللسان، ثابتة الجنان، بلغ علمها وفقهها مبلغاً عظيماً حتى احتاج الصحابة والتابعون إليها.

قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: ما أُشْكِلَ علينا أمرٌ فسألنا عنه عائشة رضي الله عنها إلا وجدنا عندها فيه علما[١].

وقال عروة بن الزبير: ما رأيتُ أحداً أعلم بفقهٍ ولا بطبٍ ولا بشعرٍ من عائشة رضي الله عنها.

وعن عروة أيضاً قال: لقد صحبتُ عائشة رضي الله عنها فما رأيتُ أحداً قط كان أعلم بآيةٍ أُنْزِلت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعرٍ، ولا أروى له، ولا بيومٍ من أيام العرب، ولا بنسبٍ، ولا

---

[١] الترمذي كتاب المناقب باب فضل عائشة ٤٧١/٥ رقم: ٣٩٠٩ وقال: حديث حسن صحيح غريب.

بكذا، ولا بقضاءٍ، ولا طبٍ منها، فقلتُ لها: يا خالة الطب من أين عُلِّمْتِه؟ فقالت: كنتُ أمرضُ فيُنعت لي الشيء، ويمرض المريض فينُعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعضٍ فأحفظه[١].

وقال مسروق: لقد رأيتُ أصحاب محمدٍ ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض[٢].

وقال الزهري: لو جُمِع علم عائشة رضي الله عنها إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة رضي الله عنها أفضل[٣].

وقال عطاء بن أبي رباح: كانت عائشة رضي الله عنها أفقه الناس، وأعلم الناس، وأحسن الناس رأياً في العامة[٤].

وقال الذهبي: لا أعلم في أمة محمدٍ ﷺ بل ولا في النساء مطلقاً امرأةً أعلم منها[٥].

وقد عدَّها ابن حزم أحد السبعة المكثرين من الفتوى من الصحابة الذين يُمكن أن يُجْمَع من فتوى كل واحدٍ منهم سفرٌ ضخم.

وقد تفرَّدت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بمسائل عن الصحابة لم توجد إلا عندها، وانفردت باختياراتٍ أيضاً، وروت أخباراً بخلافها بنوعٍ من التأويل، وقد جمع ذلك غير واحدٍ من الأئمة[٦].

وقد كانت رضي الله عنها مع علمها وفقهها فصيحة بليغة، لسانها أحدُّ من السيف، ونثرها أبلغ من الشعر.

قال الأحنف: سمعتُ خطبة أبي بكرٍ رضي الله عنه، وعمر رضي الله عنه، وعثمان رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه، والخلفاء بعدهم فما سمعتُ الكلام من فم مخلوقٍ أفخم ولا أحسن منه من في عائشة رضي الله عنها[١].

---

(١) حلية الأولياء ٤٩/٢، وسير الأعلام ١٨٣/٢.

(٢) المستدرك ١٢/٤ رقم: ٦٧٣٦، والدارمي كتاب الفرائض باب في تعليم الفرائض ٤٤٢/٢ رقم: ٢٨٥٩، والطبراني في المعجم الكبير ١٨١/٢٣ وقال الهيثمي: إسناده حسن مجمع الزوائد ٢٤٢/٩.

(٣) الطبراني في المعجم الكبير ١٨٤/٢٣ وقال الهيثمي: رواه الطبراني مرسلاً ورجاله ثقات مجمع الزوائد ٢٤٣/٩ قلتُ: الموقوف على الزهري أصح وأثبت وهو الذي اعتمده ابن كثير في البداية والنهاية ٨٨/٨، والذهبي في سير الأعلام ١٨٥/٢، وابن حجر في الإصابة ٢٣٣/٨.

(٤) البداية والنهاية ٨٨/٨.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٤٠/٣.

(٦) البداية والنهاية ٨٩/٨.

وقال موسى بن طلحة: ما رأيتُ أحداً أفصح من عائشة رضي الله عنها.

مناقبها

وردت في فضل عائشة رضي الله عنها ومنزلتها عند رسول الله ﷺ ومكانتها عند الصحابة ومن بعدهم أقوالٌ كثيرة منها:

١- أنها كانت أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: أيُّ الناس أحب إليك يا رسول الله؟ قال: "**عائشة**" قال: فمن الرجال؟ قال: "**أبوها**"(٢).

وكان حب النبي ﷺ لها أمراً شائعاً مستفيضاً.

قالت أم سلمة: والله لقد كانت أحب الناس إلى رسول الله ﷺ إلا أباها(٣).

٢- كانت عائشة فاضلةً كاملةً فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**"(٤).

٣- عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ "**يا عائشة هذا جبريل وهو يقرأ عليكِ السلام**" قالت: وعليه السلام ورحمة الله ترى ما لا نرى يا رسول الله(٥).

٤- من الثابت أن الله عزَّ وجلَّ قد اختارها ورضيها زوجةً لنبيه ﷺ في الدنيا والآخرة، فجاءه الملك بصورتها في خرقة حرير خضراء وقال له: هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة(٦).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "**أُريتكِ في المنام ثلاث ليالٍ، جاء بك الملك في سرقةٍ من حرير فيقول: هذه امرأتك، فأكشف عن وجهك فإذا أنت فيه فأقول: إن يك هذا من عند الله يمضه**"(١).

---

(١) **المستدرك للحاكم ١٢/٤ رقم: ٦٧٣٥.**

(٢) **البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب لو كنت متخذاً خليلاً ٢٢/٧ رقم: ٣٦٦٢، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر رضي الله عنه ١٥٨٦/٤ رقم: ٢٣٨٤.**

(٣) **المستدرك للحاكم ١٥/٤ رقم: ٦٧٤٦ وصححه على شرط الشيخين.**

(٤) **البخاري كتاب الفضائل باب فضل عائشة ١٣٣/٧ رقم: ٣٧٦٩، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب في فضل عائشة ١٨٩٥/٤ رقم: ٤٤٦.**

(٥) **البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب فضل عائشة ١٣٣/٧ رقم: ٣٧٦٨، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عائشة ١٨٩٥/٤ رقم: ٢٤٤٧.**

(٦) **الترمذي كتاب المناقب باب فضل عائشة ٤٧٠/٥ رقم: ٣٩٠٦ وقال: حديث حسن، وابن حبان في صحيحه ٦/١٦ رقم: ٧٠٩٤.**

وعن عائشة قالت: قلتُ يا رسول الله: مَنْ مِنْ أزواجك في الجنة؟ قال: "**أما إنك منهن**" قالت: فخُيِّل إليَّ أن ذلك لأنه لم يتزوَّج بكراً غيري[٢].

٥- ومن النظر في مجموع أحاديث فضائلها نجد أنها رضي الله عنها أُعْطِيَت خلالاً لم تحظ بهن امرأةٌ أخرى منها: أنها البكر الوحيدة التي تزوَّجها رسول الله ﷺ وأتاه الملك بصورتها في كفه لينظر إليها، وتزوَّجها النبي ﷺ وهي بنت ست سنين وبنى بها وهى بنت تسع سنين، وكانت أحب النساء إلى قلب النبي ﷺ ورأت جبريل وأقرأها السلام، ولم يتزوَّج النبي ﷺ امرأةً أبواها مهاجران غيرها، وأنزل الله عزَّ وجلَّ براءتها من السماء في عشر آياتٍ من القرآن ووعدها مغفرةً ورزقاً كريما، وكان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ وهي معه في لحافٍ واحد، وكان النبي ﷺ يغتسل معها في إناءٍ واحد، وكان يصلِّي وهى معترضةٌ بين يديه، وكانت ابنة خليفته وصديقه وأحبُّ الرجال إلى قلبه، ومات النبي ﷺ وريقها في فمه، وقُبِض بين سَحْرِها ونَحْرِها وفي ليلتها ودُفِن في حجرتها.

ومناقبها وفضائلها رضي الله عنها كثيرةٌ جدا[٣].

وفاتها

توفِّيت رضي الله عنها سنة سبعٍ وخمسين.

وقيل: سنة ثمانٍ وخمسين في شهر رمضان.

ودفنت بالبقيع، وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه.

وكان عمرها سبعٌ وستون سنة، رضي الله عنها وأرضاها.

---

[١] البخاري كتاب النكاح باب النظر إلى المرأة قبل التزويج ٨٦/٩ رقم: ٥١٢٥، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عائشة ١٨٨٩/٤ رقم: ٢٤٣٨.

[٢] المستدرك للحاكم ١٤/٤ رقم: ٦٧٤٣ وصححه ووافقه الذهبي.

[٣] راجع: طبقات ابن سعد ٥٨/٨، وحلية الأولياء ٤٣/٢، والاستيعاب ١٨٨١/٤، وأسد الغابة ١٨٨/٧، وسير أعلام النبلاء ١٣٥/٢، والإصابة ٢٣١/٨.

(٥) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

اسمه ونسبه ولقبه وكنيته

هو الصحابي الجليل حبر الأمة وفقيه العصر وإمام التفسير: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو العباس المدني الصحابي رضي الله عنه، ابن عم رسول الله ﷺ وصاحبه، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، وخالته أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية، وابن خالته خالد بن الوليد رضي الله عنه.

مولده ونشأته وإسلامه

ولد ابن عباس رضي الله عنه في شِعْب أبي طالب قبل الهجرة بثلاث سنين، وتربَّى في بيت النبي ﷺ وتلقَّى عنه العلم، وتأدَّب بأدبه.

أسلم ابن عباس رضي الله عنه قبل الفتح، ثم انتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح وكان سِنُّه يوم قُبِض رسول الله ﷺ ثلاث عشرة سنة على الصحيح.

وظهرت عليه منذ الصغر علامات الذكاء والنجابة حتى دعا له النبي ﷺ أن يزيده الله علماً وفقهاً[١].

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: أتيتُ رسول الله ﷺ من آخر الليل فصلَّيتُ خلفه، فأخذ بيدي فجرَّني حتى جعلني حذائه، فلما أقبل رسول الله ﷺ على صلاته خنستُ فصلى رسول الله ﷺ فلما انصرف من صلاته قال: "**ما شأنك أجعلك في حذائي فتخنس**"؟ فقلت: يا رسول الله أوَ يَنْبَغِي لأحدٍ أن يصلي في حذائك وأنت رسول الله ﷺ الذي أعطاك الله عزَّ وجلَّ؟ قال: فأعجبته فدعا الله أن يزيدني علماً وفقهاً.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: بِتُّ في بيت خالتي ميمونة فوضعتُ للنبي ﷺ غسلاً فقال: "**من وضع هذا؟**" قالوا: عبد الله فقال: "**اللهم علِّمه التأويل، وفقِّهه في الدين**"[٢].

وكان ابن عباس رضي الله عنه إلى جانب علمه: وسيماً جميلاً صبيح الوجه، مديد القامة، مهيباً، كامل العقل، ذكي النفس من رجال الكمال[١]، وكان أبيضاً طويلاً جسيماً تفوح منه رائحة المسك.

---

[١] أحمد في مسنده ٣٤٥/٣ رقم: ٣١٠٢، وإسناده صحيح.

[٢] مسند أحمد ٣٢١/٣ رقم: ٣٠٣٣، وإسناده صحيح، ومستدرك الحاكم ٦١٥/٣ رقم: ٦٢٨٠، وصححه، ووافقه الذهبي.

قال عكرمة: كان ابن عباس رضي الله عنه إذا مرَّ في طريقٍ قالت النساء: أمرَّ المسك أم مرَّ ابن عباس رضي الله عنه[٢].

وقال عطاء بن أبي رباح: ما رأيتُ القمر ليلة أربع عشرة إلا ذكرتُ وجه ابن عباس.

وكان ابن عباس رضي الله عنه شديد الاجتهاد في العبادة؛ يصوم الاثنين والخميس، ويُكْثِرُ الصلاة والذكر والبكاء، وكان شديد الخشية من الله عزَّ وجلَّ .

قال ابن أبي مليكة: صحبت ابن عباس رضي الله عنه من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل فسُئل كيف كانت قراءته؟: قال: قرأ: **(وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ)**[٣] فجعل يرتل ويكثر في ذلك النشيج[٤].

وقال أبو رجاء: رأيتُ ابن عباس رضي الله عنه وأسفل من عينيه مثل الشراك البالي من البكاء[٥].

شيوخه وتلاميذه

روى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً كما روى عن جماعةٍ من الصحابة من أشهرهم:

عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعليّ بن أبي طالب، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبى وقاص، ومعاذ بن جبل، وأبو سعيد الخدري، وسلمان الفارسي، وأبو هريرة، وعائشة وغيرهم كثير رضي الله عنهم جميعا.

كما روى عنه جمعٌ من الصحابة والتابعين فروى عنه من الصحابة:

أبو سعيد الخدري، وأنس بن مالك، وابن عمر، والمسور بن مخرمة وغيرهم.

وروى عنه خلقٌ كثيرٌ من التابعين من أشهرهم:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣٣٣/٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣٣٦/٣، ٣٣٧.

(٣) سورة ق الآية: ١٩.

(٤) حلية الأولياء ٣٢٧/١.

(٥) سير الأعلام ٣٥٢/٣.

سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، وشعبة، وطاووس، والشعبي، وعروة بن الزبير، وعطاء بن يسار، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، ومجاهد، وعلي بن الحسين، ونافع مولى ابن عمر، وذكوان أبو صالح وخلقٌ كثيرٌ سواهم.

عدد الأحاديث التي رواها

بلغت مروياَّت ابن عباس (١٦٦٠) حديثاً، أخرج له الشيخان منها (٣٢٤) حديثاً، اتَّفقا منها على رواية (٧٥) حديثاً، وانفرد البخاري برواية (١١٠) حديثاً، وانفرد مسلم برواية (٤٩) حديثاً.

وأحاديثه في الكتب الستة والمسانيد والسنن.

أسباب كثرة حديثة

يُعَدُّ ابن عباس أحد المكثرين من رواية الحديث، ومردُّ ذلك إلى عدة عوامل من أهمِّها:

١- أنه ابن عم رسول الله ﷺ وخالته أم المؤمنين ميمونة، فكان يُكْثِرُ الدخول على النبي ﷺ والسماع منه والاختلاط به، وربما بات عنده فيحفظ أقوال النبي ﷺ وأفعاله وأحواله.

٢- دعاء الرسول ﷺ له بان يهبه الله عزَّ وجلَّ العلم والحكمة وحسن التأويل فرزقه الله عزَّ وجلَّ قوة الذاكرة، وسرعة الحفظ، ودقة الفهم.

٣- أنه كان حريصاً على طلب العلم والسؤال عنه، قُبِض النبي ﷺ وهو صغير فكان يقصد أصحابه ويسألهم، والعلم خزائن ومفتاحها السؤال.

قال ابن عباس رضي الله عنه: إن كنتُ لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ[١].

وقال الشعبي: قيل لابن عباس رضي الله عنه: أنَّى أصبت هذا العلم؟ قال: بلسانٍ سؤول وقلبٍ عقول[٢].

وكانوا إذا عابوا على عمر رضي الله عنه إدناءه له وإدخاله مع أهل بدر وقالوا له: ألا تدعو أبناءنا كما تدعوا ابن عباس رضي الله عنه؟ يقول عمر رضي الله عنه: ذاكم فتى الكهول، إن له لساناً سؤولاً وقلباً عقولاً[٣].

فجمع أحاديث الصحابة إلى أحاديثه فاجتمع عنده خيرٌ كثير.

---

[١] سير الأعلام ٣٤٤/٣.

[٢] البداية والنهاية ٢٨٣/٨.

[٣] حلية الأولياء ٣١٨/١، والمستدرك للحاكم ٦٢١/٣ رقم: ٦٢٩٨.

٤- طول عمره واحتياج الناس إلى علمه، مع تصدِّيه للتحديث والفتوى، مع ما رزقه الله عزَّ وجلَّ من الفهم الثاقب، والبلاغة والفصاحة، والجمال والملاحة، وحسن البيان فاجتمعت عليه القلوب.

مكانة ابن عباس رضي الله عنه من العلم والفتوى

اجتهد ابن عباس رضي الله عنه في طلب العلم منذ نعومة أظفاره، واستفاد من الصحابة الموجودين حينئذٍ، فجمع علمهم إلى علمه فساد أقرانه جميعاً بفضل ذكائه وتبكيره بطلب العلم.

قال ابن عباس رضي الله عنه: لما توفِّي رسول الله ﷺ قلتُ لرجلٍ من الأنصار: هلمَّ نسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير، فقال: واعجباً لك يا ابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك وأقبلتُ على المسألة، فإن كان الحديث ليبلغني عن الرجل فآتيه وهو قائلٌ فأتوسَّد ردائي على بابه فتسفي الريح عليَّ التراب فيخرج فيراني فيقول: يا ابن عم رسول الله ﷺ ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقول: أنا أحقُّ أن آتيك فأسألك قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليَّ فقال: هذا الفتى أعقل منى[١].

وقال ابن عباس رضي الله عنه: وجدتُ عامة علم رسول الله ﷺ عند هذا الحي من الأنصار، إن كنتُ لآتي الرجل منهم فيقال: هو نائم فلو شئتُ أن يوقَظ لي لأوقظ، فأجلس على بابه تسفي الريح على وجهي التراب حتى يستيقظ فأسأله عمَّا أريد ثم أنصرف[٢].

ولقد تلقَّى ابن عباس رضي الله عنه العلم بذاكرةٍ واعيةٍ، وهمةٍ عاليةٍ، ودأبٍ وإصرارٍ وأعانه على ذلك دعاء الرسول ﷺ له بالعلم والفقه والحكمة، وكان رضي الله عنه آيةً في الحفظ، أنشده ابن أبي ربيعة قصيدةً من ثمانين بيتاً فحفظها من مرةٍ واحدة.

وكان إذا سمع النوادب سدَّ أذنيه بأصابعه مخافة أن يحفظ أقوالهن، وقد تعرَّض ابن عباس رضي الله عنه للتعليم والإفتاء منذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

قال عطاء بن يسار: كان عمر وعثمان رضي الله عنهما يدعوان ابن عباس رضي الله عنه فيشير مع أهل بدر، وكان يفتي في عهد عمر وعثمان رضي الله عنهما إلى يوم مات.

وقد عدَّه ابن حزم من السبعة المكثرين من الفتوى من الصحابة، وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى أحد أئمة الإسلام فتاوى ابن عباس رضي الله عنه في عشرين كتاباً[١].

---

[١] سنن الدارمي في المقدمة باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه ١٥٠/١ رقم: ٥٧٠، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤٤/١٠ رقم: ١٠٥٩٢، والحاكم في المستدرك ٦١٩/٣ رقم: ٦٢٩٤ وصححه، ووافقه الذهبي، و قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٢٧٧/٩.

[٢] سنن الدارمي في المقدمة باب الرحلة في طلب العلم واحتمال العناء فيه ١٥٠/١ رقم: ٥٧٠.

ولقد جمع ابن عباس رضي الله عنه مع علوم الدين: علوم الدنيا وبرع في كليهما.

قال عطاء: كان ناسٌ يأتون إلى ابن عباس رضي الله عنه في الشعر والأنساب، وناسٌ يأتونه لأيام العرب ووقائعهم، وناسٌ يأتونه للفقه والعلم فما منهم صِنفٌ إلا يقبل عليهم بما يشاؤن، وكان كثيراً ما يجعل أيامه يوماً للفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر، ويوماً لوقائع العرب[٢].

وقال عطاء: ما رأيتُ مجلساً قط أكرم من مجلس ابن عباس رضي الله عنه أكثر فقهاً وأعظم خشية، إن أصحاب الفقه عنده، وأصحاب الشعر عنده يُصْدرهم كلهم من وادٍ واسع[٣].

وقال عمرو بن دينار: ما رأيتُ مجلساً أجمع لكل خيرٍ من مجلسه – يعني ابن عباس رضي الله عنه – الحلال والحرام، وتفسير القرآن والعربية والشعر والطعام[٤].

وقال أبو صالح: لقد رأيتُ من ابن عباس رضي الله عنه مجلساً لو أن جميع قريش فخرت به لكان لها به الفخر؛ لقد رأيتُ الناس اجتمعوا على بابه حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحدٌ يقدر أن يجيء ولا يذهب.

قال: فدخلتُ عليه فأخبرتُه بمكانهم على بابه فقال لي: ضع لي وضوءاً قال: فتوضأ وجلس، وقال: اخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أُريد منه فليدخل، قال: فخرجتُ فآذنتهم فدخلوا حتى ملئوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيءٍ إلا أخبرهم عنه وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ثم قال: إخوانكم فخرجوا، ثم قال: اخرج فقل: من أراد أن يسأل عن الحلال والحرام والفقه فليدخل – فصنعوا كسابقيهم – ثم خرجوا، فقال ابن عباس رضي الله عنه: من كان يريد أن يسأل عن الفرائض وما أشبهها فليدخل، فصنعوا كسابقيهم ثم خرجوا، فقال ابن عباس رضي الله عنه: من كان يريد أن يسأل عن العربية والشعر والغريب من الكلام فليدخل فصنعوا كسابقيهم ثم خرجوا، قال أبو صالح: فلو أن قريشاً كلها فخرت بذلك لكان فخراً، فما رأيتُ مثل هذا لأحدٍ من الناس[٥].

---

(١) سير الأعلام ٣٥٨/٣.

(٢) البداية والنهاية ٢٨٦/٨.

(٣) الزهد لابن المبارك ٤١٤/١، وتاريخ بغداد ١٧٤/١.

(٤) البداية والنهاية ٢٨٦/٨.

(٥) البداية والنهاية ٢٨٧/٨.

ولابن عباس رضي الله عنه مفرداتٌ ليست لغيره من الصحابة لاتِّساع علمه، وكثرة فهمه، وكمال عقله، وسعة فضله، ونبل أصله فابن عباس رضي الله عنه أحد المكثرين من رواية الحديث، وأحد العبادلة الأربعة، ومن فقهاء الصحابة وعلمائهم.

مناقبـه

أحبَّ رسول الله ﷺ ابن عباس رضي الله عنه وقرَّبه منه ودعا له.

فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ضمَّه إليه وقال: "**اللهم علمه الكتاب**"[١].

وفي رواية: "**اللهم علمه الحكمة**"[٢]، وفى رواية: "**اللهم فقهه في الدين**"[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: **دعا لي رسول الله ﷺ أن يؤتيني الله الحكمة مرتين**[٤].

وفي رواية عنه قال: وضع رسول الله ﷺ يده بين كتفي وقال: "**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**"[٥].

ولقد علم الصحابة مكانة ابن عباس رضي الله عنه وقُربهِ من رسول الله ﷺ ولمسوا بركة دعاء الرسول ﷺ له فقرَّبوه وأحبُّوه وسألوه ونقلوا عنه.

فكان عمر رضي الله عنه يدخله مع شيوخ بدر، ويقرِّبه، ويسأله، ويستشيره في الأمر إذا أهمَّه، ويقول له: غُص غواص[٦].

وكان يعجب من علمه وفقهه ويقول له: لقد علمتَ علماً ما علمناه[٧]، وكان يُدخله مع الأكابر ويقول له: لا تتكلَّم حتى يتكلَّموا ثم يسأله ويقول لهم: ما منعكم أن تأتوني بمثل ما يأتيني به هذا الغلام الذي لم تستو شئون رأسه. ويقول: لا يلومني أحدٌ على حبِّ ابن عباس[٨].

---

(١) البخاري كتاب العلم باب قول النبي ﷺ اللهم علمه الكتابة ٢٠٤/١ رقم: ٧٥.

(٢) البخاري كتاب فضائل الصحابة باب ذكر ابن عباس رضي الله عنه ١٢٦/٧ رقم: ٣٧٥٦.

(٣) البخاري كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء ٢٩٤/١ رقم: ١٤٣.

(٤) الترمذي كتاب المناقب باب مناقب عبد الله بن العباس رضي الله عنه ٤٤٩/٥ رقم: ٣٨٤٩ وقال: حديث حسن.

(٥) أحمد في مسنده ٩٥/٣ رقم: ٢٣٩٧، وإسناده صحيح.

(٦) سير الأعلام ٣٤٦/٣.

(٧) سير الأعلام ٣٤٥/٣.

(٨) سير الأعلام ٣٤٦/٣.

وكان إذا أعضلت عليه قضية دعاه وقال له: أنتَ لها ولأمثالها[١].

وقال سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه: ما رأيتُ أحداً أحضر فهما، ولا ألب لباً، ولا أكثر علماً، ولا أوسع حلماً من ابن عباس رضي الله عنه، لقد رأيتُ عمر رضي الله عنه يدعوه للمعضلات يقول: جاءت معضلة ثم لا يجاوز قوله وإن حوله لأهل بدر.

وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: لقد أُعْطِيَ ابن عباس رضي الله عنه فهماً وعلماً، ما كنتُ أرى عمر رضي الله عنه يُقَدِّم عليه أحداً[٢].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: نِعْمَ ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنه[٣].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: ابن عباس رضي الله عنه أعلم أمة محمدٍ ﷺ بما أُنْزِل على محمد ﷺ[٤].

وقال أبيّ بن كعب وعنده ابن عباس رضي الله عنهما: هذا يكون خير هذه الأمة أرى عقلاً وفهماً، وقد دعا له رسول الله رضي الله عنه أن يفقِّهه الله في الدين[٥].

وقال معاوية لعكرمة مولى ابن عباس: مولاك والله أفقه من مات ومن عاش.

وقال أبو بكرة رضي الله عنه: قَدِم علينا ابن عباس رضي الله عنه البصرة وما في العرب مثله جسماً، وعلماً، وثياباً، وجمالاً، وكمالاً[٦].

قال عبيد الله بن عبد الله: كان ابن عباس رضي الله عنه قد فات الناس بخصال: بعلمٍ ما سُبِق إليه، وفقهٍ فيما احتيج إليه من رأيه، وحلمٍ، ونسبٍ ونائلٍ، وما رأيتُ أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث النبي ﷺ منه، ولا بقضاء أبى بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم منه، ولا أفقه في رأيٍ منه، ولا أعلم بشعرٍ، ولا عربيةٍ، ولا تفسير القرآن، ولا بحسابٍ، ولا بفريضةٍ منه، ولا أعلم فيما مضى، ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه، ولقد كنا نحضر عنده فيحدِّثنا العشية كلها في المغازي، والعشية كلها في النسب، والعشية كلها في الشعر، والعشية كلها في الفقه، وذكر

---

(١) طبقات ابن سعد ٣٦٩/٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٣٧٠/٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٣٦٦/٢.

(٤) البداية والنهاية ٢٨٥/٨.

(٥) سير الأعلام ٣٤٨/٣.

(٦) الإصابة ١٢٢/٤.

التأويل، وأيام العرب، ما رأيتُ عالماً قط جلس إليه إلا خضع له، ولا وجدتُ سائلاً سأله إلا وجد عنده علماً[١].

وقال الحسن البصري: كان ابن عباس رضي الله عنه من الإسلام بمنزلٍ، وكان من القرآن بمنزلٍ، وكان يقوم على منبرنا هذا فيقرأ البقرة وآل عمران فيفسِّرهما آيةً آية[٢].

وقال مسروق: كنتَ إذا رأيتَ ابن عباس رضي الله عنه قلتَ: أجمل الناس، فإذا نطق قلتَ أفصح الناس، فإذا تحدَّث قلتَ: أعلم الناس[٣].

وقال مجاهد: ما رأيتُ أحداً قط مثل ابن عباس رضي الله عنه، لقد مات يوم مات وإنه لخير هذه الأمة، وكان يسمى البحر لكثرة علمه[٤].

وقال طاووس: أدركتُ سبعين من الصحابة رضي الله عنهم إذا ذكروا ابن عباس رضي الله عنه فخالفوه لم يزل يقرِّرهم حتى ينتهوا إلى قوله[٥].

ومناقب ابن عباس رضي الله عنه وفضائله كثيرةٌ جداً.

وفاتــه

شهد ابن عباس رضي الله عنه وقعة الجمل وصِفِّين مع عليّ رضي الله عنه، وكُفَّ بصره في آخر عمره، وتوفِّي ابن عباس رضي الله عنه سنة ثمانٍ وستين (٦٨ هـ) بالطائف.

ولما مات جاء طائرٌ لم يُرَ طائرٌ على خلقته فدخل نعشه ثم لم يُرَ خارجاً منه، فلما دفن تُلِيَت هذه الآية على شفير القبر لا يُدْرَى من تلاها: **(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ. ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي)**[٦].

ولما بلغ جابر بن عبد الله رضي الله عنه خبر وفاته صفَّق بإحدى يديه على الأخرى وقال: مات اليوم أعلم الناس، وأحلم الناس، وقد أصيبت به هذه الأمة مصيبة لا ترتق[٧].

---

(١) البداية والنهاية ٢٨٦/٨.

(٢) سير الأعلام ٣٤٤/٣.

(٣) سير الأعلام ٣٥١/٣.

(٤) مستدرك الحاكم ٦١٦/٣ رقم: ٦٢٨٤.

(٥) البداية والنهاية ٢٨٦/٨.

(٦) سورة الفجر الآية: ٢٧ – ٣٠.

(٧) البداية والنهاية ٢٨٥/٨.

ولما دُفِن ابن عباس رضي الله عنه قال محمد بن الحنفية: اليوم مات ربَّانِيُّ هذه الأمة[1].

رضي الله عنه وأرضاه.

[1] **مستدرك الحاكم ٦١٦/٥ رقم: ٦٢٨٤، وطبقات ابن سعد ٣٦٨/٢.**

(٦) جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه

هو الإمام الكبير المجتهد الحافظ صاحب رسول الله ﷺ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو عبد الله المدني الأنصاري الخزرجى الفقيه رضي الله عنه.

أسلم قديماً، وشهد بيعة العقبة الكبرى مع أبيه وهو غلامٌ صغير، وكان والده من النقباء.

لم يشهد بدراً وأُحداً؛ لأنه أطاع أباه وقعد لأجل إخوته، وكن تسع بنات.

قال جابر رضي الله عنه: غزوتُ مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة، ولم أشهد بدراً ولا أحداً منعني أبى رضي الله عنه، فلما قُتِل يوم أحد لم أتخلَّف عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ قط(١).

ثم شهد غزوة حمراء الأسد، والخندق، وبيعة الرضوان، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

كان جابر رضي الله عنه من فقهاء الصحابة وعلماءهم.

قال هشام بن عروة: رأيتُ لجابر بن عبد الله رضي الله عنه حلقةً في المسجد النبوي يُؤْخَذُ عنه العلم.

وقال الذهبي: وكان مفتي المدينة في زمانه، عاش بعد ابن عمر رضي الله عنه أعواماً وتفرَّد.

وقد عدَّه ابن حزم من متوسِّطي الصحابة في الفتوى.

روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه علماً كثيراً عن النبي ﷺ ورحل بعد وفاته في طلب العلم حيث سمع من كبار الصحابة، فروى عن الرسول الكريم ﷺ وعن أبي بكر، وعمر، وعلي، وأبي عبيدة بن الجراح، وطلحة بن عبيد الله، ومعاذ بن جبل، وأبي هريرة، وأبي قتادة الأنصاري، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو، وخالد بن الوليد، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن أنيس، وغيرهم رضي الله عنهم جميعا.

وروى عنه بعض الصحابة وخلقٌ كثيرٌ من التابعين فروى عنه:

أنس بن مالك رضي الله عنه، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، والزهري، والشعبي، ومجاهد، ورجاء بن حيوة، وزيد بن أسلم، وطاووس، وعروة بن الزبير، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن يسار، وعمرو بن دينار، وعكرمة مولى ابن عباس، وأبو الزبير المكي، وأبو جعفر الباقر، وجمعٌ غفيرٌ غيرهم.

---

(١) مسلم كتاب الجهاد والسير باب عدد غزوات النبي ﷺ ١٤٤٨/٣ رقم: ١٨١٣.

وكان جابر رضي الله عنه من المكثرين للحديث، الحافظين للسنن، أسلم صغيراً، ووعى كثيراً، وطال عمره، واحتاج الناس إلى علمه.

روى (١٥٤٠) حديثاً، روى له الشيخان منها (٢١٢) حديثاً، اتفقا منها على رواية (٦٠) حديثاً، وانفرد البخاري برواية (٢٦) حديثاً، وانفرد مسلم برواية (١٢٦) حديثاً.

وله منسكٌ صغيرٌ في الحج أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

ومن مناقبه ما حدَّث به عن نفسه قال:

استغفر لي رسول الله ﷺ خمساً وعشرين استغفارة كل ذلك أعدُّها بيدي يقول: "**أدَّيت عن أبيك دينه؟**" فأقول: نعم، فيقول: "**يغفر الله لك**"(١).

عاش جابر رضي الله عنه أربعاً وتسعين سنة (٩٤)، وكُفَّ بصره في أواخر حياته، وتوفِّيَ سنة ثمان وسبعين (٧٨ هـ) على أرجح الأقوال.

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ٩٢/٦ رقم: ٥٨٩٤.

(٧) أبو سعيدٍ الخدرى رضي الله عنه

هو الإمام المجاهد مفتى المدينة صاحب رسول الله ﷺ سعد بن مالك بن سنان بن ثعلبة، أبو سعيدٍ الخدري الخزرجى الأنصاري رضي الله عنه.

عُرِض على النبي ﷺ يوم أُحُد فردَّه لصِغَرِ سنِّه، واستشهد أبوه مالك رضي الله عنه يوم أحد، وشهد أبو سعيد رضي الله عنه الخندق، كما شهد بيعة الرضوان، وشهد مع رسول الله ﷺ ثنتي عشرة غزوة.

كان من فقهاء الصحابة وفضلائهم وعلمائهم، وكان من أفقه أحداث الصحابة.

قال الخطيب البغدادي: كان من أفاضل الصحابة وحفظ حديثاً كثيراً.

وكان أحد الفقهاء المجتهدين، عدَّه ابن حزم من المتوسِّطين من الصحابة فيما روي عنهم من الفتوى.

حدَّث عن النبي ﷺ فأكثر وأطاب، وروى أيضاً عن جماعةٍ من الصحابة من أشهرهم:

أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعليّ، وزيد بن ثابت، وأبي موسى الأشعري، وجابر بن عبد الله، وأسيد بن حُضير، وابن عباس، ومعاوية، وعبد الله بن سلام، وأبي قتاده الأنصاري وغيرهم رضي الله عنهم جميعا.

وروى عنه خلقٌ كثيرٌ من الصحابة والتابعين.

فروى عنه من الصحابة:

عبد الله بن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبد الله، وأنس، ومحمود بن لبيد، وأبو أمامه بن سهل، وأبو الطفيل، وغيرهم رضي الله عنهم جميعا.

وروى عنه جمعٌ غفيرٌ من التابعين من أشهرهم:

سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وعطاء بن يسار، والحسن البصري، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو عثمان النهدي، وطارق بن شهاب، وأبو المتوكل الناجي، ومجاهد بن جبر، وعبيد بن عمير، وخلقٌ كثيرٌ سواهم.

روى أبو سعيدٍ رضي الله عنه أحاديث كثيرة حتى عُدَّ من المكثرين من رواية الحديث، وجملة ماله من الحديث (١١٧٠) حديثاً، أخرج له منها الشيخان (١١١) حديثاً، اتفقا على رواية (٤٣) حديثاً منها، وانفرد البخاري برواية (١٦) حديثاً، وانفرد مسلم برواية (٥٢) حديثاً.

توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة أربعٍ وسبعين (٧٤ هـ)، وسِنُّه ستٌّ وثمانون (٨٦) سنة.

المبحث الرابع: الشُّبُهات الواردة على أبي هريرة رضي الله عنه والرد عليها

ذكرت في ترجمة أبي هريرة رضي الله عنه الصورة الصادقة الصحيحة له كما دوَّنتها كتب التاريخ، وكما عرفها علماء المسلمين.

ولكن أعداء الإسلام عموماً، وأعداء السنة خصوصاً، عرضوا صورةً مغايرة لهذا الصحابي الجليل، ليتوصلوا من خلال الطعن فيه لرد حديثه.

فكيف هي صورة أبي هريرة رضي الله عنه عند أعداء الإسلام عامة وأعداء السنة خاصة؟

ينبغي في البداية التأكيد على أنه:

لم يتعرَّض أحدٌ من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم لما تعرَّض له أبو هريرة رضي الله عنه من توجيه سهام النقد إليه وإثارة الشبهات عليه وذلك لعدَّة أسباب:

أ- كثرة الأحاديث التي رواها رغم تأخُّر إسلامه.

ب- لأن تجريح أبي هريرة رضي الله عنه تجريحٌ لما رواه من أحاديث ومؤدٍّ لرفع الثقة عن كل مروياته.

ج- عَجز أعداء الإسلام عن الطعن في القرآن الكريم لحفظ الله عزَّ وجلَّ له فاتَّجهوا للطَّعن في السنة، تارةً بإنكارها، وتارةً بتجريح رواتها للوصول إلى عدم الثقة فيها تمهيداً لإهمالها؛ لأن الطعن في الناقلة طعنٌ في المنقول.

وقد فطن علماء الإسلام قديماً وحديثاً لمغزى هذا الطعون فقاموا بمناقشة هذه الشبهات، وردُّوها بالحجة والبرهان، وبيَّنوا فساد طوية من أثارها، فأزالوها من القواعد، واجتثُّوها من الأصول، وهدموا أركانها، ونجا أبو هريرة رضي الله عنه من تلك الأعاصير الهوجاء التي عصفت حوله، ومن تلك الأمواج المتراكمة التي تلاطمت على قدميه، وبقي صامداً أمامها، فانهار ما ادَّعاه أعداؤه أمام هذا الصرح الشامخ والقصر المشيد الذي يحمي عدالته، ويصونها من سهام الحاقدين.

وتحطَّمت سهامهم الواهية على الحصن المنيع الذي بناه بصدقه وأمانته وإخلاصه واستقامته فبقي أحد أعلام السنة الكبار وراوية الإسلام الأول بلا منازع يحترمه الجمهور ويقدرونه ويعرفون مكانته وفضله ومنزلته في الإسلام.

وقد وضع الله عزَّ وجلَّ حبه في قلب كل مؤمن لحب رسول الله ﷺ له ولدعائه له بذلك.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: والله ما خلق الله مؤمناً يسمع بي إلا أحبَّني، فقيل له وما علمُك بذلك؟ فقال: إن أمِّي كانت مشركةً، وكنتُ أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى عليَّ فدعوتها

يوماً فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي فأخبرته وسألته أن يدعو لها فقال: "**اللهم اهد أم أبي هريرة**" فخرجت أعدُو أُبشِّرها فأتيتُ فإذا الباب مُجافٍ، وسمعتُ خضخضة الماء، وسمعتْ حِسِّي فقالتْ: كما أنتَ ثم فتحتْ، وقد لبستْ درعها، وعجِلتْ عن خمارها فقالتْ: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله.

قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح كما بكيتُ من الحزن فأخبرتُه، وقلتُ: ادع الله أن يحبِّبني وأمي إلى عباده المؤمنين.

فقال: "**اللهم حبب عبيدك هذا وأمَّه إلى عبادك المؤمنين وحببهم إليهما**"[1].

وقد أثار بعض أعداء الإسلام وأعداء السنة قديماً وحديثاً بعض الشبهات حول أبي هريرة رضي الله عنه رغبةً في توهين مروياته ونزع الثقة عنها، وقد تولَّى إثارة هذه الشبهات قديماً بعض أئمة المعتزلة كالنَظَّام، وبشر المريسي، والبلخي وتابعهم في هذا العصر بعض المستشرقين خاصةً: جولد تسيهر، وشبرنجر وغيرهما.

وأغرب من هذا أن بعض مُدَّعي الإسلام والعلم قد أرادوا تشويه صورة أبي هريرة رضي الله عنه بإلصاق التهم به وسلب الفضائل عنه ومن أمثلة هؤلاء:

عبد الحسين شرف الدين العاملي الذي ألّف كتاباً تحت عنوان: "أبو هريرة" وافترى فيه على أبي هريرة رضي الله عنه افتراءاتٍ يندى لها جبين العلم، وتُشوِّه الحق، وتجرحه، وتقلب الحقائق وتبدِّلها حتى انتهى إلى تكفير أبي هريرة رضي الله عنه وقد حمله على هذا عاملان: أولهما: هواه. وثانيهما: تأويلاته التي لا تتماشى مع الحق وتصادم التاريخ.

وقد استقى من هذا الكتاب ونسج على منواله أيضاً المدعو: محمود أبو رية صاحب كتاب: "**أضواء على السنة المحمدية**" فكان أشد على أبي هريرة رضي الله عنه من سابقيه، وأجرأ عليه منهم، فاستجاز لنفسه قلب الحقائق، وتشويه التاريخ، وتحريف النصوص، واجتزاء الجمل بما يُناسب هواه فجانب الصواب وخان قواعد العلم.

وسار على دربهم: الأستاذ أحمد أمين في كتابه: "**فجر الإسلام**" فوجَّه المطاعن نحو أبي هريرة رضي الله عنه، وحرَّف بعض الحقائق في تاريخه، وشكَّك في صدقه، وزعم شك الصحابة رضوان الله عليهم فيه.

---

[1] مسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه ١٩٣٨/٤ رقم:٢٤٩١.

ولكن الله عزَّ وجلَّ قيَّض لدينه من يحميه ويدافع عنه، ولسنة نبيه ﷺ من يذُبُّ عنها، ويُدافع عن أصحابه رضوان الله عليهم خير القرون، فانبرى علماء المسلمين قديماً وحديثاً للدفاع عن أبي هريرة رضي الله عنه وردِّ الشبهات المثارة حوله.

ومن أفضل ما كُتِب في الدفاع عن أبي هريرة رضي الله عنه، قديماً ما كتبه ابن قتيبة في كتابه القيّم: "**تأويل مختلف الحديث**" وما كتبه الدارمي في كتابه: "**رد الدارمي على بشر المريسي**".

ومن أفضل ما كتب المعاصرون في ذلك وأجمعه وأروعه وأفضله عبارةً، وأقواه دلالةً وحجةً ما كتبه الدكتور مصطفى السباعي في كتابه القيم المفيد: "**السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**" حيث فنَّد فيه شبهات المستشرقين وبيَّن دواعيهم على ذلك كما ردَّ على أحمد أمين في كتابه: "**فجر الإسلام**" وأبي رية في كتابه: "**أضواء على السنة المحمدية**".

وكذلك كتب الشيخ: محمد عبد الرازق حمزة كتابه: "**ظلمات أبي رية**" وكتب الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني: " **الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة**".

و كتب الدكتور محمد عجاج الخطيب كتاباً قيِّماً في هذا الباب أسماه: "**أبو هريرة راوية الإسلام**" دافع فيه عنه، وردَّ الشبهات التي أثيرت حوله، وصان مكانة أبي هريرة رضي الله عنه من الطعن أو التعريض.

وقد فطن علماء الإسلام قديماً وحديثاً إلى سوء مقصد الطاعنين في أبي هريرة رضي الله عنه وأن المراد بالطعن هي السنة النبوية.

وأنا ضاربٌ لك مثالين أحدهما على لسان القدماء وثانيهما على لسان المحدثين لتتأكَّد من ذلك:

الأول: حكى الحاكم في المستدرك كلام شيخ شيوخه إمام الأئمة أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ) في الردِّ على من تكلَّم في أبي هريرة رضي الله عنه فكأنما هو يرُدُّ على الطاعنين فيه من أهل عصرنا فقال: وإنما يتكلَّم في أبي هريرة رضي الله عنه لدفع أخباره من قد أعمى الله عزَّ وجلَّ قلوبهم فلا يفهمون معاني الأخبار: إما معطلٌ جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم – الذي هو كفر – فيشتمون أبا هريرة رضي الله عنه ويرمونه بما الله تعالى قد نزَّهه عنه تمويهاً على الرعاع والسفل أن أخباره لا تثبُت بها الحجة.

وإما خارجيٌّ يرى السيف على أمة محمد ﷺ ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام إذا سمع أخبار أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ خلاف مذهبهم – الذي هو ضلال – لم يجد حيلةً في دفع أخباره بحجةٍ وبرهان كان مفزعه الوقيعة في أبي هريرة رضي الله عنه.

أو قَدَريٌّ اعتزل الإسلام وأهله وكفَّر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدَّرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة رضي الله عنه التي قد رواها عن النبي ﷺ في إثبات القدر لم يجد حجةً تُؤيِّدُ صحة مقالته التي هي كفرٌ وشرك كانت حجته عند نفسه: أن أخبار أبي هريرة رضي الله عنه لا يجوز الاحتجاج بها.

أو جاهلٌ يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه إذا سمع أخبار أبي هريرة رضي الله عنه فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه واختاره تقليداً بلا حجة ولا برهان تكلَّم في أبي هريرة رضي الله عنه ودفع أخباره التي تخالف مذهبه ويحتج بأخباره على مخالفيه إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه.

وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة رضي الله عنه أخباراً لم يفهموا معناها[1].

الثاني: قال الشيخ أحمد شاكر: وقد لهج أعداء الإسلام في عصرنا وشغفوا بالطعن في أبي هريرة رضي الله عنه وتشكيك الناس في صدقه وفي روايته، وما إلى ذلك أرادوا وإنما أرادوا أن يصلوا – زعموا – إلى تشكيك الناس في الإسلام تبعاً لسادتهم المبشرين، وإن تظاهروا بالقصد إلى الاقتصار على الأخذ بالقرآن أو الأخذ بما صحَّ من الحديث – في رأيهم – وما صحَّ من الحديث في رأيهم إلا ما وافق أهواءهم، وما يتبعون من شعائر أوربا وشرائعها.

ولن يتورَّع أحدهم عن تأويل القرآن إلى ما يُخرج الكلام عن معنى اللفظ في اللغة التي نزل بها القرآن ليوافق تأويلهم هواهم وما إليه يقصدون.

وما كانوا بأول من حارب الإسلام من هذا الباب ولهم في ذلك سلفٌ من أهل الأهواء قديماً، والإسلام يسير في طريقه قُدُماً وهم يصيحون ما شاءوا ولا يكاد الإسلام يسمعهم بل هو إما يتخطَّاهم لا يشعر بهم، وإما يدمِّرهم تدميراً.

ومن عجبٍ أن تجد ما يقول هؤلاء المعاصرون يكاد يرجع في أصوله ومعناه إلى ما قال أولئك الأقدمون بفرقٍ واحدٍ فقط: أن أولئك الأقدمين زائغين كانوا أم ملحدين كانوا علماء مطَّلعين أكثرهم ممن أضلَّه الله على علم، أما هؤلاء المعاصرون فليس إلا الجهل والجرأة، وامتضاغ ألفاظٍ لا يُحسنونها يُقلِّدون في الكفر ثم يتعالون على كل من حاول وضعهم على الطريق القويم[2].

---

[1] **مستدرك الحاكم ٥٨٧/٣.**

[2] **مسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر ٥٢٢/٦.**

هذه كلمة حقٍ في أبي هريرة رضي الله عنه وهذا ما ذهب إليه أئمة الهدى وأعلام الدين وكبار فقهاء الإسلام ومتشرِّعيه، وبيدهم الحجة، وبألسنتهم المنطق، ومعهم التاريخ الصحيح ووسيلتهم البحث العلمي الهادئ الرصين.

وقد رأيتُ بعد ذكر هذه الترجمة المختصرة الوافية لأبي هريرة رضي الله عنه وبعد معرفة رأي التاريخ الصادق والوقائع الثابتة ورأي كبار الصحابة وأئمة التابعين وعلماء المسلمين فيه أن أعرض لبعض الشبهات التي أثارها أعداء الإسلام والسنة الحاقدون على أبي هريرة رضي الله عنه، لكي ندرك الفرق بين الصورة التي عرضناها والصورة التي أراد أعداء الإسلام أن يرسموها له.

ولن أذكر جميع شبههم ولن أتوسَّع في سرد الأدلَّة والنصوص في الرد عليها، وحسبي في هذا الموضع أن أشير إلى ذلك إشارةً بالجزء إلى الكل، واكتفاءً بالمثال عن الحصر.

ومن أراد التوسُّع في هذا الأمر – وهو مهم – فعليه بالكتب التي أُفْرِدت لبيان ذلك وقد ذكرتُ بعضها سابقاً فلتراجع.

الشبهة الأولى: شك الصحابة في صدقه

زعموا أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أكثروا من نقده وشكُّوا في صدقه وأنا ذاكرٌ لك هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم الذين ادَّعوا عليهم ذلك:

[أ] عمربن الخطاب رضي الله عنه

أوردوا في هذا المجال نصوصاً لا سند لها فزعموا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه منع أبا هريرة رضي الله عنه من التحديث، وهدّده بالنفي إلى أرض دوس، وأنه استعمله على البحرين ثم عزله وضربه بالدرة حتى أدماه.

وهذه كلها أقوالٌ لا صحة لها، ولا تثبُت أمام النقد العلمي الصحيح.

أما نهي عمر رضي الله عنه له عن التحديث فلم يكن ذلك خاصاً بأبي هريرة رضي الله عنه بل كان منهجاً ثابتاً لعمر رضي الله عنه، فكان يأمرهم بالتركيز على القرآن، والتقليل من رواية الحديث لئلا ينشغل الناس بالسنة عن القرآن، ولئلا يضعوا بعض الأحاديث في غير موضعها.

ولم يرد في روايةٍ واحدة أن عمر رضي الله عنه كذّب أبا هريرة رضي الله عنه أو ضربه، وكل ما في الأمر أنه نهاه عن كثرة الرواية.

ولذلك قال ابن كثير معقِّباً على ذلك: وهذا محمولٌ من عمر رضي الله عنه على أنه خشي من الأحاديث التي قد يضعها الناس على غير مواضعها، وأنهم يتَّكلون على ما فيها من أحاديث الرخص، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع في أحاديثه بعض الغلط أو الخطأ فيحملها الناس عنه، أو نحو ذلك[1].

وقد روي عن عمر رضي الله عنه أنه أذن له بعد ذلك في التحديث بعد أن عرف ورعه وتثبته وتأكَّد من قوة ذاكرته.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: بلغ عمر رضي الله عنه حديثاً فأرسل إليَّ فقال: كنتَ معنا يوم كنا مع رسول الله ﷺ في بيت فلان؟ قال: قلتُ: نعم، وقد علمتُ لِمَ تسألني عن ذلك؟ قال: ولم سألتك؟ قلت: إن رسول الله ﷺ قال يومئذٍ: "**من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار**" قال عمر رضي الله عنه: أما إذن فاذهب فحدِّث[2].

---

[1] البداية والنهاية ١٠٢/٨.

[2] سير الأعلام ٦٠٣/٢.

فعمر رضي الله عنه لم يطعن في أبي هريرة رضي الله عنه خاصةً وإنما كان يُطبِّق منهجه في وجوب التثبُّت في الرواية والإقلال منها.

وأما تهديده بالنفي إلى بلاد دوسٍ فلم يثبُت.

أما زعمهم أن أبا هريرة رضي الله عنه لما ولي البحرين عزله عمر رضي الله عنه وأخذ ما بيده من الأموال وضربه حتى أدماه فباطلٌ وزور؛ لأن منهج عمر رضي الله عنه مع الولاة أياً كانوا معروفٌ مشهور، والثابت أن عمر رضي الله عنه حاسبه على ما بيده من مالٍ، فلما ثبت عنده أنه من خراج رقيقه ومن نتاج خيله تركه له، وفي بعض الروايات أنه قاسمه ماله كما قاسم غيره من الولاة، ولو شكَّ عمر رضي الله عنه في أمانة أبي هريرة رضي الله عنه وصدقه لحاكمه وعاقبه العقوبة الشرعية، ويؤكِّد ذلك أن عمر رضي الله عنه عرض عليه الولاية مرةً أخرى فرفضها أبو هريرة رضي الله عنه.

[ب] عثمان بن عفان رضي الله عنه وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه

ادَّعى بعض أعداء السنة أن عثمان رضي الله عنه، وعلي رضي الله عنه هددا أبا هريرة رضي الله عنه وأمراه بعدم الرواية، وهذا باطل لا يثبت في مصدرٍ موثوق، ولم يستطع مُدَّعوه أن يُثْبِتُوه.

بل الثابت أن عثمان رضي الله عنه كان يُقرِّب أبا هريرة رضي الله عنه ويحبه ولذلك نرى أبا هريرة رضي الله عنه يوم الدار يدافع عن عثمان رضي الله عنه.

وما زعموه من أنه كان يبغض علياً رضي الله عنه ويضع أحاديث في ذمه، ويأخذ على ذلك مالاً من معاوية رضي الله عنه وانه كان عند قتال سيدنا عليّ رضي الله عنه مع سيدنا معاوية رضي الله عنه، يصلِّي مع عليّ رضي الله عنه ويأكل مع معاوية رضي الله عنه ويجبن عند الحرب ويقول: عليٌّ رضي الله عنه أعلم، ومعاوية رضي الله عنه أدسم، والجبل أسلم، فباطلٌ من القول وزور، والتاريخ يؤكِّد حب أبي هريرة رضي الله عنه لعلي رضي الله عنه وبنيه وروايته الأحاديث في مناقبهم، ولم يرد في حديثٍ واحد أنه ذمَّ علياً رضي الله عنه بل كان يدافع عنه ويُجابه حكام بني أمية وينهاهم عن المنكر، والثابت أيضاً أنه اعتزل الفتن التي وقعت بعد وفاة سيدنا عثمان رضي الله عنه فلم يحضر حروبها ولم يشترك في أحداثها.

[ج] أم المؤمنين عائشة رضي اللّه عنها

لقد طالت حياة أبي هريرة رضي الله عنه وعائشة رضي الله عنها وقاما بتحديث الناس والتعرُّض للفتوى فكانت عائشة رضي الله عنها تستدرك على بعض الصحابة رضوان الله عليهم فتخالفهم حيناً وتوافقهم أحياناً.

وقد فسَّر أعداء الإسلام هذه النصوص وفق أهوائهم واستغلُّوها في الطعن في أبي هريرة رضي الله عنه وزعموا مخالفة الصحابة رضوان الله عليهم له وقالوا إن عائشة رضي الله عنها أنكرت عليه حديثه فماذا أنكرت السيدة عائشة؟ وكيف أنكرت عليه؟.

عن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة رضي الله عنها: ألا يعجبك أبوهريرة رضي الله عنه جاء فجلس إلى جانب حجرتي يُحَدِّث عن رسول الله ﷺ يُسْمِعَني ذلك وكنت أُسبِّح – أي تصلِّي صلاة نافلة – فقام قبل أن اقضي سبحتي ولو أدركتُه لرددتُ عليه: **إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم**[1].

كأنها تنتقد أبا هريرة رضي الله عنه في سرعة إلقائه.

فعائشة لم تنكر على أبي هريرة رضي الله عنه شيئاً من حديثه، وإنما أنكرتُ عليه صفة حديثه وقالت: **إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثاً لو عدَّه العاد لأحصاه**[2].

ولو أن عائشة رضي الله عنها أخذت عليه بعض حديثه لبيَّنت، وهي الشُجاعة الجريئة التي أخرجها الدفاع عن الحق من بيتها لمعركة الجمل.

قال ابن حجر: واعتُذِر عن أبي هريرة رضي الله عنه بأنه كان واسع الرواية، كثير المحفوظ، فكان لا يتمكَّن من المهل عند إرادة التحديث كما قال بعض البلغاء: أريد أن أقتصر فتتزاحم القوافي على فيَّ[3].

والثابت أن عائشة رضي الله عنها أثنت على حفظ أبي هريرة رضي الله عنه وصدقه.

ومن هذا أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "**من خرج مع جنازةٍ من بيتها وصلّى عليها ثم تبعها حتى تُدْفَن كان له قيراطان من أجرٍ كل قيراطٍ مثل أُحُد، ومن صلَّى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أُحد**" فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أكثر أبو هريرة رضي الله عنه علينا ثم أرسل ابن عمر رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنها يسألها

---

(١) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ٦٥٥/٦ رقم: ٣٥٦٨، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي هريرة رضي الله عنه ١٩٤٠/٤ رقم: ٢٤٩٣.

(٢) البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ ٦٥٥/٦ رقم: ٣٥٦٧، ومسلم كتاب الزهد والرقائق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم ٢٢٩٨/٤ رقم: ٢٤٩٣.

(٣) فتح الباري ٣٩٠/٧.

عن قول أبي هريرة رضي الله عنه فقالت لرسوله: صدق أبو هريرة رضي الله عنه فضرب ابن عمر رضي الله عنه الأرض بحصىً كان في يده ثم قال: لقد فرَّطنا في قراريط كثيرة[1].

ثم أصبح يروي الحديث ويُسنده إلى النبي ﷺ فلما رُوجِع فيه قال: حدَّثني أبو هريرة رضي الله عنه.

وكان يقول له أنتَ أعلمنا يا أبا هريرة برسول الله ﷺ وأحفظنا لحديثه.

إن عائشة رضي الله عنها كانت تستغرب بعض الأحاديث من أبي هريرة رضي الله عنه لعدم علمها بها فيُبيّن لها أنه كان أشد منها ملازمةً للنبي ﷺ فتعترف بذلك وتقول: "لعلَّه"، وهذا أدبٌ من أم المؤمنين رضي الله عنها، واعترافٌ منها بالحق، وفضيلةٌ تُضَاف إلى فضائلها الكثيرة.

والحاصل أنه لم يثبت نصٌّ واحدٌ يُثبت شكَّ بعض الصحابة رضوان الله عليهم أو تكذيبهم لأبي هريرة رضي الله عنه، وإن موقف بعض الصحابة رضوان الله عليهم من بعض أحاديثه إنما كان تثبُّتاً وتوخِّياً للحق لا اتهاماً له، وقد ثبت ثناء كبار الصحابة رضوان الله عليهم عليه، فهل يُعْقَل أن يطعنوا فيه تارةً ويثنوا عليه مرةً أخرى!!.

---

[1] البخاري كتاب الجنائز باب فضل اتباع الجنائز ٢٢٩/٣ رقم: ١٣٢٣، ١٣٢٤، ومسلم كتاب الجنائز باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ٢٥٦/٢ رقم: ٩٤٥.

الشبهة الثانية: كثرة أحاديثه

قالوا: إن أبا هريرة رضي الله عنه أسلم مُتَأَخِّراً وصحب النبي ﷺ ثلاث سنين فقط ومع ذلك روى أكثر مما رواه الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم الذين سبقوه إلى الإسلام.

وقد ذكرنا سابقاً سبب كثرة أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه وأن مردَّها إلى: قوَّة حافظته، ودعاء النبي ﷺ له بعدم النسيان، وحرصه على جمع الحديث وحفظه، وملازمته التامة لرسول الله ﷺ مع تأخُّر وفاته واحتياج الناس إليه.

ونضيف إلى ذلك أن السنوات الثلاث التي صاحب فيها أبو هريرة رضي الله عنه رسول الله ﷺ كانت ذات شأنٍ عظيم وجرت فيها أحداثٌ اجتماعيةٌ وسياسيةٌ وتشريعيةٌ هامة، حيث تفرَّغ فيها رسول الله ﷺ للدعوة والتوجيه، والتعليم والإرشاد وإرسال رسله في الآفاق لتبليغ رسالته بعد أن هادن قريشاً ووفدت إليه القبائل تبايع على الإسلام وتسأل عنه وأبو هريرة رضي الله عنه حاضرٌ في ذلك يرى بعينيه ويسمع بأذنيه ويعي بقلبه ويجمع ويحفظ.

أضف إلى ذلك: أنه جمع أحاديث كثيرٍ من الصحابة رضوان الله عليهم إلى ما عنده فاجتمع عنده من الحديث شيءٌ كثير.

إضافةً إلى تفرُّغه التام للعلم ونشره، والحديث وبثِّه، وعدم انشغاله بالفتن أو أمور الدولة، وسياسة الحكم.

الشبهة الثالثة: أنه كان يُدَلِّس في الحديث

قالوا: إن أبا هريرة رضي الله عنه كان يستجيز أن يروي عن رسول الله ﷺ ما لم يسمع منه من غير بيان.

واستدلُّوا لصحَّة دعواهم بأن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "**من أدرك الصبح وهو جُنُب فلا يصُم**" وكان أبو هريرة رضي الله عنه يفتي بذلك فبلغ ذلك عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فأنكرتا عليه، وذكرتا أن رسول الله ﷺ كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم فرجع إلى حديثهما وقال: كذلك حدَّثني الفضل بن العباس رضي الله عنه، وأسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ وأمهات المؤمنين أعلم بمثل ذلك من الرجال[١].

قالوا إن ذلك تدليس، والتدليس أخو الكذب.

والجواب عن ذلك: أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يروي عن الصحابة رضوان الله عليهم ما سمعوه من رسول الله ﷺ وإن لم يذكرهم، وهو لم ينفرد بذلك بل شاركه فيه صغار الصحابة، ومن تأخَّر إسلامهم كأنس، وجابر، وابن عباس، وابن عمر، والبراء، وعائشة وغيرهم رضوان الله عليهم، وذلك استناداً إلى عدالة الصحابي، وصدقه.

فهذا ابن عباس رضي الله عنه يروي حديث: "إنما الربا في النسيئة" عن النبي ﷺ فلمَّا رُوجِع فيه قال: أخبرني به أسامة بن زيد رضي الله عنه[٢].

ويروي حديث: "**أن النبي ﷺ لم يزل يُلَبِّي حتى رمى جمرة العقبة**" فلما رُوجِع في ذلك قال: أخبرني به أخي الفضل بن العباس رضي الله عنه[٣].

وقد ذكرنا عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان يروي حديث: "**من صلَّى على جنازةٍ فله قيراط**" ويُسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه حيناً وإلى النبي ﷺ أحياناً.

ويؤكِّد ذلك قول أنس بن مالك رضي الله عنه: ما كلُّ ما نحدِّثكم به عن رسول الله ﷺ سمعناه منه، ولكن لم يكن يكذب بعضنا بعضاً.

---

[١] البخاري كتاب الصوم باب الصائم يصبح جنباً ١٧٠/٤رقم: ١٩٢٥، ١٩٢٦، ومسلم كتاب الصيام باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب ٧٧٩/٢ رقم: ١١٠٩.

[٢] مسلم كتاب المساقاة باب بيع الطعام مثلاً بمثل ١٢١٧/٣ رقم: ١٥٩٦.

[٣] البخاري كتاب الحج باب النزول بين عرفة وجمع ٦٠٧/٣ رقم: ١٦٧٠، ومسلم كتاب الحج باب استحباب إدامة الحاج التلبية حتى يشرع في رمي جمرة العقبة يوم النحر ٩٣١/٢ رقم: ١٢٨١ وليس فيهما ذكر للمراجعة.

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: ما كلُّ الحديث سمعناه من رسول الله ﷺ كان يحدِّثنا أصحابه عنه، وكانت تشغلنا عنه رعية الإبل.

وقد سمَّى العلماء هذه الصورة مرسل الصحابي، وقد أجمعوا على الاحتجاج به؛ لأن الصحابة كلهم عدول، وحكمه حكم المرفوع.

قال ابن الصلاح: ثم إنا لم نعُدّ في أنواع المرسل ونحوه ما يُسمَّى في أصول الفقه بمرسل الصحابي مثل ما يرويه ابن عباس رضي الله عنه وغيره من أحداث الصحابة رضوان الله عليهم عن رسول الله ﷺ ولم يسمعوه منه؛ لأن ذلك في حكم الموصول المسند؛ لأن روايتهم عن الصحابة، والجهالة بالصحابي غير قادحة؛ لأن الصحابة كلهم عدول[1].

وقال النووي بعد أن ذكر الخلاف في حجية المرسل: هذا كله في غير مرسل الصحابي، أما مرسل الصحابي كإخباره عن شيء فعله النبي ﷺ أو نحوه – مما نعلم أنه لم يحضره لصغر سنه، أو لتأخر إسلامه أو لغير ذلك – فالمذهب الصحيح المشهور الذي قطع به جمهور أصحابنا وجماهير أهل العلم به أنه حجة.

وأطبق المحدِّثون المشترطون للصحيح القائلون بأن المرسل ليس بحجة على الاحتجاج به وإدخاله في الصحيح، وفي صحيحي البخاري ومسلم من هذا ما لا يُحْصَى.

وقال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني من أصحابنا: لا يُحْتَجُّ به بل حكمه حكم مرسل غيره إلا أن يُبيِّن أنه لا يرسل إلا ما سمعه من النبي ﷺ أو صحابي.

قال: لأنهم قد يروون عن غير صحابي.

ثم قال النووي: والصواب الأول وأنه يُحْتَجُّ به مطلقاً؛ لأن روايتهم عن غير الصحابي نادرة، وإذا رووها بيَّنوها فإذا أطلقوا ذلك، فالظاهر أنه عن الصحابي، والصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول[2].

هذه هي أقوال العلماء في إرسال الصحابة، ومنها تعلم أن أبا هريرة رضي الله عنه ليس مُتَفَرِّداً في إرساله وليس في إرساله ما يُطْعَنُ به فيه.

---

[1] معرفة علوم الحديث صـ: ٢٦.

[2] المجموع شرح المهذب ٦٢/١.

الشبهة الرابعة: تكذيبه في حديث الوعاءين

مما طعن به أهل الأهواء في صدق أبي هريرة رضي الله عنه: حديث الوعاءين وهو ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: حَفِظْتُ من رسول الله ﷺ وعاءين فأما أحدهما فبثثتُه، وأما الآخر فلو بثثتُه قُطِعَ هذا الحلقوم [١].

وما رواه ابن سعد في الطبقات عن الحسن قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: لو حدَّثتكم بكل ما في كيسي لرميتموني بالبعر.

قالوا: لو صحَّ هذا الحديث لترتَّب عليه أن يكون النبي ﷺ اختصّ أبا هريرة رضي الله عنه بشيءٍ من الوحي وكتمه عن جميع الأمة، وذلك لا يجوز بإجماع المسلمين، فهذا القول من أبي هريرة رضي الله عنه لا يَصِح ولا يُقْبَل.

والجواب على ذلك أنه ليس في الحديث ما يُفيد أن رسول الله ﷺ اختصَّه بهذا الوعاء دون غيره، وعلى تقدير أنه اختصَّه به فليس فيه شيء من كتمان الوحي لأن ما في ذلك الوعاء الذي آثر أبو هريرة رضي الله عنه أن يكتمه بعض أشراط الساعة، وبعض ما يقع للأمة من الفتن، وليس فيه حلالٌ ولا حرام، ولذلك قال الحسن البصري: صدق والله لو حدَّثهم أن بيت الله عزَّ وجلَّ يُهْدَم أو يُحْرَق ما صدَّقوه.

قال الذهبي: هذا دالٌّ على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تُحَرِّك فتنةً في الأصول أو الفروع، أو المدح والذم أما حديثٌ يتعلق بحلٍّ أو حرام فلا يحل كتمانه بوجه فإنه من البيِّنات والهدى، وفي صحيح البخاري: قول الإمام علي رضي الله عنه: حدِّثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يُكذَّب الله ورسوله"[٢].

وكذا لو بثَّ أبو هريرة ذلك الوعاء لأوذي بل لقُتل، ولكن العالم قد يؤدِّيه اجتهاده إلى أن ينشر الحديث الفلاني إحياءً للسنة فله ما نوى وله أجر – وإن غلط – في اجتهاده[٣].

وقال ابن كثير: هذا الوعاء الذي كان لا يتظاهر به هو الحروب والفتن والملاحم، وما وقع بين الناس من الحروب والقتال وما سيقع.

---

[١] البخاري كتاب العلم باب حفظ العلم ١/ ٢٥٨ رقم: ١٢٠.

[٢] البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ٢٧٢/١ رقم: ١٢٧.

[٣] سير الأعلام ٩٨٧/٢.

فالكلام عن الحروب والملاحم التي ستقع وذكر أسماء الأمراء في الفتن ليس مما يتوقَّف عليه شيءٌ من أصول الدين أو فروعه وليس متعلقاً بحلٍ أو حرمة ولذلك كان للنبي ﷺ أن يخُصَّ بمثل هذا النوع من الوحي شخصاً دون آخر أو فريقاً دون فريق.

كما خصَّ حذيفة رضي الله عنه بأسماء المنافقين، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه بقوله: "**ما من أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار**" قال معاذ: يا رسول الله أفلا أخبر به الناس فيستبشروا. قال: "**إذاً يتَّكلوا**"[1].

فأخبر به معاذ رضي الله عنه عند موته تأثُّماً وخوفاً من أن يكون كتم شيئاً من العلم.

ومن الحكمة أن يُحدِّث العالم الناس بما ينفعهم وتدركه عقولهم، وأن يخاطبهم بما يفهمون ويعرفون فليس كل ما يُعْرَف يُقَال، وليس كل ما يُقَال حضر أهله، وليس كل من حضر أهله حضر وقته.

وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يُكني عن بعض ما يكتم ولا يصرِّح به خوفاً على نفسه من أمراء السوء كقوله: أعوذ بالله من رأس الستين، وإمارة الصبيان، يشير إلى خلافة يزيد بن معاوية؛ لأنها كانت سنة ستين من الهجرة، واستجاب الله عزَّ وجلَّ دعاءه فمات قبلها بقليل.

قال ابن المنير: جعل بعضهم هذا الحديث ذريعةً إلى تصحيح باطلهم حيث اعتقدوا أن للشريعة ظاهراً وباطناً وذلك الباطل إنما حاصله الانحلال من الدين وإنما أراد أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: قطع أي: قطع أهل الجور رأسه إذا سمعوا عيبه لفعلهم وتضليله لسعيهم، ويؤيِّد ذلك أن الأحاديث المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية ما وسعه كتمانها.

والحديث ثابتٌ من حيث السند، وله وجهٌ صحيح من حيث المعنى، أما قول أبي هريرة رضي الله عنه: إن أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب، فلا يتعارض مع حديث الوعاءين؛ لأن أراد أن أبا هريرة رضي الله عنه لا يكتم العلم النافع الضروري وما كتمه لم يكن من هذا بل كان بعض أخبار الفتن والملاحم، وما سيقع للناس مما لا يتوقَّف عليه شيءٌ من أصول الدين أو فروعه.

وهذا النوع من العلم يجدر كتمانه، بل إن الصواب هو عدم نشره وإعلانه، وكيف يعقل أن يكون أبوهريرة رضي الله عنه قد كتم شيئاً مما يتعلَّق بالحلال والحرام وهو القائل: لولا آيتان من كتاب الله ما حدَّثتكم بشيء أبداً: **(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا**

---

[1] البخاري كتاب العلم باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ٢٧٢/١ رقم: ١٢٨، ومسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً ٥٨/١ رقم: ٣٠.

بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ. إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[1][2].

---

[1] **البخاري كتاب العلم باب حفظ العلم: ٢٥٨/١ رقم: ١١٨، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه ١٩٤٠/٤ رقم: ٢٤٩٢.**

[2] **سورة البقرة: ١٥٩، ١٦٠.**

الشبهة الخامسة: أنه ليس فقيهاً ويروي المتناقضات

قال أصحاب الأهواء إن أبا هريرة رضي الله عنه لم يكن فقيهاً بل كان راوية ينقل ولا يفهم، فيضع الأشياء على غير مواضعها ويروي المتناقضات.

وقد أجاب العلماء عن أبي هريرة رضي الله عنه، ودافعوا عنه، وأظهروا وجه الحقيقة الذي أراد أصحاب الأهواء طمسه أو تشويهه فقالوا:

أما اتِّهامه بأنه غير فقيه فهذا يناقض الواقع والتاريخ وسأورد لك عدة أدلة تثبت لك فقه أبي هريرة رضي الله عنه وعلمه:

١- لم يكن أبو هريرة رضي الله عنه راويةً للحديث فقط، بل كان من رؤوس العلم في زمانه الذين يتصدَّرون للفتوى مستمدِّاً أحكامه من صحبته لرسول الله ﷺ وحفظه لأحاديثه، ومشاهدته السنة العملية لرسول الله ﷺ عظيمها ودقيقها واطّلاعه على حلول كثيرٍ من المسائل الشرعية التي كانت تعرض للمسلمين في عهد الرسول ﷺ كل ذلك هيَّأ أبا هريرة رضي الله عنه للقيام بالفتوى والتقدُّم فيها.

قال زياد بن مينا: كان ابن عباس، وابن عمر، وأبو سعيد، وأبو هريرة، وجابر رضي الله عنهم مع أشباهٍ لهم يُفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله ﷺ من لدن توفِّي عثمان رضي الله عنه إلى أن تُوفُّوا[١].

قال: وهؤلاء الخمسة إليهم صارت الفتوى[٢].

٢- عرف الصحابة رضوان الله عليهم قدر أبي هريرة رضي الله عنه ومكانته في الفتوى فكانوا يسألونه ويعرضون الفتاوى عليه.

فهذا معاوية بن أبي عياش يحكي أنه كان جالساً مع ابن الزبير رضي الله عنه فجاء محمد بن إياس بن البكير فسأل عن رجلٍ طلّق ثلاثاً قبل الدخول فبعثه ابن الزبير إلى أبي هريرة رضي الله عنه، وابن عباس رضي الله عنه، وكانا عند عائشة رضي الله عنها فذهب فسألهما فقال ابن عباس رضي الله عنه لأبي هريرة رضي الله عنه: أفته يا أبا هريرة فقد جاءتك معضلة، فقال: الواحدة تبينها والثلاثة تحرمها ووافقه ابن عباس رضي الله عنه[٣].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣٧٢/٢.

(٢) سير الأعلام ٦٠٧/٢.

(٣) موطأ مالك كتاب الطلاق باب طلاق البكر صـ: ٤٤٧.

قال الإمام الذهبي: احتجَّ المسلمون قديماً وحديثاً بحديثه لحفظه، وجلالته، وإتقانه، وفقهه، وناهيك أن مثل ابن عباس رضي الله عنه يتأدَّب معه ويقول: أفتي يا أبا هريرة[١].

٣- عدَّ العلماء أبا هريرة رضي الله عنه من الصحابة المتوسِّطين في الفتوى، فلم يُكْثِر منها لانشغاله بالرواية ولم يُعْرِض عنها إعراض الجاهلين.

قال ابن حزم: والمتوسِّطون منهم فيما روي عنهم من الفتيا: أبو بكر، وأم سلمة، وأنس بن مالك، وأبو سعيدٍ الخدري، وأبو هريرة، وعثمان بن عفان... فهؤلاء ثلاثة عشر يمكن أن يُجْمَع من فتيا كل واحدٍ منهم جزءٌ صغيرٌ جداً[٢].

وقد نقل ابن القيم هذا القول عن ابن حزم ووافقه عليه وأيَّده[٣].

وقد نُسِب القول بعدم فقاهة أبي هريرة رضي الله عنه إلى بعض الأحناف، وجمهور الأحناف على خلافه والتشنيع على قائله.

قال الكمال بن الهمام: وأبو هريرة رضي الله عنه فقيه.

وقال ابن أمير الحاج: لم يُعْدَم أبو هريرة رضي الله عنه شيئاً من أسباب الاجتهاد وقد أفتى في زمن الصحابة رضوان الله عليهم، ولم يكن يفتي في زمنهم إلا مجتهد، وروى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ما بين صحابي وتابعي منهم ابن عباس رضي الله عنه، وجابر رضي الله عنه، وأنس رضي الله عنه وهذا هو الصحيح[٤].

فأبو هريرة رضي الله عنه كان من فقهاء الصحابة رضوان الله عليهم وعلمائهم ظلَّ يفتي الناس ويعلِّمهم أكثر من عشرين عاماً وبه تخرَّج كثيرٌ من أئمة التابعين.

أما الطعن فيه بأنه يروي المتناقضات فقد استدلُّوا لذلك بروايته حديث: "**لا عدوى ولا صفر ولا هامة**" فقال أعرابي: يا رسول الله: فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها؟ فقال رسول الله ﷺ "**فمن أعدى الأول؟**"[٥].

---

(١) سير الأعلام ٦٠٩/٢.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ٤٥١/٢.

(٣) أعلام الموقعين ١٢/١.

(٤) التقرير شرح التحرير ٢٥١/٢.

(٥) البخاري كتاب الطب باب لا صفر ١٨٠/١٠ رقم: ٥٧١٧، ومسلم كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ولا غول ولا يورد ممرض على مصح ١٧٤٢/٤ رقم: ٢٢٢٠.

ثم روى حديث: "**لا يُورِدَنَّ ممرضٌ على مُصِحَّ**"[1] أي: لا يُورد صاحب إبلٍ مريضة على صاحب إبلٍ صحيحة مخافة العدوى.

قالوا: بين الحديثين تناقض، فالحديث الأول ينفي العدوى، والثاني يثبتها، والنبي ﷺ لا يتكلَّم بالمتناقضات.

فدار الأمر بين كذب أبي هريرة رضي الله عنه أو نسيانه في الرواية، فإن قلنا بكذبه ارتفعت الثقة بمروياته.

وإن قلنا بنسيانه ناقض ذلك حديث ضم الرداء وقوله فيه: فوالذي نفسي بيده ما نسيتُ منه شيئاً بعد.

والجواب: أنه لا تناقض بين الحديثين فحديث: "**لا عدوى**" معناه: نفي أن تكون العدوى مؤثِّرة بذاتها دون إرادة الله عزَّ وجلَّ .

وحديث: "**لا يوردن ممرضٌ على مصح**" المقصود منه: أن لا يورد صاحب الإبل المريضة إبله على إبلٍ صحيحة لئلا تمرض فيتوهَّم الناس أن ذلك المرض جاء للإبل الصحيحة من طريق العدوى بدون إرادته تعالى.

وقيل: إن المقصود من الحديث الثاني هو: إثبات العدوى من طريق السببية العادية التي يجوز فيها تخلُّف المسبب عن سببه فنهى النبي ﷺ عن تلك المخالطة اتقاءً لأسباب الهلاك العادية وامتثالاً لقوله تعالى: **(وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ)**[2]، ونفي العدوى أراد به: أنها بإرادة الله عزَّ وجلَّ وقدرته.

وقيل غير ذلك في الجمع بين الحديثين[3].

وعلى كلِّ حال فليس بين الحديثين تناقضٌ فلا كذب ولا نسيان.

نعم ثبت أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يروي الحديثين جميعاً في بعض المجالس، وكان يقتصر على رواية أحدهما في بعضها فاقتصر مرةً على رواية الحديث الثاني فقيل له: إنك

---

[1] البخاري كتاب الطب باب لا هامة ٢٥١/١٠ رقم: ٥٧٧١، ومسلم كتاب السلام باب لا عدوى ولا طيرة ١٧٤٣/٤ رقم: ٢٢٢١.

[2] سورة البقرة الآية: ١٩٥.

[3] فتح الباري ٢٥٣/١٠، ٢٥٤.

رويتَ حديث: "**لا عدوى**" فرطن بالحبشية، وأنكر على من قال ذلك فظن أبو سلمة الراوي للحديثين عنه أن إعراضه عن حديث: "**لا عدوى**" في ذلك المجلس نسيانٌ منه لروايته.

وقد أجاب العلماء عن ذلك بأن إعراضه عن رواية الحديثين معاً ليس من قبيل النسيان كما فهم أبو سلمة، وإنما هو من باب مراعاة حال من يحدثهم.

ولذلك قال القرطبي في المُفْهِم: يُحْتَمَلُ أن يكون أبو هريرة رضي الله عنه خاف اعتقاد جاهلٍ يظنهما متناقضين فسكت عن أحدهما، وكان إذا أمن ذلك حدَّث بهما جميعاً[1].

وقد ذكروا أجوبةً أخرى عن ذلك فراجعها إن شئت[2].

هذه بعض الشبهات التي ذكرها أصحاب الأهواء وطعنوا بها على أبي هريرة رضي الله عنه، وقد أحسن الدكتور مصطفى السباعي حين ناقش هذه الشبه ثم قال مخاطباً المستشرقين ومن نهج نهجهم من أدعياء الإسلام:

إن صحابياً يظل يُحَدِّث الناس سبعاً وأربعين سنةً بعد وفاة الرسول ﷺ على مسمعٍ من كبار الصحابة وأقرب الناس إليه من زوجته وأصحابه ثم لا يلقى إلا تَجِلَّة وإعظاماً، يُرجَع إليه في معرفة الأحاديث، ويهرع إليه التابعون من كل جانب، ويتزوَّج منه سيد علماء التابعين الإمام الجريء التقي الورع: سعيد بن المسيب ابنته، ويتلقَّى عنه علمه وحديثه، ويبلغ الآخذون عنه: ثمانمائة من أهل العلم، لم نسمع أن أحداً من الصحابة رضوان الله عليهم بلغ مبلغه في الآخذين عنه، وكلهم يُجْمِعون على جلالته والثقة به، وينطوي في تاريخ الإسلام ثلاثة عشر قرناً وهي كلها شهادات صدقٍ في أحاديثه وأخباره، إن صحابياً بلغ في التاريخ ما بلغه أبو هريرة رضي الله عنه يأتي إليه اليوم من يزعم أن المسلمين جميعاً أئمة وأصحاباً وتابعين ومحدِّثين لم يعرفوه على حقيقته، وأنه في الواقع كان يكذب ويفتري، إن موقفاً كهذا يقفه بعض الناس من مثل هذا الصحابي العظيم لجديرٌ بأن يجلب لأهله والقائلين به الاستخفاف والازدراء بعلومهم وعقولهم معاً[3].

---

(١) المفهم ٦٢٦/٥.

(٢) فتح الباري ٢٥٣/١٠، المفهم ٦٢٦/٥.

(٣) السنة ومكانتها في التشريع صـ: ٢٩٣.

الفهـرس العام للموضوعات

الموضـــوع	رقم الصفحة
مقدمة	١
المبحث الأول : معنى السنة وبيان الألفاظ المرادفة لها	٣
المبحث الثاني : السنة وحيٌ من الله تعالى	١٥
المبحث الثالث : منزلة السنة من القرآن	٢٢
المبحث الرابع : بواعث الصحابة في خدمة السنة	٢٧
المبحث الخامس: جهود الصحابة رضوان الله عليهم في خدمة السنة	٤٠
المبحث السادس: المكثرون من الرواية من الصحابة	١٠٨
الفهرس	١٧٤